

مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية



مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي

Lebanon – Tripoli: Branche P.O. Box Abou Samra - www.jilrc.com - social@journals.jilrc.com



www.jilrc.com
ISSN 2311-5181

العام السابع - العدد 63 - أبريل 2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المشرفة العامة / أ.د. سرور طالبي

المؤسس ورئيس التحرير: د. جمال بلبكاي

www.jilrc.com - social@journals.jilrc.com

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دوريا في كل عدد.

اهتمامات المجلة وأبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر مواقع مركز جيل البحث العلمي، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية: علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات كافة مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

هيئة التحرير:

- أ.د. عاصم شحادة علي (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
- د. بغداد باي عبد القادر (المركز الجامعي غليزان، الجزائر)
- د. تيقان بوبكر (رئاسة جامعة التكوين المتواصل، الجزائر)
- د. سامية ابريغم (جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر)
- د. طراد طارق (جامعة خنشلة، الجزائر)
- د. طوال عبد العزيز (جامعة الجلفة، الجزائر)

رئيس اللجنة العلمية: أ.د. علي صباغ (جامعة قسنطينة 2، الجزائر)

اللجنة العلمية:

- أ.د. ودان بوغفالة (جامعة مصطفى اسطمبولي، مُعسكر، الجزائر)
- د. أحمد جلّول (جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر)
- د. بوجليدة حسان (جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر)
- د. بحري صابر (جامعة سطيف 2، الجزائر)
- د. خويلد محمد الأمين (جامعة الجلفة، الجزائر)
- د. سامية شينار (جامعة باتنة 1، الجزائر)
- د. شلّالي لخضر (المركز الجامعي أفلو، الأغواط، الجزائر)
- د. علّة المختار (جامعة الجلفة، الجزائر)
- د. فكرون زوي (جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر)
- د. نجوى نايف عبد النبي شكوكاني (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
- د. هاني إسماعيل رمضان (جامعة غبرسون، تركيا)

أعضاء اللجنة التحكيمية الاستشارية لهذا العدد:

- أ.د. صالح نهرراهي (جامعة واسط، العراق).
- د. إخلص محمد عبد الرحمن (جامعة الجزيرة، السودان).
- د. بن حجوبة حميد (جامعة مستغانم، الجزائر)
- د. بوطي محمد نور الدين (المدرسة العليا للأساتذة، القبة، الجزائر).
- د. سماح بلعيد (جامعة الشادلي بن جديد الطارف، الجزائر)
- د. سعيد علي (جامعة نغاونديري، الكاميرون)
- د. صونيا عيواج (جامعة باتنة 1، الجزائر)
- د. عبد الله ملوكي (جامعة سطيف 2، الجزائر).
- د. يزيد شويعل (جامعة المدية، الجزائر).
- د. مسعودي طاهر (جامعة الجلفة، الجزائر)

التدقيق اللغوي:

- أ.م.د. ميعاد جاسم السراي (الجامعة المستنصرية، العراق).
- د. عبلة حسن (جامعة لينكولن، نبراسكا، الولايات المتحدة الأمريكية).
- د. فانت عدّي (جامعة قسنطينة 1، الجزائر).

شروط النشر



تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة، أو مؤتمر في الوقت نفسه، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
 - عنوان البحث باللغة العربية والإنجليزية.
 - اسم الباحث ودرجته العلميّة، والجامعة التي ينتمي إليها، باللغة العربية والإنجليزية.
 - البريد الإلكتروني للباحث.
 - ملخّص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12، باللغة العربية والإنجليزية.
 - الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
 - اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن ، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
 - اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
 - تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الإلكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة:

social@journals.jilrc.com

الفهرس

الصفحة

- 7 • الافتتاحية
- 9 • تكيف الأسرة مع الحجر الصحي المنزلي في زمن فيروس كورونا، فاتن أحمد السكاني/الجامعة اللبنانية.
- 31 • أثر الإعاقة السمعية في ظهور عسر القراءة عند الطفل المتمدرس، عبد الرزاق سيب - فاطمة بور/جامعة تلمسان.
- 43 • التمثلات الجندرية وعلاقتها بتعنيف المرأة بالمغرب، إبراهيم برلال/جامعة محمد الخامس.
- 53 • الدور التجاري لتلمسان والمغرب الأوسط في أواخر العهد الزياني، بن مصطفى دريس/جامعة سعيبة.
- 67 • الهجرة و إشكاليات الهوية في العالم المعاصر، محمد خيدون/جامعة ابن طفيل.
- 77 • سمات شخصية مدمني الانترنت من طلاب الجامعة، غالي عديلة/ جامعة باتنة 1.
- 95 • علوم الأعصاب، ثورة أم سراب؟ محمد شرقي/المركز الجهوي لمهن التربية و التكوين بمراكش.
- 101 • تدبير وقت الفراغ لدى المدرسين: دراسة حالة مدرس بمدينة المحمدية -المغرب- الحسن ايت الحسن - الحسن حيرا/ جامعة الحسن الثاني.
- 115 • تحليل محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي بالسودان في ضوء معايير العلوم للجيل القادم NGSS، أبكر يعقوب آدم لقمان - سيف الدين إدريس أونيا/جامعة الخرطوم.
- 135 • سوسولوجيا المدرسة الجزائرية و الإصلاح التربوي في ظل التحديات، عائشة بن النوي/ جامعة باتنة 1.

الافتتاحية

بسم الله المولى الأجلّ سبحانه له الحمدُ في الأولى والآخرة، نستفتحُ بالذي هو خير، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

7

يسر هيئة تحرير مجلة "جيل العلوم الانسانية والاجتماعية"، أن تضع بين أيدي قرائها العدد الثالث والستون (63)، متضمناً مجموعة بحوث أكاديمية محكمة توزعت مواضيعها في مختلف جوانب المعرفة ومجالات النشر.

هذا وتبقى مجلتكم معلنةً استمرار نهجها التنوعي لإيصال هدفها العلمي لأكبر عدد ممكن من الباحثين في أقطار متنوعة.

وما كان لهذه المجلة أن تصل إلى ما بلغت لولا بحوثكم ومقالاتكم المنشورة، كما لا ننسى هيئة التحكيم والطاقم القائم على التدقيق وإخراج المجلة في شكلها النهائي، فلكم منا فائق التقدير والاحترام.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،،،

رئيس التحرير / د. جمال بلبكاي

**تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية
لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز
© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي**

تكيف الأسرة مع الحجر الصحي المنزلي في زمن فيروس كورونا

Family Coping with home quarantine in the age of coronavirus

الباحثة فتن أحمد السكافي/المعهد العالي للدكتوراه، الجامعة اللبنانية

Faten Ahmad Skafi , Higher Institute of Doctorate, Lebanese University

Abstract :

The aim of this article is to highlight the strategies for the family's coping with home quarantine in the age of the Coronavirus, the article started by an introduction that explained the importance behind this article, followed by a brief presentation of what is the new Coronavirus, what is quarantine, and what is coping, then by a brief presentation about coronavirus, and mental health. The article also presented general coping strategies, and specified for the family as whole at home quarantine through practical steps to deal with one's self and the other psychologically, and Socially, and through practical adjustment steps for parents to do with their children as a daily routine while in home quarantine. The article explained as well through the conclusion the need to increase research effort regarding this issue and direct these researches to public individuals by providing practical scientific content that help them overcome their psychological crises in emergency situations through practical coping strategies that can be understood and applied by all in home quarantine in the age of the "Corona virus".

Key Words: Corona Virus, Quarantine, coping, Strategies, Family.

ملخص :

هدف هذا المقال لإلقاء الضوء على استراتيجيات تكيف الأسرة مع الحجر الصحي المنزلي في زمن فيروس "كورونا"، بدأ المقال من خلال المقدمة التي أوضحت الأهمية من وراء هذا المقال، تلاها عرض مختصر لما هو فيروس كورونا المستجد ما هو الحجر الصحي، ما هو التكيف، وفيروس كورونا والصحة النفسية، من ثم استراتيجيات تكيف مع الحجر الصحي بشكل عام وللأسرة ككل بشكل خاص من خلال خطوات عملية للتعامل مع الذات والآخر نفسياً واجتماعياً وخطوات تكيف عملية للأباء للقيام بها مع أبنائهم كروتين يومي أثناء التواجد في الحجر الصحي المنزلي، وفي النهاية أوضح المقال من خلال الخاتمة ضرورة إعداد مثل هذه الأبحاث التي تتوجه للعامة من الأفراد من خلال تقديم المحتوى العلمي العملي الذي يعمل على مساعدتهم على التغلب على أزماتهم النفسية في الظروف الطارئة من خلال استراتيجيات تكيف عملية قابلة للفهم والتطبيق من قبل الجميع في الحجر الصحي المنزلي في زمن فيروس "كورونا".

الكلمات المفتاحية: فيروس كورونا، الحجر الصحي، التكيف، الاستراتيجيات، الأسرة.

مقدمة:

أدى انتشار جائحة فيروس كورونا أو COVID-19 إلى إيصال العالم إلى وضع مجهول، حيث يتدافع حالياً العديد من الباحثين والعاملين في مجال الرعاية الصحية وسلطات الصحة العامة عالمياً لمواكبة ذلك الاجتياح للوباء أو كما تمت تسميته من قبل منظمة الصحة العالمية بالجائحة. وفي حين أن الوباء الجديد فريد من نواحٍ عديدة، لكن هناك أمور كثيرة عنه يمكن التعرف عليها من خلال مجموعة كبيرة من الأدبيات حول الاستجابات النفسية والسلوكية للتعامل مع الأحداث الطارئة والكوارث. وقد أظهرت هذه الأدبيات عبر الزمن دور وسائل التواصل الاجتماعي في زيادة القلق والاضطرابات النفسية الأخرى، فعندما يقرأ الناس المزيد عن الفيروس على وسائل التواصل الاجتماعي، يزيد إدراكهم للمخاطر مما قد يعرضهم لضغوط نفسية متواترة خاصة أثناء تواجدهم في الحجر الصحي المنزلي المفروض عليهم منعاً لزيادة انتشار الوباء، فكثرة وسائل الإعلام يمكن أن تؤدي إلى تأثيرات سلبية على الصحة النفسية، بحسب مقدار التعرض لها، ويمكن أن تؤدي المبالغة لدى وسائل الإعلام إلى تضخيم التعرض للكرب لدى الأفراد. هذا لا يعني أن الناس يببالغون في رد فعلهم، فهناك خطر فعلي ينتشر مع انتشار هذا الوباء. لذا فإن إدارة هذه الأزمات في أسرع وقت ممكن، يمكن أن تمنع المشاكل طويلة المدى. وقد تزيد وحدات العزل والعزلة من احتمالات النتائج السلبية النفسية، ولتقليل التداعيات النفسية، يوصي الباحثون بضرورة أن يتخذ المسؤولون خطوات لإبقاء الحجر الصحي قصيراً قدر الإمكان، وتقديم مبررات واضحة ومعلومات موثوقة حول بروتوكولات الحجر الصحي، والتأكد من أن الأشخاص المعزولين لديهم إمكانية الوصول إلى إمدادات كافية. وتشير الأبحاث أيضاً إلى ضرورة دعم الأطفال وكيفية دعمهم

وأسرهم عندما تغلق المدارس أو يتم عزل الأسر في منازلهم، وذلك للحد من مخاطر النتائج السلبية للصحة النفسية لدى الأطفال أثناء الاحتجاز.¹

وبسبب تفشي هذا الفيروس واضطرار جميع الناس محلياً ودولياً للمكوث في الحجر المنزلي، وبسبب الإجهاد النفسي الذي يسببه هذا الفيروس للجميع دون استثناء من مرضى وأفراد الرعاية الصحية والأسر المحجوزة في منازلها، جاءت فكرة هذا المقال لتقديم أهم الاستراتيجيات للتكيف مع الحجر الصحي المنزلي من خلال تقديم خطوات واضحة وعملية لجميع الأفراد في الأسرة أثناء الحجر. إنَّ استراتيجيات التكيف في هذا المجال تتضمن استراتيجيات إيجابية، معرفية وعاطفية وسلوكية من خلال التركيز على تغيير الأفكار السلبية والتحكم بالانفعالات والمشاعر السلبية، والقيام بأفعال سلوكية تملأ وقت الفراغ بكل ما هو مفيد للفرد مما يساعده على الابتعاد عن المشكلة الأساسية والتي هي الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي وربما تركه المؤقت للعمل، وقضاء الوقت في البيت مع العائلة، كما أن التكيف يبين للفرد الاستجابات الطوعية والإرادية للموقف الذي يعيش فيه حالياً فيجعله مدركاً بشكل عقلائي لكل ما يمر به دون أن تتحكم به نوازعه اللاواعية التي قد تجرّه إلى أماكن لا تحمد عقباها من الضغوط النفسية التي قد تؤدي لاضطرابات نفسية محددة أهمها القلق والتوتر والاكنتاب. ويعتبر هذا البحث ربما من أوائل البحوث في العالم العربي التي تناولت هذا الموضوع وبضرورة ملحة لكي يستفيد منه أكبر قدر من الأفراد في العالم العربي، حيث تمت ترجمة العديد من الأبحاث والمقالات الأجنبية للحصول على هذه المعلومات المفيدة لجميع الأفراد. ويتناول هذا البحث النقاط التالية بالتدرج: ما هو فيروس كورونا؟ ما هو الحجر الصحي المنزلي؟ مفهوم التكيف، الاضطرابات النفسية التي قد يسببها ظهور الفيروس والحجر الصحي المنزلي، استراتيجيات التكيف مع الحجر الصحي المنزلي للأباء وللأسرة ككل. ما يتم تقديمه حالياً في هذه المقالة ليس علاجاً نفسياً بل هو عبارة عن تقديم طرق تكيف للتعامل مع الحجر المنزلي منعاً للملل والغضب والتوتر والقلق وليس ذلك الذي يستدعي تدخلات علاجية طبية.

ما هو فيروس "كورونا"؟ (Covid-19)

منذ 8 ديسمبر 2019، تم الإبلاغ عن العديد من حالات الالتهاب الرئوي لمسببات مرضية غير معروفة في ووهان، مقاطعة هوبي، الصين. في المراحل الأولى من هذا الالتهاب الرئوي، حدثت أعراض عدوى تنفسية حادة شديدة، مع تطور حالات بعض المرضى بسرعة بمتلازمة الضائقة التنفسية الحادة (ARDS)، وفشل تنفسي حاد، ومضاعفات خطيرة أخرى. في 7 يناير، تم تحديد فيروس تاجي جديد من قبل المركز الصيني لمكافحة الأمراض والوقاية منها (CDC) من خلال عينة مسحة الحلق للمريض، وتم تسميته لاحقاً (COVID-19) من قبل منظمة الصحة العالمية. وهو يسبب التهابات في الجهاز التنفسي بشكل رئيسي في البشر،

¹American Psychological Association (2020). Seven crucial research Findings that can help people deal with COVID-19. Published online March 2020, Retrieved 26/3/2010 from: <https://www.apa.org/news/apa/2020/03/covid-19-research-findings>

مثل متلازمة الجهاز التنفسي الحادة (سارس) ومتلازمة الشرق الأوسط التنفسية 5-7 (MERS) حيث يعاني معظم المرضى من أعراض خفيفة ويخضعون لتشخيص جيد.¹

يُعتبر فيروس كورونا أو الفيروس التاجي تبعاً لمنظمة الصحة العالمية من فصيلة فيروسات كورونا والتي هي فصيلة كبيرة تشمل فيروسات قد تسبب طائفة من الأمراض للإنسان، تتراوح بين نزلات البرد الشائعة ومتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم (السارس). كما تسبب الفيروسات المنتمية إلى هذه الفصيلة عدداً من الأمراض لدى الحيوانات. هذه السلالة الخاصة من فيروس كورونا لم تُحدد من قبل في البشر بعد. والمعلومات المتاحة محدودة للغاية عن انتقال هذا الفيروس ووخامته وأثره السريري. ونظراً لأن هذا النوع من الفيروس مستجد، فإن منظمة الصحة العالمية عاكفة على العمل مع البلدان والشركاء من أجل جمع مزيد من المعلومات عنه وتحديد آثاره على الصحة العمومية.²

وقد انتشر المرض على نطاق واسع وسريع في الصين والعديد من البلدان الأخرى، مما تسبب في تفشي الالتهاب الرئوي المعدي الحاد. تشير التقارير إلى أن 13٪ من الأشخاص الذين تأكدت إصابتهم بالفيروس لعام 2019 يعانون من أعراض تنفسية حادة، وتوفي 2٪، وتم علاج 4٪ منهم. ويتم حالياً منع انتقال العدوى عن طريق الحد من العدوى الثانوية من خلال الاتصالات الوثيقة بين المرضى والعاملين في مجال الرعاية الصحية، وتم حد العلاقات العامة من خلال الحجر الصحي المنزلي لمنع المزيد من الانتشار الدولي.

ما هو الحجر الصحي المنزلي؟

يعد "الحجر الصحي" من أقدم الأدوات وأكثرها فعالية في مكافحة تفشي الأمراض المعدية. تم استخدام ممارسة الحجر الصحي هذه على نطاق واسع في إيطاليا في القرن الرابع عشر، عندما كان على السفن التي تصل إلى ميناء البندقية من الموانئ المصابة بالطاعون، أن ترسو وتنتظر لمدة 40 يوماً قبل إنزال ركبائها الناجين. يبقى الأفراد في الحجر متسعاً من الوقت حتى يكتمل وقت الحضانة للمرض لكي يتم تمييز الحالات المريضة من الحالات التي لا تظهر عليها أعراض، وبالتالي يمكن تحديدها. تم تنفيذ الحجر الصحي بنجاح كإجراء فعال خلال وباء السارس في عام 2003. كما أنه كان من المكونات المهمة في خطط الإنفلونزا الجائحة. الحجر الصحي يعني تقييد حركة الأشخاص الذين يُفترض أنهم تعرضوا لمرض معدي ولكنهم ليسوا مرضى، إما لأنهم لم يصابوا بالعدوى أو لأنهم لا يزالون في فترة الحضانة. يمكن تطبيق الحجر الصحي على الفرد أو المجموعة ضمن مستويات،

¹Nanshan Chen*, Min Zhou*, Xuan Dong*, Jieming Qu*, Fengyun Gong, Yang Han, Yang Qiu, Jingli Wang, Ying Liu, Yuan Wei, Jia'an Xia, Ting Yu, Xinxin Zhang, Li Zhang(2020). Epidemiological and clinical characteristics of 99 cases of 2019 novel coronavirus pneumonia in Wuhan, China: a descriptive study. Lancet 2020; 395: 507–13, Published Online January 29, 2020 [https://doi.org/10.1016/S0140-6736\(20\)30211-7](https://doi.org/10.1016/S0140-6736(20)30211-7), Retrieved 28/3/2020 from: <https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0140673620302117>

²World Health Organization(2020). Coronavirus infection.Retrieved 27/3/2020 from:

https://www.who.int/topics/coronavirus_infections/ar/.

وعادة ما تنطوي على تقييد الأفراد في المنزل أو في منشأة معينة. قد يكون الحجر الصحي طوعياً أو إلزامياً. أثناء الحجر الصحي، يجب مراقبة جميع الأفراد تجنباً لحدوث أي أعراض. في حالة حدوث هذه الأعراض، يجب عزل الفرد على الفور في مركز مخصص على دراية بعلاج أمراض الجهاز التنفسي الحادة. يعتبر العزل الصحي الأكثر نجاحاً في منع تفشي الأمراض حيث يؤدي للكشف عن الحالات سريعاً، ويمكن إدراج جهات للاتصال وتتبعها في إطار زمني قصير مع الإصدار الفوري للحجر الصحي مع الامتثال الطوعي لهذا الإصدار.

وقد تم تصميم "التباعد الاجتماعي" لتقليل التفاعلات بين الأشخاص في مجتمع أوسع، حيث قد يكون الأفراد معديين ولكن لم يتم تحديد من هم بعد، وبالتالي لم يتم عزلهم بعد. بما أن الأمراض التي تنتقل عن طريق قطرات الجهاز التنفسي تتطلب قرباً معيناً من الأشخاص، فإن الابتعاد الاجتماعي للأشخاص سيقبل من انتقال العدوى. يعد التباعد الاجتماعي مفيداً بشكل خاص في البيئات التي يُعتقد أن انتقال المرض قد حدث فيها، ولكن عندما تكون الروابط بين الحالات غير واضحة، وحيث تعتبر القيود المفروضة فقط على الأشخاص المعروف تعرضهم للمرض غير كافية لمنع المزيد من الانتقال. من الأمثلة على التباعد الاجتماعي إغلاق المدارس أو المباني المكتبية وتعليق الأسواق العامة وإلغاء التجمعات والمؤسسات التجارية وغيرها.¹

يمكن أن يلعب الحجر الصحي في المنزل دوراً مهماً في منع انتشار الأمراض المعدية. لكن هذا لا يعني أن التعامل مع الاضطراب في الحجر الصحي هو أمر سهل. ومن الضروري العناية بصحة الأفراد العقلية، مهما كان الوقت الذي سيقضيه الفرد في الحجر قصيراً. وقد أدى تفشي الفيروس التاجي إلى الانخراط في التباعد الاجتماعي كوسيلة حاسمة للمساعدة احتواء انتشار المرض للمساعدة على إبقاء معدلات الإصابة عند أدنى مستوى ممكن.²

مفهوم التكيف (coping):

كل فرد يحتاج لطريقة معينة لكي يتعامل بشكل فعال مع التوتر والقلق، ومن أهم الاستراتيجيات، استراتيجيات التكيف. يتم تطبيق استراتيجيات التكيف للحصول على حلول سليمة في المواقف الصعبة. وفي معظم الحالات، تستعمل مهارات التكيف عندما يكون الفرد في مشكلة معينة. وبما أن القلق يتزايد في حياة الأفراد خاصة مع الظروف الطارئة، فاستراتيجيات التكيف تستخدم بشكل فعال عندما تفشل استراتيجيات أخرى كالقيام بمهام معينة، وحينها قد يشعر الفرد بتعب جسدي عام وعدم القدرة على ضبط انفعالاته، وقد تؤدي هذه العوامل إلى تقليص القدرة على العمل المنتج. ويتم تعريف التكيف الفعال بأنه عملية عقلية يتحدى فيها الفرد نفسه للوصول إلى حل عملي لمشكلاته. وهنا يحتاج الفرد للخصائص الداخلية والخارجية

¹Wilder-Smith, MD, D O Freedman, MD(2020). Isolation, quarantine, social distancing and community containment: pivotal role for old-style public health measures in the novel coronavirus (2019-nCoV) outbreak. Journal of Travel Medicine, Volume 27, Issue 2, March 2020, taaa020, <https://doi.org/10.1093/jtm/taaa020>, Published:13 February 2020, Retrieved 28/3/2020 from <https://academic.oup.com/jtm/article/27/2/taaa020/5735321>

²Cherry, Kenra(2020).Medically reviewed byStevenGans, MD, How to cope with quarantine.VeryWellmind. Published march,18,2020, Retrieved 28/3/2020 from:

<https://www.verywellmind.com/protect-your-mental-health-during-quarantine-4799766>

التي يمتلكها لكي يصل إلى التكيف المطلوب.¹ وهناك العديد من الطرق المختلفة للتكيف مع الموقف المجهد، فالتكيف هو الجهود الواعية والواقعية التي نبذلها لحل المشاكل وتقليل التوتر. إنه برنامج استكشاف الأخطاء وإصلاحها المضمن في العقل والذي يهدف إلى استعادة حالته المثلى. في علم النفس، تعد مهارات التأقلم أو استراتيجيات التكيف مجموعة من الأدوات التكيفية التي نديرها بشكل استباقي لتجنب الإرهاق. يمكن أن تكون هذه الأدوات أفكارنا وعواطفنا وأفعالنا وتعتمد على أنماط شخصيتنا.²

إذاً يستجيب الناس لتصورات التهديد والأذى والخسارة بطرق متنوعة، ويتلقى العديد منها تسمية التكيف، وغالبًا ما يُعرف التكيف على أنه جهود لمنع أو تقليل التهديد والأذى والخسارة، أو للحد من الشدة المصاحبة له، بينما يفضل البعض قصر مفهوم التكيف على الاستجابات الطوعية؛ وتشمل الاستجابات التلقائية والطوعية داخل مفهوم التكيف بطبيعة الحال. فالتكيف مفهوم واسع للغاية له تاريخ طويل ومعقد، وقد تم إجراء العديد من التمييز داخل هذا المفهوم الواسع؛ في الواقع، يمكن القول إنه تم تحديد عدد مذهل من الفروق في أنواع التكيف. من أهمها: التمييز بين المشكلة مقابل التركيز على العاطفة: حيث يتم توجيه التكيف المركّز على المشكلة إلى الضغوطات نفسها: اتخاذ خطوات لإزالتها أو الهرب منه، أو لتقليل تأثيره إذا كان لا يمكن تجنبه. نظرًا لوجود العديد من الطرق للحد من الضيق، كما أنّ التكيف الذي يركز على العاطفة يتضمن مجموعة واسعة من الاستجابات، بدءًا من تهدئة الذات (على سبيل المثال، الاسترخاء، التماس الدعم العاطفي)، إلى التعبير عن المشاعر السلبية (مثل الصراخ والبكاء)، إلى التركيز على الأفكار السلبية (على سبيل المثال، الاجترار)، لمحاولة الهروب من المواقف العصيبة (مثل التجنب والإنكار والتمني). هناك نوع آخر من التكيف هو تشتيت الذات. تاريخيًا، اعتبر هذا التفاعل كرد فعل على فك الارتباط من خلال الانخراط المتعمد في الأنشطة الإيجابية الذي يُعتبر وسيلة هامة للتكيف مع الأحداث التي لا يمكن السيطرة عليها، والتي تم إجراؤها بين محاولات التحكم في الضغوطات نفسها. والتكيف ذو الصلة بالمعنى هو ما أطلق عليه فولكمان (1997) "التكيف مع التركيز على المعنى" حيث يعتمد الناس على معتقداتهم وقيمهم لإيجاد، أو تذكير أنفسهم، بفوائد التجارب المجهدّة وقد يشمل التكيف الذي يركز على المعنى، إعادة ترتيب أولويات الحياة وغرس الأحداث العادية بمعنى إيجابي.³

¹Wati, Nenden Lesmana (2018).THE RELATIONSHIP BETWEENAGAINST THE REGULATION DORMITORY QUARANTINE. Vol 10 No 2 (2018): The Malaysian Journal of Nursing,p123 ,Retrieved 28/3/2020/from <http://ejournal.lucp.net/index.php/mjn/article/view/169>

²Madhuleena, Roy Chowdhury(2020).What is Coping Theory. Psitive Psychology.Published:17,1,2020. Retrieved 28/3/2020 from <https://positivepsychology.com/coping-theory/>

³Charles S. Carver & Jennifer Connor-Smith(2010). Personality and Coping. Annual Review of Psychology Volume 61, 2010 , pp 679-704. Published online July 2,2009, Retrieved 28/3/2020 from: <https://www.annualreviews.org/doi/full/10.1146/annurev.psych.093008.100352https://doi.org/10.1146/annurev.psych.093008.100352https://doi.org/10.1146/annurev.psych.093008.100352>

إنّ استراتيجيات التكيف الإيجابية هي أي إجراءات يتخذها الفرد لإدارة وتخفيف التوتر في حياته، بطريقة لن تكون ضارة أو ضارة على المدى الطويل. الأشخاص الذين يستخدمون استراتيجيات إيجابية ليسوا أكثر قدرة فقط على مواجهة التحديات والارتداد من الأوقات العصيبة، ولكنهم أيضاً أكثر سعادة وبشكل عام إن أي استراتيجية للتكيف لن تكون ضارة أو غير فعالة على المدى الطويل تستحق المحاولة. ومع ذلك، ربما تعمل بعض الاستراتيجيات بشكل أفضل بالنسبة لفرد أكثر من غيرها من حيث مدى تقليلها للتوتر والمساعدة على الإدارة الذاتية¹.

الاضطرابات النفسية التي قد يسببها ظهور فيروس كورونا والبقاء في الحجر الصحي المنزلي:

تسبب اندلاع فيروس كورونا في الصين حالة من الذعر العام وضغوط على الصحة النفسية. وقد أثار العدد المتزايد من المرضى والحالات المشتبه بها، والعدد المتزايد في المقاطعات والبلدان المتضررة من تفشي المرض قلق ومخاوف لدى المواطنين في كل دول العالم من الإصابة. وقد فاقت القصص والمعلومات الخاطئة القلق على المستقبل غير المتوقع لهذا الوباء، وغالباً ما تكون هذه القصص والمعلومات مدفوعة بتقارير إخبارية خاطئة وسوء فهم الأفراد للأخبار الصحية، مما يسبب القلق والضغط النفسي. كما أن حظر السفر والتنقل بين البلدان والأوامر التنفيذية لحجر المسافرين خلال عطلة عيد الربيع قد ولد قلقاً عاماً أثناء محاولة احتواء تفشي المرض. كما أن العاملين في مجال الرعاية الصحية الطبية الذين يقومون برعاية الأفراد الذين يعانون من مرض شديد بسبب الفيروس يعانون بدورهم من الخوف وهم عرضة للصدمة، ويمكن أن تؤدي التحديات والضغوط التي يواجهونها إلى اضطرابات نفسية شائعة، بما في ذلك القلق واضطراب الاكتئاب، واضطراب ما بعد الصدمة، والذي يمكن أن يؤدي بدوره إلى مخاطر تتجاوز عواقب وباء فيروس كورونا نفسه. وقد أصدرت اللجنة الوطنية للصحة في الصين إرشادات للسلطات المحلية لتعزيز التدخل في الأزمات النفسية وأعدت جامعة بكين كتيباً للصحة العقلية للناس عموماً خاصة الموجودين في الحجر الصحي المنزلي يصف كيفية التعامل مع الإجهاد والمشاكل النفسية الأخرى التي تحدث بسبب تفشي وباء كورونا. يوفر هذا الأمر تقييم دقة المعلومات التي تم الكشف عنها، وتعزيز أنظمة الدعم الاجتماعي (للأسر والأفراد)، والقضاء على وصمة العار المرتبطة بالوباء، مما يساعد على توفير حياة طبيعية في ظل ظروف آمنة، وتقديم نظام الخدمة النفسية الاجتماعية، وخاصة عبر الهاتف والإنترنت – والاستشارات النفسية الموجهة إلى موظفي الرعاية الصحية والمرضى وأفراد الأسرة والجمهور عامة. إنّ إدراج حملة رعاية الصحة النفسية في نظام الطوارئ الوطني للصحة العامة سيمكن الصين والعالم من احتواء واستئصال فيروس كورونا².

¹Reach Out(2017).Developing Positive Coping Strategies. Retrieved 28/3/2020 from:

<http://www.distance.vic.edu.au/wp-content/uploads/2017/06/DevelopingPositiveCopingStrategies.pdf>

²Yanping Bao, Yankun Sun, Shiqiu Meng, Jie Shi, Lin Lu(2020). 2019-nCoV epidemic: address mental health care to empower society The Lancet, Volume 395, Issue 10224, 2020, pp. e37-e38

Pages e37-e38 Published Online February 7, 2020 [https://doi.org/10.1016/S0140-6736\(20\)30309-3](https://doi.org/10.1016/S0140-6736(20)30309-3), retrieved 28/3/2020 from <https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0140673620303093>

هناك مجموعة متنوعة من ردود الفعل النفسية ممكنة الحدوث في سياق جائحة الفيروس التاجي والحجر الصحي المنزلي غير الخطيرة. إن جائحة الفيروس التاجي الحالي حالة خاصة ونادرة يمكن أن تؤثر على الأشخاص جسدياً، وعلى المستوى النفسي. في هذا النوع من الظروف، سيعاني الكثير من الناس بشكل خاص من التوتر والقلق والاكتئاب. إن الناس المحجوزين في بيوتهم قد يتعرضوا لاضطرابات نفسية بسبب هذا الحجر المنزلي وبسبب المخاوف المرتبطة بالفيروس وتفشيته والأخبار عنه، مما قد يؤدي لأعراض محتملة مرتبطة بالتوتر والقلق والاكتئاب، ويمكن أن تظهر تفاعلات التوتر والقلق والاكتئاب بطرق متنوعة جسدية ونفسية وعاطفية وسلوكية لأي فرد على الشكل التالي:

الأعراض الجسدية: الصداع، شد الرقبة، مشاكل الجهاز الهضمي، إلخ...مشاكل النوم، انخفاض الشهية، انخفاض الطاقة، والتعب، إلخ.

الأعراض النفسية والعاطفية: المخاوف المتعلقة بالفيروس وانعدام الأمن، الشعور بالارتباك من الأحداث والعجز، الأفكار التي لا تعكس الواقع دائماً، الرؤية السلبية للأشياء أو الأحداث اليومية مشاعر الإحباط وعدم الأمان والحزن والغضب، إلخ.

الأعراض السلوكية: صعوبة في التركيز، التهيج والعدوان، البكاء، الانسحاب والعزلة، صعوبة في اتخاذ القرارات، زيادة استخدام الكحول والمخدرات و / أو الأدوية، إلخ.

متى يجب طلب المساعدة من مختصين؟ بشكل عام، من الممكن التغلب على ردود الفعل على التوتر والقلق والاكتئاب من خلال بعض الطرق السلوكية والتغيير في العادات اليومية والأفكار. ومع ذلك، قد يستمر بعض من القلق لدى البعض لأسابيع أو أشهر، وحتى أكثر. فيما يلي مؤشرات على تدهور الحالة الصحية، وقد تعني هذه المؤشرات أن الفرد لم يعد قادراً لوحده على التحكم بمخاوفه بشكل يومي وأنه بحاجة لمساعدة نفسية متخصصة¹.

إذاً قد يعاني المرضى الذين يعانون من فيروس كورونا المؤكد أو المشتبه فيه من القلق والخوف، وقد يعاني المرضى في الحجر الصحي المنزلي من الملل والوحدة والغضب والتوتر والقلق وربما الاكتئاب. علاوة على ذلك، يمكن أن تؤدي أعراض العدوى، مثل الحمى ونقص الأكسجة والسعال، بالإضافة إلى الآثار الضارة للعلاج، مثل الأرق، إلى تفاقم القلق والضيق العقلي. وقد تم وصف الفيروس مراراً وتكراراً بأنه فيروس قاتل، مما أدى إلى إدامة الشعور بالخطر وعدم اليقين من النجاة بين العاملين في مجال الصحة وغيرهم من الأفراد. تحتاج رعاية الصحة النفسية في الحالات الطارئة إلى تطوير عاجل في الوقت المناسب. كما يجب توفير علاجات نفسية متخصصة وخدمات ومرافق الصحة النفسية المناسبة للمرضى الذين يعانون من اضطرابات عقلية مصاحبة. ثانياً، يجب توفير خدمة اتصالات واضحة بتحديثات منتظمة ودقيقة حول تفشي الفيروس لكل من العاملين الصحيين والمرضى من أجل معالجة شعورهم بعدم اليقين والخوف. ثالثاً، يجب إعداد خدمات آمنة لتقديم المشورة النفسية

¹Québec (2020). Stress, Anxiety and Depression Associated With the Coronavirus COVID-19 Disease. Published March 24, 2020, Retrieved 26/3/2020 from: <https://www.quebec.ca/en/health/health-issues/a-z/2019-coronavirus/stress-anxiety-and-depression-associated-with-the-coronavirus-covid-19-disease/>

باستخدام الأجهزة والتطبيقات الإلكترونية مثل الهواتف الذكية للمرضى المتضررين، وكذلك أسرهم وجميع أفراد المجتمع. رابعاً، يجب أن يتلقى المرضى المشتبه بهم والذين تم تشخيصهم بالالتهاب الرئوي وكذلك المهنيين الصحيين العاملين في المستشفيات التي ترعى المرضى المصابين فحصاً سريرياً منتظماً للاكتئاب والقلق والانتحار من قبل العاملين في مجال الصحة النفسية، ويجب تقديم علاجات نفسية في الوقت المناسب لأولئك الذين يعانون من مشاكل نفسية أكثر حدة. وقد تكون تقنيات العلاج النفسي كتلك القائمة على نموذج التكيف مع الإجهاد مفيدة. استناداً إلى الخبرة المكتسبة من تفشي الالتهاب الرئوي الخطير في الماضي على مستوى العالم والتأثير النفسي والاجتماعي للأوبئة الفيروسية، يعد تطوير وتنفيذ تقييم للصحة النفسية والدعم والعلاج والخدمات النفسية أهدافاً حاسمة وملحة للاستجابة الصحية لتفشي فيروس كورونا¹.

استراتيجيات التكيف مع الحجر الصحي المنزلي بشكل عام:

تشمل هذه القائمة استراتيجيات تكيف مختلفة من التكيف الصحي، المعرفي، العاطفي، والتكيف السلوكي القائم على الأنشطة، ولم يتم تصنيف هذه الاستراتيجيات، تبعاً لنوع التكيف لأنها تبقى متداخلة مع بعضها البعض فقد يخدم التكيف الصحي الصحة البدنية وفي نفس الوقت الصحة العقلية، وقد يخدم التكيف العاطفي الصحة النفسية وفي نفس الوقت يزيد من المناعة الجسدية...

حماية النفس: تجدر الإشارة إلى ضرورة قيام الفرد بكل ما يمكنه القيام به لحماية نفسه وعائلته، بما في ذلك ممارسات النظافة والتباعد الاجتماعي، فالعمل هو ترياق للقلق، وفي الواقع هناك الكثير مما يمكن للأفراد القيام به لحماية أنفسهم وعائلاتهم. مثل غسل اليدين بشكل متكرر وشامل، وتطهير الأسطح عالية اللمس، وتجنب المرضى، والتأكد من تأمين الإمدادات اللائقة من المواد الغذائية غير القابلة للتلف وغيرها من اللوازم، والبقاء في المنزل قدر الإمكان.

حماية المجتمع: لا بد لكل فرد القيام بدوره في حماية مجتمعه، سواء من خلال مساعدة الجيران الأكثر ضعفاً أو البقاء في المنزل: يمكن للفرد أيضاً اتخاذ إجراءات لمساعدة مجتمعه، سواء كان ذلك من خلال مساعدة جار مسن في الحصول على مواد البقالة أو التبرع بالدم. والبقاء في المنزل هو بحد ذاته مساعدة للغير. ولأن الأشخاص عديهي الأعراض يمكنهم حمل ونشر الفيروس، فالخيارات التي يتخذها الأفراد حول المكان الذي يذهبون إليه يمكن أن تحدد الفرق بين الحياة والموت لشخص آخر. من هنا وجب التفكير "خارج أنفسنا" وضرورة فهم أن قيود الصحة العامة ليست شخصية. إن القيام بذلك يمكن أن ينقذ الأرواح في نهاية المطاف.

تناول الطعام الصحي، عدم التدخين وممارسة الرياضة: التغذية الجيدة والحركة الكافية جيدة للجسم والعقل. ضرورة تناول "نظام غذائي" صحي ومغذي يساعد الجهاز المناعي على العمل بشكل صحيح، مما يجدر أيضاً الحد من استهلاك

¹Xiang YT, Yang Y, Li W, Zhang L, Zhang Q, Cheung T, & Ng CH (2020). Timely mental health care for the 2019 novel coronavirus outbreak is urgently needed. *Lancet Psychiatry*. 2020 Mar;7(3):228-229. doi: 10.1016/S2215-0366(20)30046-8. Epub 2020 Feb 4. Retrieved 28/3/2020 from [https://www.thelancet.com/journals/lanpsy/article/PIIS2215-0366\(20\)30046-8/fulltext](https://www.thelancet.com/journals/lanpsy/article/PIIS2215-0366(20)30046-8/fulltext)

المشروبات الكحولية والسكرية، وعدم التدخين. فالتدخين يمكن أن يزيد من خطر الإصابة بأمراض خطيرة خاصة إذا ترافقت مع الإصابة بالفيروس التاجي. ومن الممكن الخروج للمشي أو الركض أو ركوب الدراجة مع الحفاظ على مسافة من الآخرين، أو الحصول على 30 دقيقة على الأقل من النشاط البدني يوميًا للبالغين وساعة الأطفال. إذا لم يتمكن الفرد من مغادرة المنزل، فيستطيع البحث عن فيديو للتمارين على الإنترنت أو الرقص على الموسيقى أو صعود ونزول الدرج. وبالنسبة للأشخاص الذين يعملون في المنزل، ضرورة أخذ استراحة للحركة لمدة قصيرة كل 30 دقيقة.¹

الحصول على أكبر قدر ممكن من ضوء الشمس والهواء النقي والطبيعة: قضاء الوقت في المساحات الخضراء أو إدخال الطبيعة في الحياة اليومية يمكن أن يفيد الصحة العقلية والبدنية. يمكن أن يحسن المزاج، ويقلل من الشعور بالتوتر أو الغضب، ويجعل الفرد يشعر براحة أكبر. من الممكن الاستمرار في الحصول على هذه الآثار الإيجابية من الطبيعة أثناء البقاء في المنزل. ويمكن تجربة قضاء الوقت مع فتح النوافذ للسماح بدخول الهواء النقي ووضع زهور أو نباتات في المنزل استخدام المواد الطبيعية لتزيين مساحة في البيت الخاصة بالفرد أو استخدامها في مشاريع فنية، ومن الممكن ترتيب مكان مريح للجلوس، على سبيل المثال من خلال نافذة يمكن من خلالها مشاهدة منظر الأشجار أو السماء، أو مشاهدة الطيور والحيوانات الأخرى، كما يمكن زراعة النباتات أو الزهور على النوافذ على سبيل المثال.

ولا بد للأباء من التحقق من مدى استعدادهم للبقاء في المنزل لفترة طويلة مما يخفف من معدلات توتره وقلقه من خلال قائمة تحقق كالتالي:

قائمة التحقق: هل الفرد مستعد للبقاء في المنزل؟

• الطعام: هل لديه طريقة لتوصيل الطعام إليه؟

• التنظيف: هل تم تجهيز مستلزمات التنظيف الخاصة به؟

• المال: هل يمكنه وضع ميزانية لأي فواتير أو نفقات أعلى؟ هل سيوفر المال من تكاليف النقل المنخفضة التي يمكن أن ينفقها في مكان آخر؟

• العمل: هل يمكنه العمل من المنزل أم لا؟ إذا لم يكن الأمر كذلك، فما هي حقوقه في الدفع أو المزايا الأخرى؟

• الدواء: هل لديه ما يكفي من الدواء، أو طريقة للحصول على المزيد؟

• الصحة: هل يمكنه إعادة تنظيم أي علاج أو علاج مخطط له؟

• الالتزامات: هل يمكن لشخص آخر مساعدته في رعاية الأطفال، أو رعاية أي التزامات أخرى؟

¹Miller, Anna Medaris (2020). 10 ways to cope with coronavirus anxiety, according to psychologists. Business Insider, Published March, 20, 2020, Retrieved 25/3/2020 from:

<https://www.businessinsider.com/how-to-cope-with-coronavirus-covid-19-anxiety-psychologist-2020-2>

•الاتصال: هل راجع تفاصيل الاتصال بالأشخاص الذين يراهم بانتظام ، مثل أرقام هواتفهم أو عناوين بريدهم الإلكتروني؟
•الروتين: هل يمكنه إنشاء روتين أو جدول زمني لنفسه؟ وإذا كان يعيش مع أشخاص آخرين، هل يجب عليه إنشاء جدول للأسرة بأكملها؟

• هل يحتاج إلى الاتفاق على كيفية إدارة الأسرة مع الجميع في المنزل طوال اليوم؟

•تمارين: هل هناك أي نشاط بدني يمكنه القيام به داخل منزلك ، مثل صعود الدرج ونزله ، واستخدام علب الفاصوليا كأوزان ، أو التمارين التي يمكنه القيام بها على كرسيه؟

•الطبيعة: هل فكر كيف يمكنه الوصول إلى الطبيعة؟ هل يمكنه الحصول على بعض البذور ومعدات الزراعة أو النباتات المنزلية أو الأعشاب الحية؟

•الترفيه: هل فكر في أشياء للقيام بها ، أو كتب لقراءتها ، أو برامج تلفزيونية لمشاهدتها؟

•الاسترخاء: هل لديه مواد حتى يتمكن من القيام بشيء مبدع ، مثل الورق وأقلام التلوين¹؟

التفكير الإيجابي: أن يدرّب الفرد نفسه على الرعاية الذاتية من خلال تشجيع التفكير الإيجابي، وكل شخص يمارس الرعاية الذاتية بشكل مختلف، ولكن من المهم ممارسة الاسترخاء والتأمل واليقظة لإعطاء الجسم فرصة للاستقرار وإعادة التكيف مع حالة الهدوء. وكذلك من خلال إبقاء الأمور في نصابها عندما يكون مرهقاً، وعدم تخيل أشياء غير موجودة، ورؤية الأشياء أسوأ مما هي عليه في الواقع، وتخيل مواقف والقلق بشأنها، وافترض أن شيئاً سيئاً سيحدث. بل من الأفضل تذكر النفس بأن العدد الفعلي للحالات المؤكدة من فيروس كورونا لا زال منخفضاً في بلده، وعدم المبالغة في تقدير مدى سوء العواقب، والتذكر بأن المرض الناتج عن الإصابة بالفيروس يكون عادة خفيفاً ويتعافى معظم الأشخاص منه دون الحاجة إلى علاج متخصص. وتذكير النفس بأن لا يستهين الفرد بقدرته على التأقلم. في بعض الأحيان، التفكير في الكيفية التي سيتعامل بها الفرد، حتى لو حدث الأسوأ، يمكن أن يساعد في وضع الأمور في نصابها الطبيعي².

محاولة التفكير والتركيز على ما هو لدى الفرد الآن وعدم تمني التغيير في الوقت الحالي:

فبدلاً من الانغماس في المخاوف من الإصابة بالفيروس التاجي ، مثل أنه سيتم إلغاء حفل زفاف ، أو سيكون الأطفال خارج المدرسة حتى الخريف ، يجب التركيز على ما يقدر الأفراد القيام به ولما هم ممتنون له في الوقت الحالي. وهذا يعني أن يكون كل فرد قادراً على قضاء المزيد من الوقت مع أطفاله هذا الربيع، وما يصاحب ذلك من أيام دافئة وطويلة، على الأبواب. ومن المفيد جداً في هذه الظروف إعداد "قائمة امتنان" يومية (الشكر للنعم الموجودة) لبناء المرونة النفسية. إن القيام بذلك يساعد أيضاً على التوقف عن التركيز على التهديدات المحتملة أو العناصر السلبية في البيئة المحيطة، وهو أمر يقوم به الدماغ الخائف،

¹Mind(2020).Coronavirus and your wellbieng. Published march,26,2020, Retrieved 26/3/2020 from:

<https://www.mind.org.uk/information-support/coronavirus-and-your-wellbeing/#collapse447c3>

²Australian Psychological Society, APS (2020). Tips For Coping with coronavirus anxiety. Retrieved 25/3/2020 from:

<file:///C:/Users/ctop/Desktop/pss%20for%20corona/coping%20with%20anxiety%20in%20the%20age%20of%20corona.pdf>

ويجب هنا توسيع منظور الأفراد وإدراك أنه في حين أن الأمور صعبة وغير مؤكدة، هناك أيضاً أشياء جيدة في حياتهم اليومية" يمكن أن تحدث فرقاً كبيراً¹.

تغيير ما يستطيع: بمجرد تحديد مصادر التوتر الأساسية لدى الفرد، من المفيد أن يقوم بمعالجة الأشياء التي يمكن تغييرها بالفعل. وهذا من شأنه تقليل تأثير المخاوف من خلال تنفيذ استراتيجيات التكيف التي تركز على المشكلات. قد يتضمن ذلك نوعاً من نهج جديد يتم تقبله مثلاً لا يمكن التحكم فيما إذا كان الأطفال سيتم بقاؤهم في المنزل بعيداً عن المدرسة لفترة طويلة، ولكن يمكن التحكم في وضع خطة للتعامل مع رعاية الأطفال إذا حدث ذلك. لذا لا بد من وضع هذه الخطة، ثم إعداد خطة احتياطية للخطة الأصلية - وليس من الضروري لهذه الخطة أن تكون مثالية، لأنها لن تكون كذلك. ولكن في أوقات الإجهاد أو التغيير السريع، يكون تنشيط استراتيجية موجودة مسبقاً أسهل بكثير من تطوير استراتيجية مجهولة، وذلك من خلال الجلوس وتحديد روتين يومي للفرد وللعائلة.

قبول ما لا يمكنك تغييره: من المهم بنفس القدر أن ندرك أن بعض الأشياء هي ببساطة خارج سيطرتنا خلال هذا الوقت، سواء أحببنا ذلك أم لا. بالنسبة للمشكلات التي لا يمكن التحكم فيها أو تغييرها حقاً، فلا بد من استخدام استراتيجيات التكيف التي تركز على المشاعر والتي تساعد على إدارة هذه المشاعر، على سبيل المثال، قد لا يتمكن الفرد من التحدث بشأن صحة والديه المسنين، ولكن يمكنه التفكير في استراتيجيات لكيفية التعامل مع هذه العواطف التي لا يمكن تجنبها ومنعها من إرباكه، من هذه الاستراتيجيات المفيدة تدوين ما يزعج في دفتر يوميات، وما إلى ذلك. استبدال الأفكار السلبية بأخرى إيجابية وتكرار الأفكار الإيجابية يومياً لتثبيتها بدلاً من تلك السلبية هذه طرق رائعة للحفاظ على الهدوء، وبعض الناس يفضل إدارة مشاعره من خلال أخذ استراحة قصيرة من مخاوفه في شكل قراءة كتاب أو لعب لعبة أو مشاهدة برنامج تلفزيوني، أو الطبخ والخبز أو ربما الصراخ في وسادة. لا يهم حقاً ما يفعله الفرد طالما أنه يعمل بنشاط بما يجعله يفكر أو يتصرف بشكل أفضل.

عدم الحكم على النفس أو الآخرين: يتفاعل الناس مع هذا التفشي للفيروس بدرجات مختلفة من القلق بناءً على عوامل مثل وضعهم الفردي (على سبيل المثال، هل لديهم أطفال أو أفراد آخرين معرضين للقلق؛ هل يعرضهم عملهم لمرض محتمل؛ هل يتعاملون مع الضغوط المالية)، وخصائصهم الشخصية (على سبيل المثال، هل يعانون من القلق أو الاكتئاب حتى في ظل ظروف الحياة العادية). كما قد ينزلق الفرد في الحجر المنزلي إلى انتقاد الآخرين الموجودين معه في المنزل، هذا ما يمثل مشكلة خاصة إذا كان لدى أفراد الأسرة، وخاصة الشركاء، أساليب رد فعل وطرق مختلفة للتكيف، مما يسبب احتكاكاً ويحد من قدرتهم على دعم بعضهم البعض خلال هذه الأوقات العصيبة. من الضروري أن يضع الفرد في اعتباره. إن أنماط التكيف الشخصية تختلف ولا يمكن تغيير الأشخاص الآخرين، ولكن يمكن بذل جهد لتحمل ردود الفعل المختلفة².

تحفيز العقل: تجدر المحافظة على العقل مشغولاً ومتحدياً من خلال تخصيص وقت في الروتين اليومي لهذا الغرض مثل قراءة الكتب والمجلات والمقالات والاستماع إلى الموسيقى والأغاني ومشاهدة الأفلام والقيام بحل الألغاز.

¹ Miller,(2020), previous reference.

² APS (2020), previous reference.

كما تحتوي بعض المكتبات على تطبيقات يمكنك استخدامها لاستعارة الكتب الإلكترونية أو الكتب الصوتية أو المجالات من المنزل مجاناً وهناك الكثير من التطبيقات التي يمكن أن تساعد على تعلم أشياء ، مثل لغة أجنبية أو مهارات جديدة أخرى.¹

أهمية التنفس العميق: لا تحتاج هذه التقنية حتى إلى تنزيل تطبيق لتجربة تقليل القلق، على الفرد فقط التنفس ببساطة، بالطريقة 4-7-8، التي يمكن أن تعيد الشعور بالهدوء عندما يشعر الفرد أنه خارج نطاق السيطرة. تتضمن الطريقة التنفس لمدة أربع ثوان ، والاحتفاظ بها لمدة سبع ، والزفير لمدة ثمان. ولكن أكثر من العدد المحدد، ما يهم هو أن الزفير أطول من الشهيق، وإطالة الزفير تؤكد الإفراج عن كل ما في داخل الفرد، وإطلاق سراح كل ما يحدث وتخفف من التوتر.²

ضرورة التقليل من التعرض لوسائل الإعلام ، خاصة إذا الفرد يعاني من القلق قبل تفشي الوباء: فالذعر ينشأ عندما يبالغ الناس في تقدير التهديد ويقللون من قدراتهم على التأقلم ، فإن "مشاهدة التغطية الإعلامية التي تؤكد مراراً على الانتشار السريع للفيروس التاجي وعدم وجود علاج فعال" هي وقود لنيران القلق.

في حين أنه من الجيد أن تكون لديك فكرة عامة عما يحدث ، ولكن من المهم الحد من التعرض لوسائل الإعلام.³ من هنا يجدر اختيار الأخبار بعناية: من المهم أن يبقى الفرد على علم بما يحدث، ولكن لا ينبغي أن يكون هذا هو تركيزه الرئيسي في الحياة طوال فترة تفشي الفيروس والحجر المنزلي. هناك الكثير من المعلومات الخاطئة وتداول الأخبار المتضاربة، مما يزيد من الارتباك والتوتر للكثير من الناس. يرجع جزء من ذلك إلى الوضع سريع التطور الذي تكافح المنافذ الإخبارية الشرعية لمواكبته، وهناك جزء كبير من الأشخاص الذين ينشرون الشائعات، أو يستخدمون المعلومات الخاطئة لمحاولة بيع المنتجات أو دفع الأجندات السياسية. من الضروري مواكبة الأخبار الجديدة المحلية، ومن أجل ذلك ينبغي اختيار مصدر إخباري واحد يكون موثقاً، مع تحديد جدول زمني للتحقق من وجود تحديثات. لا يحتاج الفرد إلى مراقبة الأخبار على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع، والتعرض كل الوقت لعمليات التحقق من الأخبار المتعددة يوميًا، من خلال المراقبة المستمرة لأحدث المعلومات. وينطبق الشيء نفسه على وسائل التواصل الاجتماعي: التي من الممكن أن تكون طريقة رائعة للبقاء على اتصال بمصادر إيجابية للدعم الاجتماعي، لكنها ليست أماكن جيدة للحصول على معلومات ذات ثقة وموثوقية، فهذه المواقع تتعرض إلى الكثير من النظريات والشائعات المريبة، وتؤدي إلى الارتباك والتوتر. لذا يجب أن يضع الفرد في اعتباره الحد من استخدام وسائل التواصل الاجتماعي وأن يكون انتقائياً فيما يعرضه على نفسه من خلال جميع الوسائط.⁴

¹Mind(2020), previous reference.

²Miller,(2020),previous reference.

³Mind(2020),previous reference.

⁴ APS (2020),previous reference.

القلق: أول ما يجب معرفته حول القلق أن الشعور به حيال الفيروس التاجي أمر طبيعي وطبيعي جداً، فالقلق هو رد طبيعي على المجهول، خاصةً لأن الكثير عن الفيروس غير معروف حتى الآن، حتى للخبراء. على الرغم من أن التخلص من الضغط النفسي أمر صعب، إلا أنه يمكن ذلك من خلال عدة أمور:¹

تحديد ما يقلق: قد يكون من المفيد التوقف للحظة والتفكير فيما يقلق الفرد بشأنه بالفعل: هل هو قلق من المرض، أو أن أحد أفراد الأسرة سيصيبه المرض؟ أو أنه لن يستطيع الاستمرار في العمل وكسب المال؟ أو أنه لن يكون هناك إمدادات غذائية كافية في السوق المحلية؟ من المحتمل أن يكون القلق بشأن مجموعة كبيرة من المشكلات المحتملة ذات المستويات المتفاوتة من الجدية، ومن السهل أن يتم دمج هذه المخاوف معاً في سحابة دوامة من القلق والفرع والتي يصعب التعامل معها. هناك الكثير الذي يمكن للفرد القيام به للسيطرة على الضغط النفسي. وذلك من خلال البدء بتقسيم هذه السحابة من القلق إلى أجزاء يمكن التحكم فيها عن طريق التفكير بوعي في هذه الأسئلة: • بالضبط ما الذي يقلق الآن؟ وكتابة قائمة لإخراج الأفكار من العقل ومنحها بعض التركيبات. • ما مدى احتمالية تأثير كل من هذه التهديدات على الفرد حقاً؟ حينها قد يدرك الفرد أن بعض المخاوف غير مرجحة في الواقع لدرجة أنه يمكن شطبها من القائمة تمامًا، مما يحرر مساحة من الدماغ لمعالجة المخاوف التي تحتاج إلى أخذها بجدية. ثم تقسيم هذه القائمة بشكل أكبر إلى فئات لما يمكن التحكم فيه (جزئياً على الأقل) وما لا يمكن التحكم فيه، ووضع خطط لكيفية التعامل مع كلا النوعين من الاهتمامات.

البقاء على اتصال! أحد الأشياء التي يجدر بالجميع معرفتها هي أن الدعم الاجتماعي مهم جداً للصمود والتعافي خلال أوقات التوتر. كلما شعر الفرد بمزيد من العزلة والوحدة، زادت احتمالية تأثر صحته العقلية سلباً. من المحتمل أن يكون هذا مؤكداً بشكل خاص خلال هذا الوقت من العزل الذاتي والعزلة والتباعد الاجتماعي.

وما يساعد في هذه المواقف البقاء على اتصال بشبكة الدعم الاجتماعي للعائلة والأصدقاء والزملاء. حتى البقاء على اتصال منتظم مع شخص واحد يمكن أن يكون مفيداً. ولكن لا يكون ذلك التواصل للتحدث فقط عن ضغط الوضع الحالي (على الرغم من أن ذلك يمكن أن يكون مفيداً للأشخاص الذين يشعرون بالحاجة إلى التحدث عنه)، ولكن فقط التواصل مع الآخرين وإيجاد الوقت للتواجد معهم بشكل شخصي أو عملي.²

وعلى الفرد أن يكون سابقاً في التواصل مع الآخرين وسؤالهم عما يفعلون - مما سيعزز صحته النفسية بالإضافة إلى صحتهم، حيث سيشاركون بالدعم، الذي تظهر الأبحاث أنه يمكن أن يقلل التوتر. عندما يكون لدى الناس القدرة على التعبير عن الحب والدعم بطرق متنوعة، يمكن أن يجعل فترات الحجر الصحي هذه أكثر احتمالاً.

طلب المساعدة الافتراضية من أخصائي الصحة النفسية، أو تنزيل تطبيق على الهاتف للتخلص من التوتر: يقوم المعالجون في جميع أنحاء البلاد بتحويل ممارساتهم عبر الإنترنت، والعديد من خدمات العلاج النفسي الافتراضية تشهد ازدهاراً خاصة في الأزمات. بعض الخدمات قد غيرت عروضها في ضوء فيروس كورونا؛ وبعض المعالجين يعقدون جلسات علاج

¹ Miller,(2020), previous reference.

² APS (2020),previous reference.

جماعي مجانية على الإنترنت. ويمكن الاستفادة من تحميل تطبيقات التأمل الموجه أو تطبيقها عبر يوتيوب، مما يساعد على تعزيز الصحة النفسية لدى الأفراد.¹

محاولة الحفاظ على الروتين: ضرورة الحفاظ على روتين لجميع أفراد الأسرة وخاصة للأطفال، مع أوقات قراءة مقررة وقصص وأنشطة أخرى. وذلك من خلال تحقيق أكبر قدر ممكن من الحياة الطبيعية لهم، هذه الاستراتيجية مهمة للبالغين أيضاً، حيث يكون هناك روتين يومي للقيام بأنشطة مختلفة مثل التنقلات والاستمتاع ومواعيد الطعام. وذلك باتباع نفس الجدول الزمني للنوم وتناول الطعام مثل ما قبل انتشار الفيروس.² وسيتم شرح الروتين اليومي بشكل أوسع ضمن تكيف الأسرة ككل مع الحجر الصحي المنزلي.

استراتيجيات تكيف الأسرة ككل مع الحجر الصحي المنزلي:

المحافظة على الهدوء والطمأنينة: سيتفاعل الأطفال مع ردود أفعال والديهم اللفظية ويتبعونها، فما يقوله ويفعله الوالدين بشأن الفيروس، وجهود الوقاية الحالية، والأحداث ذات الصلة يمكن أن تزيد أو تقلل من قلق الأطفال وهنا لا بد من التأكيد للأطفال أنهم والعائلة على ما يرام، تذكيرهم بأنهم والكبار في مدرستهم موجودون للحفاظ على سلامتهم وصحتهم، مساعدتهم على التعبير عن مشاعرهم وإعادة صياغة مخاوفهم في المنظور المناسب، قضاء وقت أطول معهم، فقد يحتاج الأطفال إلى اهتمام إضافي من قبل الوالدين وقد يرغبون في التحدث عن مخاوفهم وطرح أسئلة حول ذلك. ومن المهم أن يعرف الأطفال أن لديهم شخصاً يستمع إليهم، وإشعارهم بالمحبة ومنحهم الكثير من المودة والعطف.

تجنب اللوم المفرط: عندما تكون التوترات شديدة، قد يحاول الأفراد أحياناً إلقاء اللوم على أحدهم، فمن المهم تجنب تحميل اللوم لأي مجموعة من الأشخاص مسؤولة عن الفيروس. وما يجب فعله هو إيقاف التعليقات التنمرية أو السلبية تجاه الآخرين وإبلاغ البالغين بها، وشرح ما تعنيه التعليقات التي قد يسمعونها الأطفال والتي قد تكون مختلفة عن القيم التي تم اكتسابها في المنزل.

مراقبة المشاهدة التلفزيونية ووسائل التواصل الاجتماعي: هذه الوسائل خطرة جداً، لذا لا بد من القيام بتقييد مشاهدة التلفزيون أو الوصول إلى المعلومات على الإنترنت وعبر وسائل التواصل الاجتماعي من خلال تجنبهم المشاهدة أو الاستماع إلى المعلومات التي قد تكون مزعجة للأطفال، والتحدث إلى الأطفال حول عدد من المعلومات حول الفيروس التي تم نشرها على الإنترنت التي قد تستند إلى الشائعات والمعلومات غير الدقيقة، والتأكيد حول المعلومات الواقعية لهذا المرض - يمكن أن يساعد ذلك في تقليل القلق. فمشاهدة التحديثات الإخبارية باستمرار حول وضع الفيروس إلى زيادة القلق لدى الأطفال - لذا يجب تجنب ذلك، من خلال دراية الوالدين بأن المعلومات غير الملائمة من الناحية النمائية (أي المعلومات

¹ Miller,(2020),previous reference.

² Miller,(2020),previous reference.

المصممة للبالغين) يمكن أن تسبب القلق أو الارتباك ، خاصة عند الأطفال والمراهقين، مع إشراك الأطفال في الألعاب أو الأنشطة الأخرى المثيرة للاهتمام بدلاً من ذلك .

ويجدر بالأهل تعريف الأبناء على أعراض الفيروس ولو بشكل مبسط، والتأكد من تقديم الحقائق فقط كي لا تؤدي المبالغة لمستوى عالٍ من التوتر، وتذكير الأطفال بأن البالغين يعملون على معالجة هذا الأمر، من خلال منح الأطفال الإجراءات التي يمكنهم اتخاذها لحماية أنفسهم. في غياب المعلومات الواقعية، غالبًا ما يتخيل الأطفال مواقف أسوأ بكثير من الواقع. كما يجدر بالأهل في الوقت ذاته عدم تجاهل مخاوف الأطفال، والشرح لهم أنه في الوقت الحالي هناك عدد قليل جدًا من الأشخاص في هذا البلد مصابون بالفيروس التاجي. كما يمكن إخبار الأطفال أن هذا المرض ينتشر بين الأشخاص الذين هم على اتصال وثيق مع بعضهم البعض - عندما يسعل الشخص المصاب أو يعطس، كما يُعتقد أيضًا أنه يمكن أن ينتشر عندما يلمس الفرد سطحًا أو كائنًا مصابًا بالعدوى، ولهذا السبب من المهم التأكيد عليهم لحماية أنفسهم.

المحافظة على تفسيرات مناسبة للعمر:

• يحتاج أطفال رياض الأطفال والمدارس الابتدائية المبكرة إلى معلومات موجزة وبسيطة يجب أن توازن بين حقائق الفيروس والتأكيدات المناسبة بأن مدارسهم ومنازلهم آمنة وأن البالغين موجودون للمساعدة في الحفاظ على صحتهم والعناية بهم إذا مرضوا. مع ضرورة إعطاء أمثلة بسيطة على الخطوات التي يتخذها الأشخاص يوميًا لإيقاف تكاثر الجراثيم والبقاء بصحة جيدة، مثل غسل اليدين. واستخدام لغة مثل: "يعمل الكبار بجهد للحفاظ على سلامتنا".

• سيكون أطفال المرحلة الابتدائية العليا والمرحلة الإعدادية أكثر صراحة في طرح الأسئلة حول ما إذا كانوا آمنين حقًا وماذا سيحدث إذا انتشر الفيروس في مدرستهم أو مجتمعهم. قد يحتاجون إلى المساعدة لفصل الواقع عن الشائعات والخيال. من هنا يجدر على الأهل توضيح جهود قادة المدارس والمجتمع المحلي لمنع الجراثيم من الانتشار.

• يستطيع طلاب المدارس الإعدادية والثانوية مناقشة القضية بطريقة أكثر عمقًا (مثل الكبار) ويمكن إحالتهم مباشرةً إلى المصادر المناسبة لحقائق الفيروس وتوفير معلومات صادقة ودقيقة وواقعية حول الوضع الحالي للفيروس إن امتلاك مثل هذه المعرفة يمكن أن يساعدهم على الشعور بالسيطرة على قلقهم.¹

التكيف مع التعليم أثناء الحجر الصحي المنزلي:

ليس من السهل تعويد الأطفال على التعلم في البيت عن بعد، وجعلهم يقومون بواجباتهم المدرسية أثناء الحجر المنزلي، ولكن هناك عدد من الطرق التي تساعد الأهل على القيام بذلك، من خلال الاكتشاف من مدرستهم ما هي الواجبات المنزلية والتعلم

¹National Association of School Psychologist(2020).Helping Children Cope With Changes Resulting From COVID-19: A Parent Resource, National Association of School Psychologists and National Association of School Nurses, NASP, 2020.Retrieved 24/3/2020 from:

[https://www.nasponline.org/resources-and-publications/resources-and-podcasts/school-climate-safety-and-crisis/health-crisis-resources/talking-to-children-about-covid-19-\(coronavirus\)-a-parent-resource](https://www.nasponline.org/resources-and-publications/resources-and-podcasts/school-climate-safety-and-crisis/health-crisis-resources/talking-to-children-about-covid-19-(coronavirus)-a-parent-resource)

الرقمي الذي سيكون متاحًا عند البقاء في المنزل، وما هي التكنولوجيا التي قد يحتاجونها، مع التذكر أن يضيف الأهل وقتًا للاستراحات والغذاء. أما إذا لم توفر لهم مدرستهم واجبات منزلية أو تعلمًا رقميًا، فيمكن تشجيع الأطفال حينها على اختيار الكتب أو الملفات التي يرغبون في استكشافها خلال وقتهم بعيدًا عن المدرسة. يمكن أيضًا التفكير في ألعاب الورق وألعاب الطاولة والألغاز وأي طرق أخرى للبقاء نشيطين أو مبدعين. بالنسبة للمراهقين الأكبر سنًا، هناك دورات مجانية عبر الإنترنت يمكنهم تجربتها. قد يحصل الشباب أيضًا على أنشطة أو موارد عبر الإنترنت يمكنك استخدامها¹.

بعض الطرق لتكييف الأطفال مع التعليم عن بعد في الحجر المنزلي:

يبدأ ذلك من خلال إعداد مساحة هي منطقة "التعليم المنزلي" المؤقتة. حيث يقوم الآباء بإعداد مكتب في زاوية هادئة من المنزل حيث يمكن للطفل الاحتفاظ بالكمبيوتر أو أيباد والكتب المدرسية والملاحظات - مما سيجعلهم يركزون بشكل أفضل ويمكن بقية أفراد الأسرة من مواصلة الحياة كالمعتاد. وإبقاء الهواتف بعيدًا، فالعزلة ستزيد فقط من رغبة الابن المراهق في التواصل اجتماعيًا، في حين أن بعض الاتصالات ستكون إيجابية لصحتهم العقلية، فإن العكس هو الصحيح فهي عندما تزيد عن الحد ستغذي وسائل التواصل الاجتماعي مشاعر العزلة والقلق. لذا من الضروري وضع بعض القواعد الأساسية لكيفية استخدام الهواتف خلال النهار، ومراقبة الحالة المزاجية للأبناء. وضرورة تحديد برنامج للدرس، كنوع من "الجدول الزمني" لكل يوم، مع التحفيز والتشجيع وجعل الطفل هو من يقوم بإعداد جدول زمني يناسبه ويغطي الموضوعات التي يحتاجها، مع اقتسام فترات الدراسة بفترات استراحة نشطة، والتأكد من أن الطفل يتحرك، ويخرج، ويأكل وجبات الطعام في الأوقات المناسبة ولديه محادثات دون اتصال بالإنترنت. ولا بد من طلب المساعدة المتخصصة، فلا أحد يتوقع من الأهل أن يصبحوا خبراء في التدريس بين عشية وضحاها، لذلك يجدر بهم طلب المساعدة عندما يحتاجونها، من المدرسة والاختصاصيين، ومن المرجح أن يشعر الآباء الذين لديهم أطفال أكبر بمزيد من الصعوبة، فالدراسة الذاتية هي مهارة صعبة بشكل لا يصدق لإتقان تلاميذ المدارس الإعدادية والثانوية دون أن يشرح لهم شخص ما المفاهيم. لذا تجدر المتابعة من قبل المدرسة عبر الإنترنت ما يمكنه مساعدة الأبناء الأكبر سنًا على سد أي ثغرات في معرفتهم ومنحهم دفعة من الثقة التي تشتد الحاجة إليها في وقت مربك وصعب كهذا الوقت².

التكيف من خلال روتين يومي للأسرة في الحجر الصحي المنزلي:

للحفاظ على التوازن بين العمل وردود الفعل، من الضروري وضع خطة أو جدولة وقت للوالدين والأولاد لتناول الطعام، ووقت للعمل، والاستراحات، والاستجمام، والأنشطة الأخرى، والقيام بأعمال منزلية، وما إلى ذلك. يمكن بهذه الطريقة إدارة نظام البيت والحصول على بعض الوقت الحر. ومن الأمور الأساسية، التأكد من بدء اليوم مع تناول طعام صحي والفيتامينات

¹Mind(2020),previous reference.

²Griffithis,Josie (2020).Home Schooling during coronavirus-How to teach your kids while schools are closed. The Sun, News UK Company, Published March 23,2020, Retrieved 25/3/2020 from:

<https://www.thesun.co.uk/fabulous/11181665/coronavirus-uk-school-closures-home-school-kids-quarantine/>

المتعددة وفيتامين ج والبروبيوتيك عند الحاجة. ومن الممكن قضاء وقت كذلك في العبادة والصلاة في بداية اليوم، حيث يكون هذا الوقت هو الوقت المناسب للعبادة معاً كعائلة.

تكييف الأطفال مع عمل الوالدين أثناء الحجر الصحي على الشكل التالي: ضرورة صنع محطة عمل في المنزل، فكل فرد بحاجة إلى بيئة عمل للتركيز عليها. كما أن وجود محطة عمل سيخلق بعض القيود للأطفال. وضرورة وضع بعض القيود على الأطفال، فلا يمكن للطفل اللعب بجهاز الكمبيوتر المحمول أو الهاتف أثناء العمل؛ ولا يجب أن يلعبوا في الغرفة عندما يكون أحد الوالدين مشغولاً في مكالمات اجتماعية أو مهنية، إلخ. مع إبقاء الأطفال مشغولين في نوع من النشاط بشكل مستمر مما سيتيح للوالدين بعض الوقت لإنهاء أعمالهم، لذا، يمكن إعطائهم دفتر تلوين أو أحجية أو ألعاب تركيبية أو إخبارهم بإجراء مراجعة لدراساتهم. يمكن أيضاً البدء في تدريسهم درس جديد¹. ولا بد من التركيز التحرك الجسدي للأطفال، فمن الضروري لهم ممارسة النشاط البدني كل يوم. وكذلك الأطفال الأكبر سناً الذين لا يرتدون عن ألعاب الفيديو والهاتف؟ يجب عليهم أيضاً وعلى الأهل ممارسة الرياضة يومياً، ليس لدى الجميع جهاز مشي أو دراجة ثابتة، ولكن لدى الجميع "يوتيوب" وإنترنت وهناك الكثير من مقاطع الفيديو التي تساعد على ممارسة الرياضة وقضاء وقت ممتع مع الأطفال. ومن المفيد أيضاً لعب لعبة واحدة على الأقل يومياً مع الأطفال، من خلال قضاء بعض الوقت في لعب بعض تلك الألعاب التي لا يلعبها الأهل بانتظام مع أولادهم إما لأنهم لم يكن لديهم الوقت الكافي لتعلمها أو لأنها تستغرق وقتاً أطول قليلاً للعب. أي لعبة قد تكون مناسبة. وهناك الكثير من الألعاب لتعلمها عبر الإنترنت. ومن المفيد أيضاً البحث عن مقاطع فيديو حول تعلم مهارات جديدة يحبها كل طفل أو مراهق أو يحبها الوالدين، حيث يمكن استغلال الوقت لتعلم مهارة جديدة. إن كان لدى أحد الوالدين مهارة ولم يكن لديه الوقت الكافي لتطويرها، فهذا هو الوقت المناسب للقيام بذلك، فهذا هو الوقت المثالي لنقل هذه المهارة إلى المستوى التالي. كما يجدر بالأهل تحديد موعد للأطفال للتحدث مع أصدقائهم باستخدام الإنترنت، فالتحدث مع الأصدقاء مفيد جداً لصحتهم النفسية خاصة من خلال تمكّنهم من رؤية رفاقهم عن بعد².

خاتمة:

أدى انتشار فيروس كورونا إلى شلّ حركة العالم ووضع البلاد في أزمة خانقة وعلى كل المستويات كما أدى إلى حجر الناس في دول عديدة في بيوتهم مما أدى إلى حالة من الهلع والرعب لدى جميع الأفراد، مما أثر بالتالي على حالتهم النفسية التي تأزمت

¹Chetterjee, Deblina(2020).Coronavirus Outbreak: Here's how you can deal with your kids while working from home.Pinkvilla.

Published online March,21,2020, Retrieved 25/3/2020 from:

<https://www.pinkvilla.com/lifestyle/people/coronavirus-outbreak-heres-how-you-can-deal-your-kids-while-working-home-during-quarantine-period-517753>

²A Year without the Grocery store (2020).Got Kids? How Do You Handle a Coronavirus Quarantine With Them? Published

March,26,2020,Retrieved 27/3/2020 from:

<https://ayearwithoutthegrocerystore.com/got-kids-how-do-you-handle-a-coronavirus-quarantine-with-them/>

بسبب القلق والتوتر الذي سيطر على حياتهم، خاصة بعد المبالغة الإعلامية والتضخم الإخباري والذي قد يكون بعضه مبالغ فيه أو غير صحيح. هذا المقال توجّه لهؤلاء الناس المحجوزين في بيوتهم بسبب تفشي الفيروس، والذين قد يعانون من بعض الأزمات النفسية كالقلق والتوتر والاكتئاب ولكن بدرجات لا تستدعي العلاج النفسي الطي، بل ما تحتاجه هو إيجاد طرق فعالة للتعامل مع النفس والأخر في الحجر الصحي المنزلي. إن متابعة الناس للأخبار حول الفيروس وانتشار المعلومات الخاطئة حوله على وسائل التواصل الاجتماعي قد يؤدي إلى زيادة الضغوط النفسية على الأفراد مما يعرضهم لمخاطر في الصحة النفسية والجسدية على حد سواء.

وبما أن فيروس كورونا أو الفيروس التاجي مستجد، فإن منظمة الصحة العالمية عاكفة على العمل مع البلدان والشركاء من أجل جمع مزيد من المعلومات عنه وتحديد آثاره على الصحة عموماً. كما أن التعامل مع الاضطراب في الحجر الصحي ليس بالأمر سهل، فمن من الضروري العناية بصحة الأفراد النفسية. من هنا كان الحل البحث عن طرق للتكيف مع هذا الحجر الصحي المنزلي، دون حاجة لشرح نظريات علمية لا يفهمها العامة من الناس، فما يهمهم هو التعامل بشكل فعال مع التوتر والقلق بشكل قابل للفهم والتطبيق، ومن أهم الاستراتيجيات، للتعامل مع القلق في الظروف الطارئة هي استراتيجية التكيف. هناك العديد من طرق واستراتيجيات التكيف للحصول على حلول سليمة في المواقف الصعبة، من خلال القيام ببعض التعديلات في حياتنا من نواحٍ عدة والقيام بأنشطة معينة. وقد ركز المقال الحالي على استراتيجيات التكيف الإيجابية: الصحية والمعرفية والعاطفية والسلوكية، التي هي أي إجراءات يتخذها الفرد لإدارة وتخفيف التوتر في حياته، مما يجعل الأفراد أكثر قدرة على مواجهة التحديات في الأوقات العصيبة، وربما أكثر سعادة. ولم يتم تصنيف هذه الاستراتيجيات تبعاً لنوع التكيف لأنها تبقى متداخلة مع بعضها البعض وتفيد الفرد من كل النواحي الجسدية والنفسية والعاطفية والمعرفية والاجتماعية وعلى مستوى الأفعال، فالإنسان هو كل متكامل تؤثر جميع جوانبه على بعضها البعض سلباً أو إيجاباً. فالاضطرابات النفسية التي قد يسببها ظهور الفيروس والحجر الصحي المنزلي، قد تقل إلى درجة كبيرة من خلال تقديم استراتيجيات تكيف عامة للأفراد، واستراتيجيات للأسر بشكل عام واستراتيجيات يقدمها الآباء لضمان تكيف أبنائهم مع الحجر الصحي المنزلي.

فالتكيف الصحي هو القيام بكل ما يمكن للفرد لحماية نفسه وعائلته، بما في ذلك ممارسات النظافة والتباعد الاجتماعي والتحقق من مدى استعدادة للبقاء في المنزل. والتكيف المعرفي يتناول التفكير الإيجابي والتركيز على ما هو لدى الفرد الآن وعدم تمني التغيير في الوقت الحالي وتغيير ما يستطيع تغييره فقط وتحفيز العقل من خلال الأنشطة المختلفة. أما التكيف السلوكي (النشاطي) فهو القيام بعدد من الأنشطة والمهام المحفزة من خلال التركيز على روتين يومي معين ولكنه روتين مرن وقابل للتعديل. والتكيف العاطفي يركز على تمارين الاسترخاء والتنفس العميق والتقليل من التعرض لوسائل الإعلام، واختيار الأخبار بعناية من أجل تحديد ما يقلق والعمل على الحد منه، والحصول على الدعم الاجتماعي من خلال البقاء على تواصل مع الآخرين عبر شبكة التواصل الاجتماعي. وعند الحاجة واستمرار القلق رغم كل استراتيجيات التكيف لا بد من طلب المساعدة الافتراضية من أخصائي الصحة النفسية. ثم تم التركيز على تكيف الأسرة مع الحجر الصحي المنزلي، من خلال تقديم استراتيجيات للأهل لضمان تكيف الأطفال مع الحجر المنزلي.

عهدت البحوث النظرية على تقديم محتوى نظري خاص لأصحاب الاختصاص والباحثين دون توجيه هذا المحتوى للعامّة من الناس، ولكن مع هذه الظروف الطارئة والخطيرة، وجب التوجّه لكل الأفراد في المجتمع من أجل توعيتهم وثقيفهم وتقديم المعلومات الموثوقة لهم، والأهم من ذلك كله تقديم طرق عملية لهم للتعامل مع أنفسهم والآخرين في أسرهم مما يساعدهم على التكيف مع هذه الفترة الصعبة التي يقضونها في الحجر الصحي. وقد اعتمد المقال الحالي على البحث والتقصي عن أهم الطرق والاستراتيجيات للتكيف الأسري مع الحجر الصحي بعد ترجمة العديد من المقالات الأجنبية للاستفادة من تجارب الغرب وما كانوا يقومون به أثناء الأزمات الطارئة، وهو ما يجب أن نقوم به في مجتمعاتنا العربية من خلال أبحاث علمية طارئة لظروف طارئة، لتقديم كل ما يهم الفرد في وضعه الحالي من حلول عملية تساعد على قضاء فترة الحجر الصحي المنزلي من خلال الرجوع لاستراتيجيات علمية مفيدة وليس الاعتماد على ما تقدمه وسائل التواصل الاجتماعي من معلومات وأساليب قد تكون خاطئة وغير مؤكدة أو الاعتماد على تفسيرات علمية نظرية لا يفهمها. فالمقال الحالي هو تجربة علمية جديدة تهدف للوصول لكافة الناس ومساعدتهم على التعامل مع قلقهم ومخاوفهم في مواجهة تفشي فيروس كورونا، باستخدام استراتيجيات تكيف عملية وقابلة للتطبيق الأسري والفردية.

قائمة المراجع:

1. A Year without the Grocery store (2020). Got Kids? How Do You Handle a Coronavirus Quarantine With Them? Published March, 26, 2020, Retrieved 27/3/2020 from: <https://ayearwithoutthegrocerystore.com/got-kids-how-do-you-handle-a-coronavirus-quarantine-with-them/>
2. American Psychological Association (2020). Seven crucial research Findings that can help people deal with COVID-19. Published online March 2020, Retrieved 26/3/2010 from: <https://www.apa.org/news/apa/2020/03/covid-19-research-findings>
3. Australian Psychological Society, APS (2020). Tips For Coping with coronavirus anxiety. Retrieved 25/3/2020 from: <file:///C:/Users/ctop/Desktop/pss%20for%20corona/coping%20with%20anxiety%20in%20the%20age%20of%20corona.pdf>
4. Charles S. Carver & Jennifer Connor-Smith (2010). Personality and Coping. *Annual Review of Psychology* Volume 61, 2010, pp 679-704. Published online July 2, 2009, Retrieved 28/3/2020 from: <https://www.annualreviews.org/doi/full/10.1146/annurev.psych.093008.100352> <https://doi.org/10.1146/annurev.psych.093008.100352>
5. Cherry, Kenra (2020). Medically reviewed by Steven Gans, MD, How to cope with quarantine. VeryWellmind. Published March, 18, 2020, Retrieved 28/3/2020 from: <https://www.verywellmind.com/protect-your-mental-health-during-quarantine-4799766>
6. Chetterjee, Deblina (2020). Coronavirus Outbreak: Here's how you can deal with your kids while working from home. Pinkvilla. Published online March, 21, 2020, Retrieved 25/3/2020 from: <https://www.pinkvilla.com/lifestyle/people/coronavirus-outbreak-heres-how-you-can-deal-your-kids-while-working-home-during-quarantine-period-517753>
7. Griffiths, Josie (2020). Home Schooling during coronavirus-How to teach your kids while schools are closed. The Sun, News UK Company, Published March 23, 2020, Retrieved 25/3/2020 from:

<https://www.thesun.co.uk/fabulous/11181665/coronavirus-uk-school-closures-home-school-kids-quarantine/>

8. Madhuleena, Roy Chowdhury(2020). What is Coping Theory.Psitive Psychology.Published:17,1,2020. Retrieved 28/3/2020 from <https://positivepsychology.com/coping-theory/>
9. Miller,Anna Medaris(2020). 10 ways to cope with coronavirus anxiety, according to psychologists. Business Insider, Published March,20,2020, Retrieved 25/3/2020 from: <https://www.businessinsider.com/how-to-cope-with-coronavirus-covid-19-anxiety-psychologist-2020-2>
10. Mind(2020).Coronavirus and your wellbieng. Published march,26,2020, Retrieved 26/3/2020 from:<https://www.mind.org.uk/information-support/coronavirus-and-your-wellbeing/#collapse447c3>
11. Nanshan Chen*, Min Zhou*, Xuan Dong*, Jieming Qu*, Fengyun Gong, Yang Han, Yang Qiu, Jingli Wang, Ying Liu, Yuan Wei, Jia'an Xia, Ting Yu, Xinxin Zhang, Li Zhang(2020). Epidemiological and clinical characteristics of 99 cases of 2019 novel coronavirus pneumonia in Wuhan, China: a descriptive study. *Lancet* 2020; 395: 507–13, Published Online January 29, 2020 [https://doi.org/10.1016/S0140-6736\(20\)30211-7](https://doi.org/10.1016/S0140-6736(20)30211-7), Retrieved 28/3/2020 from: <https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0140673620302117>
12. National Association of School Psychologist(2020).Helping Children Cope With Changes Resulting From COVID-19: A Parent Resource, National Association of School Psychologists and National Association of School Nurses, NASP, 2020.Retrieved 24/3/2020 from: [https://www.nasponline.org/resources-and-publications/resources-and-podcasts/school-climate-safety-and-crisis/health-crisis-resources/talking-to-children-about-covid-19-\(coronavirus\)-a-parent-resource](https://www.nasponline.org/resources-and-publications/resources-and-podcasts/school-climate-safety-and-crisis/health-crisis-resources/talking-to-children-about-covid-19-(coronavirus)-a-parent-resource)
13. Québec (2020). Stress, Anxiety and Depression Associated With the Coronavirus COVID-19 Disease. Published March 24, 2020, Retrieved 26/3/2020 from: <https://www.quebec.ca/en/health/health-issues/a-z/2019-coronavirus/stress-anxiety-and-depression-associated-with-the-coronavirus-covid-19-disease/>
14. Reach Out(2017).Developing Positive Coping Strategies.Retrieved 28/3/2020 from: <http://www.distance.vic.edu.au/wp-content/uploads/2017/06/DevelopingPositiveCopingStrategies.pdf>
15. Veloso, ThumbServer(2020). Smart Parenting,published online March,17,2020, Retrieved 23/3/2020 from:<https://www.smartparenting.com.ph/parenting/preschooler/routine-schedule-during-quarantine-a1669-20200317-lfrm>
16. Wati,NendenLesmana (2018).THE RELATIONSHIP BETWEENAGAINST THE REGULATION DORMITORY QUARANTINE.Vol 10 No 2 (2018): The Malaysian Journal of Nursing,p123 ,Retrieved 28/3/2020/from: <http://ejournal.lucp.net/index.php/mjn/article/view/169>
17. Wilder-Smith, MD, D O Freedman, MD(2020). Isolation, quarantine, social distancing and community containment: pivotal role for old-style public health measures in the novel coronavirus (2019-nCoV) outbreak.*Journal of Travel Medicine*, Volume 27, Issue 2, March 2020, taaa020, <https://doi.org/10.1093/jtm/taaa020>, Published:13 February 2020, Retrieved 28/3/2020 from <https://academic.oup.com/jtm/article/27/2/taaa020/5735321>
18. World Health Organization(2020). Coronavirus infection. Retrieved 27/3/2020 from: https://www.who.int/topics/coronavirus_infections/ar/.
19. Xiang YT, Yang Y, Li W, Zhang L, Zhang Q, Cheung T, &Ng CH(2020). Timely mental health care for the 2019 novel coronavirus outbreak is urgently needed. *Lancet Psychiatry*. 2020 Mar;7(3):228-229. doi: 10.1016/S2215-0366(20)30046-8. Epub 2020 Feb 4.Retrieved 28/3/2020 from [https://www.thelancet.com/journals/lanpsy/article/PIIS2215-0366\(20\)30046-8/fulltext](https://www.thelancet.com/journals/lanpsy/article/PIIS2215-0366(20)30046-8/fulltext)
20. Yanping Bao, Yankun Sun, Shiqiu Meng, Jie Shi, Lin Lu(2020). 2019-nCoV epidemic: address mental health care to empower society *The Lancet*, Volume 395, Issue 10224, 2020, pp. e37-e38,Pages e37-e38 Published Online February 7, 2020

<https://doi.org/10.1016/>

S0140-6736(20)30309-3,retrieved

28/3/2020

from:

<https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0140673620303093>

أثر الإعاقة السمعية في ظهور عسر القراءة عند الطفل المتمدرس

The effect of hearing impairment on the appearance of dyslexia in the school child.

د. عبد الرزاق سيب ♦ د. فاطمة بور/ جامعة تلمسان

Dr. Abderrezak SIB ♦ Dr. Fatima Bor/ University Of Tlemcen

ملخص:

تناولت الدراسة موضوع أثر الإعاقة السمعية في ظهور عسر القراءة عند الطفل المتمدرس، وللتحقق من عسر القراءة لدى المصاب بالضعف السمعي اعتمدنا على المنهج العيادي ودراسة الحالة بإجراء اختبار تشخيصي لصعوبات القراءة لفتحي مصطفى الزيات فقمنا بدراسة أربع حالات تعاني من الضعف السمعي حيث لا يتجاوز هذا الضعف الفئة المحددة وهي 35-69 ديسيبل وتراوح أعمارهم بين 9-15 سنة.

وقد أسفرت النتائج على أن التلميذ الذي يعاني ضعفا سمعيا يعاني صعوبة قراءة واضحة وانخفاض وتراجعا في القدرات القرائية.

الكلمات المفتاحية: الإعاقة السمعية، عسر القراءة.

Abstract:

The study dealt with the impact of hearing disability on the development of dyslexia in the school child. In order to verify the dyslexia of the hearing-impaired patient, we relied on the clinical approach and the case study by conducting a diagnostic test for the reading difficulties of Fathi Mostafa El Zayat. We studied four cases of hearing impairment, defined are 35-69 dB and ranged in age from 9-15 years.

The results have shown that a student with auditory impairment has difficulty reading clearly and with a decrease in literacy abilities.

Keywords : hearing disability, dyslexia.

تمهيد:

يعتمد إدراك الإنسان لعالمه على المعلومات التي يستقبلها عبر حواسه المختلفة (السمع، البصر، الشم، الذوق، اللمس)، فعند حدوث أي خلل في واحدة منها أو أكثر ينجم عن ذلك صعوبات متعددة، وحاسة السمع تشكل حجر الزاوية بالنسبة لتطور السلوك الاجتماعي للفرد كما تمكنه من فهم بيئته وتعلم المهارات اللغوية والتواصلية والقرائية، حيث أن هذه الأخيرة تعتمد بشكل كبير على المدركات السمعية، أي ضعف في السمع قد يخلق ما يسمى بعسر القراءة، ولأهمية هذا الموضوع لامتسناه بالدراسة لتبيين الأثر الذي تخلقه الإعاقة السمعية في الجانب التعليمي، خاصة في عسر القراءة.

1- الخلفية النظرية وإشكالية الدراسة:

إن أي قصور في حاسة من الحواس يؤثر بطبيعة الحال على الأداء الوظيفي لهذه الحاسة، والسمع من الحواس المهمة للإنسان لأنه يساعده على إدراك عالمه منذ الصغر، واللغة هي وسيلة التواصل التي يستعملها للتعبير عن انفعالاته ورغباته، واللغة المقروءة جزء أساسي من هذه العملية التواصلية، وأي خلل يصيب هذه الحاسة قد يؤثر بشكل سلبي على جوانب شخصية الطفل الانفعالية والاجتماعية واللغوية والأكاديمية.

ومن هذا المنطلق جاءت فكرة هذه الدراسة للبحث عن تأثير الإعاقة السمعية على ظهور عسر القراءة عند الطفل الممتدرس، وقد انطلقنا من دراسات سابقة نذكر أهمها:

- دراسة الحلواني سنة 1999:

درس مهارات القراءة عند 114 تلميذا وتلميذة من تلاميذ المدارس في الإمارات العربية حيث قسمهم إلى ثلاث مجموعات، الأولى تتكون من 38 من عمر 8 سنوات من ذوي التحصيل المتوسط، أما الثانية فتتكون من 38 تلميذ متوسط أعمارهم 10 سنوات من ذوي التحصيل المتأخر، والثالثة تتكون من 38 تلميذ متوسط أعمارهم 11 سنة يعانون إعاقه سمعية متفاوتة، وقد توصل الباحث إلى وجود تشابه بين مهارات القراءة لدى التلاميذ متوسطو التحصيل والمعاقين سمعياً¹

دراسة ثابت 2002:

هدفت الدراسة إلى تقييم مستوى القدرات القرائية لدى عينة من ضعاف السمع في معاهد التربية الخاصة مقارنة بالطلاب العاديين بمدينة الرياض، وقد اشتملت الدراسة على عينة 121 تلميذا من صف السادسة ابتدائي وتضمنت عينة ضعاف السمع 62 تلميذا وكانت درجة ضعف السمع لدى هذه المجموعة تتراوح بين المتوسط والشديد، أما عينة العاديين فتتكون من 59 تلميذا، وأشارت النتائج إلى أن هناك فروقا دالة إحصائيا في درجات المهارات القرائية المختلفة بين ضعاف السمع والعاديين، كذلك أظهرت النتائج أن طول مدة السنوات الدراسية يؤدي إلى تقدم في مستوى غالبية المهارات القرائية التي تم تقييمها لدى ضعاف السمع².

¹- حنفي علي عبد رب النبي، مدخل إلى الإعاقة السمعية، الرياض، ط1، 2003، ص50.

²- فتحي مصطفى الزيات، المتفوقون عقليا ذوو صعوبات التعلم قضايا التعريف، التشخيص والعلاج، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2002، ص72.

فقد كشفت الدراسات أن طفلا من ألف ولادة يكون معرضا للإصابة بإعاقة سمعية¹.

وكلما تأخر اكتشاف هذه الإعاقة عند الطفل كلما زاد تأثيرها على اكتساب مهاراته وعلى شخصيته، ولما كانت اللغة مكتسبة عن طريق التقليد والمحاكاة فإن أي خلل يصيب حاسة السمع قد يترتب عنه فقدان للنطق أو حدوث عيب في طريقة النطق، ومن هذا المنطلق نطرح الإشكال الآتي:

إلى أي مدى تؤثر الإعاقة السمعية في ظهور عسر القراءة عند الطفل المتمدرس؟

وللإجابة عن هذا الإشكال قمنا بطرح الفرضية التالية:

- إن الإعاقة السمعية تؤثر بشكل كبير في ظهور عسر القراءة عند الطفل المتمدرس.

2- أهداف وأهمية الدراسة:

تتلخص أهمية الدراسة في النقاط الآتية:

التحقق تجريبيا من مدى تأثير الإعاقة السمعية في حدوث عسر القراءة عند الطفل المتمدرس.

الاسهام في كشف وفهم كيفية ارتباط العملية الكلامية بالعملية السمعية عند الطفل.

3- تحديد التعاريف الإجرائية:

عسر القراءة:

يقصد بها ضعف أو قصور القدرة على التعرف على الحروف والكلمات والجمل والفهم القرائي لمعاني ومضامين النصوص القرائية.

ويشخص أصحاب عسر القراءة من خلال المعيار الآتي:

عاديون: صفر-22.

صعوبات خفيفة: 22-40.

صعوبات متوسطة: 41-60.

صعوبات شديدة: 61 فأكثر.

الإعاقة السمعية:

كل انخفاض أحادي أو ثنائي للسمع مهما كانت درجته وتموقعه ونقصه بها فئة ضعاف السمع التي تقدر درجة فقدانهم السمع 35 إلى 69 ديسيبل².

¹- أحمد السعيد، مدخل إلى الديسليكسيا، دار اليازوري العلمية، عمان، ط1، ص33.

²- عصام حمدي الصدي، الإعاقة السمعية، دار اليازوري العلمية، عمان، ط1، 2007، ص33.

4- حدود الدراسة:

أقيمت الدراسة على أربع حالات بمدرسة صغار الصم بعي الرياض الكبير بتلمسان، ودامت هذه الدراسة أسبوعين من 09-2013 إلى 05-2013.

5- أدوات الدراسة:

➤ المقابلة.

➤ الملاحظة العيادية.

➤ تاريخ الحالة .

➤ اختبار مقياس التقدير التشخيصي لصعوبات القراءة لفتحي مصطفى الزيات:

يتكون المقياس من (20) فقرة وهي عبارة عن خصائص سلوكية، ويهدف المقياس إلى الكشف عن التلاميذ ذوي الاضطرابات أو صعوبات القراءة الذين يتواتر لديهم ظهور بعض الخصائص السلوكية المتعلقة بعسر القراءة مثل: (يببدو عصبيا، متململا، عبوسا عندما يقرأ)، والسؤال يوجه لأحد الوالدين أو للمعلم لمدى العلاقة الموجودة بينهم وبين التلميذ المتأثر وكذا ملاحظتهم لتكرار هذه الخصائص السلوكية لديه لأنها شرط أساسي لاستخدام المقياس بشكل صحيح.

وبعد قراءة الفقرات بعناية يتم وضع العلامة (X) أمام الفقرة وفي خانة التقدير التي تكون أكثر انطباقا على الابن (التلميذ).

وتتميز الإجابة على بنود المقياس في مدى خماسي بين: دائما تحدث بأربع درجات (4)، غالبا ثلاث درجات (3)، أحيانا درجتين (2)، وناذرا بدرجة واحدة (1)، لا تنطبق صفر درجة (0).

ثم نقوم بجمع كل النقاط لوضعها في خانة الاختبار وبعد جمع كل الدرجات نقوم بضبط الصعوبة لدى التلميذ من خلال معيار التقدير والموضحة في الجدول الآتي:

مدى التقدير				المعيار	الصعوبة
صعوبات شديدة	صعوبات متوسطة	صعوبات خفيفة	عاديون		
61 فأكثر	41-60	22-40	صفر-22	الدرجة الخام	القراءة
73-99	33-72	11-32	1-11	المقابل المثوي	

وبعد ذلك نقوم بضبط الصعوبة لدى التلميذ من خلال معيار التقدير إذا كان عادي أو لديه صعوبات خفيفة أو صعوبات متوسطة أو شديدة.

وهذا المقياس مقنن على البيئة المصرية، وقد تميز بالحصول على مستوى عالي من الصدق والثبات.

الثبات:

لقد تم إعادة حساب ثبات مقياس التقدير التشخيصي للعينة المدروسة في المجتمع الجزائري من طرف الباحث حيث بلغ معامل الثبات بطريقة الاتساق الداخلي لمقياس القراءة والذي تراوح بين (0,921، 0,972).

وقد تم كذلك دراسة ثبات المقياس بطريقة التجزئة النصفية من طرف الباحث على نفس العينة السابقة حيث بلغ معامل الثبات (0,910، 0,965).

الصدق:

تم التحقق من صدق المقياس بعدة طرق:

- صدق المحتوى: جميع الفقرات تستوفي مؤشر للقوة التمييزية المناسبة لقبول أي فقرة في المقياس.
 - الصدق البنائي أو صدق التكوين: تم حساب العلاقات الارتباطية البينية بين درجات المقياس الفرعية واتضح أن جميع معلومات الارتباط دالة عند مستوى (0,01).
 - الصدق العاملي: إن العامل الناتج عن التحصيل يسهم اسهاما دالا في التباين الكلي المفسر لظاهرة صعوبات التعلم، الأمر الذي يمكن معه الاطمئنان إلى صدق مقياس التقدير وأبعاده الفرعية، وفي الكشف عما يستهدف قياسه في ضوء الارتباط بين أنماط صعوبات التعلم الذي كشفت عنه بعض الدراسات منها دراسة مصطفى الزيات 2003¹.
- 6- تطبيق اختبار عسر القراءة على أربع حالات:

¹ - سعيد حسني العزة، الإعاقة السمعية واضطراب الكلام والنطق واللغة، الدار العلمية الدولية، عمان، ط1، 2001، ص40.

- الحالة الأولى:

م	الخصائص\السلوك	دائماً (4)	غالبا (3)	أحيانا (2)	نادرا (1)	لا تنطبق (صفر)	الفریفة
1	يبدو عصبيا-متمللا-عبوسا عندما يقرأ				X		1
2	يقرأ بصوت مرتفع وحاد-يضغط على مخارج الحروف		X				3
3	يقاوم القراءة، يبكي، يفتت المقاطع والكلمات				X		1
4	يفقد مكان القراءة، ويعيد ما يقرأ بصورة متكررة		X				3
5	ينطق بطريقة متقطعة متشنجة خلال القراءة	X					4
6	يبدو قلقا مرتبكا، يقرب مواد القراءة من عينه		X				3
7	يحذف بعض الكلمات، يقفز من موقع إلى آخر أثناء القراءة		X				3
8	يستبدل بعض الكلمات بكلمات أخرى غير موجودة بالنص				X		1
9	يعكس\أو يستبدل بعض الحروف والكلمات				X		1
10	يخطئ في نطق الكلمات، يعاني من سوء نطق الحروف	X					4
11	يقرأ دون أن يبدي نوعا من الفهم لما يقرأ	X					4
12	يقرأ الكلمات بترتيب خاطئ		X				3
13	يبدي ترددا عند الكلمات التي لا يستطيع نطقها	X					4
14	يجد صعوبة في التعرف على الحروف والمقاطع والكلمات	X					4
15	يجد صعوبة في استنتاج الحقائق والمعاني الواردة في النص	X					4
16	يفشل في إعادة مضمون قصة قصيرة بعد قراءتها	X					4
17	يعجز عن استنتاج الفكرة الرئيسية لما يقرأ	X					4
18	يقرأ بطريقة متقطعة: حرف حرف، مقطع مقطع، كلمة كلمة	X					4
19	يقرأ بصوت مرتفع وحاد، ومتشنج	X					4
20	يجد صعوبة في استخدام النقط والفواصل والوقف عند القراءة	X					4
63	المجموع						

من خلال تطبيق اختبار عسر القراءة على الحالة الأولى وبعد احتساب الدرجات تحصلنا على مجموع نقاط يساوي 63 وذلك ما يندرج ضمن فئة [61 فأكثر] في جدول التقدير وما يقابلها هي صعوبات شديدة من حيث صعوبات القراءة.

- الحالة الثانية:

م	الخصائص\السلوك	دائماً (4)	غالباً (3)	أحياناً (2)	نادراً (1)	لا تنطبق (صفر)	الفرجة
1	يبدو عصبياً-متمللاً-عبوساً عندما يقرأ	X					4
2	يقرأ بصوت مرتفع وحاد-يضغط على مخارج الحروف		X				3
3	يقاوم القراءة، يبكي، يفتت المقاطع والكلمات			X			2
4	يفقد مكان القراءة، ويعيد ما يقرأ بصورة متكررة		X				3
5	ينطق بطريقة متقطعة متشنجة خلال القراءة		X				3
6	يبدو قلقاً مرتبكاً، يقرب مواد القراءة من عينه		X				3
7	يحذف بعض الكلمات، يقفز من موقع إلى آخر أثناء القراءة	X					4
8	يستبدل بعض الكلمات بكلمات أخرى غير موجودة بالنص				X		1
9	يعكس\أو يستبدل بعض الحروف والكلمات				X		1
10	يخطئ في نطق الكلمات، يعاني من سوء نطق الحروف	X					4
11	يقرأ دون أن يبدي نوعاً من الفهم لما يقرأ	X					4
12	يقرأ الكلمات بترتيب خاطئ				X		2
13	يبدي تردداً عند الكلمات التي لا يستطيع نطقها			X			3
14	يجد صعوبة في التعرف على الحروف والمقاطع والكلمات				X		2
15	يجد صعوبة في استنتاج الحقائق والمعاني الواردة في النص	X					4
16	يفشل في إعادة مضمون قصة قصيرة بعد قراءتها				X		2
17	يعجز عن استنتاج الفكرة الرئيسية لما يقرأ	X					4
18	يقرأ بطريقة متقطعة: حرف حرف، مقطع مقطع، كلمة كلمة	X					4
19	يقرأ بصوت مرتفع وحاد، ومنتشج	X					4
20	يجد صعوبة في استخدام النقط والفواصل والوقف عند القراءة		X				3
60	المجموع						

أما الحالة الثانية فتحصلنا على مجموع نقاط يساوي 60 درجة وهي تندرج ضمن فئة [41-60] في جدول المعايير والتقدير لهذا نجد أن الحالة تعاني من صعوبات متوسطة في القراءة.

- الحالة الثالثة:

م	الخصائص\السلوك	دائماً (4)	غالبا (3)	أحيانا (2)	نادرا (1)	لا تنطبق (صفر)	الفریفة
1	يبدو عصبيا-متمللا-عبوسا عندما يقرأ				X		1
2	يقرأ بصوت مرتفع وحاد-يضغط على مخارج الحروف	X					4
3	يقاوم القراءة، يبكي، يفتت المقاطع والكلمات				X		1
4	يفقد مكان القراءة، ويعيد ما يقرأ بصورة متكررة				X		1
5	ينطق بطريقة متقطعة متشنجة خلال القراءة		X				2
6	يبدو قلقا مرتبكا، يقرب مواد القراءة من عينه		X				3
7	يحذف بعض الكلمات، يقفز من موقع إلى آخر أثناء القراءة		X				3
8	يستبدل بعض الكلمات بكلمات أخرى غير موجودة بالنص		X				3
9	يعكس\أو يستبدل بعض الحروف والكلمات		X				3
10	يخطئ في نطق الكلمات، يعاني من سوء نطق الحروف		X				2
11	يقرأ دون أن يبدي نوعا من الفهم لما يقرأ		X				2
12	يقرأ الكلمات بترتيب خاطئ				X		1
13	يبدي ترددا عند الكلمات التي لا يستطيع نطقها				X		1
14	يجد صعوبة في التعرف على الحروف والمقاطع والكلمات				X		1
15	يجد صعوبة في استنتاج الحقائق والمعاني الواردة في النص		X				2
16	يفشل في إعادة مضمون قصة قصيرة بعد قراءتها	X					4
17	يعجز عن استنتاج الفكرة الرئيسية لما يقرأ		X				3
18	يقرأ بطريقة متقطعة: حرف حرف، مقطع مقطع، كلمة كلمة				X		1
19	يقرأ بصوت مرتفع وحاد، ومتشنج		X				2
20	يجد صعوبة في استخدام النقط والفواصل والوقف عند القراءة		X				2
42	المجموع						

أما الحالة الثالثة فتحصلنا على مجموع نقاط 42 درجة وهي تندرج ضمن [41-60] والتي تقابلها صعوبات متوسطة من حيث صعوبات القراءة.

- الحالة الرابعة:

م	الخصائص\السلوك	دائماً (4)	غالباً (3)	أحياناً (2)	نادراً (1)	لا تنطبق (صفر)	الفرجة
1	يبدو عصبياً-متمللاً-عبوساً عندما يقرأ				X		1
2	يقرأ بصوت مرتفع وحاد-يضغط على مخارج الحروف	X					4
3	يقاوم القراءة، يبكي، يفتت المقاطع والكلمات					X	0
4	يفقد مكان القراءة، ويعيد ما يقرأ بصورة متكررة				X		1
5	ينطق بطريقة متقطعة متشنجة خلال القراءة			X			2
6	يبدو قلقاً مرتبكاً، يقرب مواد القراءة من عينه					X	0
7	يحذف بعض الكلمات، يقفز من موقع إلى آخر أثناء القراءة			X			2
8	يستبدل بعض الكلمات بكلمات أخرى غير موجودة بالنص				X		1
9	يعكس\أو يستبدل بعض الحروف والكلمات				X		1
10	يخطئ في نطق الكلمات، يعاني من سوء نطق الحروف		X				3
11	يقرأ دون أن يبدي نوعاً من الفهم لما يقرأ			X			2
12	يقرأ الكلمات بترتيب خاطئ				X		1
13	يبدي تردداً عند الكلمات التي لا يستطيع نطقها			X			2
14	يجد صعوبة في التعرف على الحروف والمقاطع والكلمات				X		1
15	يجد صعوبة في استنتاج الحقائق والمعاني الواردة في النص		X				3
16	يفشل في إعادة مضمون قصة قصيرة بعد قراءتها		X				3
17	يعجز عن استنتاج الفكرة الرئيسية لما يقرأ			X			2
18	يقرأ بطريقة متقطعة: حرف حرف، مقطع مقطع، كلمة كلمة			X			2
19	يقرأ بصوت مرتفع وحاد، ومنتشج			X			2
20	يجد صعوبة في استخدام النقط والفواصل والوقف عند القراءة		X				3
36	المجموع						

أما الحالة الرابعة فكان مجموع النقاط يساوي 36 درجة وهي تندرج ضمن فئة [22-40] في جدول المعايير فالحالة تعاني من صعوبات خفيفة في القراءة.

7- مناقشة النتائج العامة:

دلت نتائج الدراسة عموماً على أن الإصابة بإعاقة سمعية وبالتحديد ضعف السمع له الأثر البالغ في ظهور عسر القراءة عند الطفل المتمدرس، وذلك من خلال الحالات الأربع التي طبقنا فيها اختبار عسر القراءة حيث أظهرت نتائج الحالة الأولى أنها تعاني من صعوبة قراءة شديدة أما الحالة الثانية فكانت تعاني من صعوبات متوسطة في القراءة والحالة الثالثة كانت نفس الشيء أما الحالة الرابعة فكانت صعوبات القراءة عندها خفيفة وذلك للعناية الفائقة التي كانت توليها الأسرة لهذه الحالة.

وتبين لنا من خلال الدراسة أن شدة صعوبات القراءة تتحدد بنسبة الضعف السمعي وكذا الاهتمام الأسري والمدرسي، وقد توافقت نتائج دراستنا مع نتائج دراسة ثابت سنة 2002 التي هدفت إلى مقارنة القدرات القرائية لدى عينة من ضعاف السمع فتبين أن هناك فروقا دالة احصائياً في درجات المهارات القرائية المختلفة بين ضعاف السمع والعادين، وأظهرت النتائج كذلك أن طول المدة يؤدي إلى التقدم في مستوى غالبية المهارات القرائية التي يتم تقييمها، كما أن نتائج دراسة الحالة الرابعة توافق مع نتائج دراسة الحلواني سنة 1999 والتي بينت أن هناك تشابه بين مهارات القراءة عند متوسطي التحصيل وذوي الإعاقة السمعية¹.

ومن خلال ما توصلنا إليه نجد أن الضعف السمعي ودرجته من العوامل الرئيسية في ظهور عسر القراءة عند الطفل المتمدرس لذلك ننصح بالتوصيات الآتية:

1. لا بد على الأسرة مراقبة تطور تواصل الطفل اللفظي وغير اللفظي وعرض أطفالهم على خبراء عند ملاحظة أي مشكل وذلك لمساعدة الطبيب على كشف الحالة في وقت مبكر.
2. توعية أهل المعاق وخاصة المصاب بإعاقة سمعية على ضرورة تدخل الأخصائيين لتنمية اللغة الداخلية والتعبيرية والقرائية بمختلف الوسائل (التعزيز، التقليد، اللعب...).
3. ضرورة إنشاء مراكز خاصة للأطفال الذين يعانون ضعفاً سمعياً وعدم دمجهم مع الأطفال الصم حتى يتسنى لهم استغلال بقاياهم السمعية.

¹ بدر الدين فارس أحمد النصري، تطوير مقياس النمو اللغوي للأطفال المعاقين سمعياً، رسالة ماجستير، الرياض، (2004\2003)، ص 153.

قائمة المراجع:

- (1) حنفي علي عبد رب النبي: مدخل إلى الإعاقة السمعية، الرياض، ط1، 2003.
- (2) الزيات فتحي مصطفى: المتفوقون عقليا ذوو صعوبات التعلم قضايا التعريف، التشخيص والعلاج، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2002.
- (3) السعيد أحمد: مدخل إلى الديسليكسيا، دار اليازوري العلمية، عمان، ط1، 2009.
- (4) الصدي عصام حمدي: الإعاقة السمعية، دار اليازوري العلمية، ط1، عمان، 2007.
- (5) العزة سعيد حسني: الإعاقة السمعية واضطراب الكلام والنطق واللغة، الدار العلمية الدولية، ط1، عمان، 2001.
- (6) النصيري بدر الدين فارس أحمد: تطوير مقياس النمو اللغوي للأطفال المعاقين سمعياً، رسالة ماجستير، الرياض، (2003\2004).
- (7) الوهيب عادل بن سليمان: خدمات التدخل المبكر للأطفال الصم وضعاف السمع أهميتها ومدى توفرها من وجهة نظر الاختصاصيين بمدينة الرياض، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، (1429هـ\1430هـ).

التمثيلات الجندرية وعلاقتها بتعنيف المرأة بالمغرب

Gender Representation and its Relation with Woman Scolding in Morocco

إبراهيم برلال/جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية

IBRAHIM PARLAL/University Of Mohamed V

ملخص:

نحاول من خلال هذه الدراسة تقديم قراءة مختلفة لمسألة النوع الاجتماعي وكذلك العنف الممارس ضد المرأة في المجتمع العربي. وهي قراءة تتميز باعتمادها على معطيات ميدانية حول تمثيلات الجنسين لبعضهما باستخدام تقنيتي المقابلة وتحليل المضمون، وتحاول تحليل تلك التمثيلات بموضوعية بعيدا عن أي توجه إيديولوجي. وبالتالي تدرس أسباب العنف الممارس ضد المرأة بما في ذلك إمكانية تحمل المرأة لجزء من المسؤولية في ذلك. وبالنتيجة، فإن الرجل لازال يتمثل المرأة كضعيفة وناقصة ولا ترقى لمستواه، على الرغم من النصوص القانونية والخطابات السياسية التي تنص على المساواة بين الجنسين. بل المرأة في تمثيل الرجل تعد موضوعا للجنس، وكذلك كائنا مخادعا وماكرا. والمرأة بدورها مستبطنة للهيمنة الذكورية وتفكر من داخلها. وهذا ما يجعل الهيمنة الذكورية تضرب بجذورها في مختلف مناحي الحياة وتستطيع تجاوز المحاولات المستمرة التي تحاول اسقاطها. الكلمات المفتاحية: التمثيلات الجندرية- العنف- الهيمنة الذكورية- الجنس.

Abstract:

Through this study, we try to provide a different reading of the issue of gender as well as violence against women in Arab society. A reading characterized by its reliance on field data on sexes representations to each other using the techniques of the interview and the content analysis, and we try to analyze those Representations objectively away from any ideological orientation, and therefore examine the causes of violence against women, including the possibility of women bearing part of the responsibility in that. And as a result, the man still represents women as weak, incomplete and does not rise to his level, despite the legal rules and political messages that provides for equality between sexes. But rather women in the representations of men is a subject of sex, as well as deceitful and cunning, and women in turn are intrinsic to male domination and think from within it, and this is what makes male domination hit its roots in various aspects of life and can overcome the continuous attempts that try to bring it down.

Keywords: gender, violence, male domination, sex.

تقديم:

انطلاقاً من ملاحظاتي اليومية في وسائل الاتصال الاجتماعي، ومن الملاحظات الميدانية في الواقع المادي المعيش، تبين أن التمثل الذي يحمله الشبان حول المرأة يصعب القول أنه لم يعد وفيًا للثقافة التقليدية، بل إن التحولات التي شهدها العالم على مستوى الحريات الفردية والتعليم والتثقيف لم تلق في السياق المغربي قبولا كبيرا. وارتباطا بذلك، يلاحظ في السنوات الأخيرة انتشار مجموعة من جرائم الاغتصاب ومظاهر العنف التي تتعرض لها الفتاة المغربية، والتي تنشر عبر وسائط الاتصال الاجتماعي، سواء في الشارع العام أو في أماكن مغلقة. وبغض النظر عن النقاش الدائر حول نسبة هذه الجرائم؛ هل هي فعلا ارتفعت بالمقارنة مع الماضي، أم أن الأمر فقط يتعلق بوجود وسائل الاتصال الاجتماعي التي أصبحت توفر مجالا لتنشر ما يقع في المجتمع بشكل فوري، فإن هذه النسب تثير الكثير من التساؤلات من قبيل: ما هي العوامل التي تدفع الشبان المغربية لتعنيف الشابات؟ هل تلعب التنشئة الاجتماعية دورا في هذه الظاهرة؟ ما هي التمثلات التي يحملها الشبان المغربية حول المرأة؟

لقد بينت الدراسات المهمة بالنوع الاجتماعي بشكل مفصل كيف أن التمثلات التي يحملها الافراد حول الجندر، والتي تم بنائها عبر سيرورة تاريخية طويلة انطلاقا من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، تقودهم إلى القيام بمجموعة من السلوكات تنسجم مع تلك التمثلات. لهذا تهدف هذه الدراسة إلى محاولة دراسة العلاقة بين التمثلات التي يحملها الشبان حول المرأة، خاصة الفتاة، وبين ممارسة العنف ضد النساء، وذلك انطلاقا من منهجية تحليلية تفسيرية. ونظرا لما لوسائط الاتصال الاجتماعي من قوة تأثير، فإننا سنعتمد على تقنية تحليل المضمون لجمع المعطيات، باعتبارها تقنية فعالة للتعامل مع المعطيات التي تزخر بها هذه المواقع، وخاصة موقع التواصل الاجتماعي "فايسبوك" (Facebook) الذي سنعتمد عليه نظرا لكونه محط استخدام مختلف الفئات الاجتماعية، وكذلك كونه يزخر بالمعطيات التي لها علاقة بهذا الموضوع.

إشكالية الدراسة:

يتطلب البحث في هذا الموضوع التطرق للتمثلات في مختلف أشكالها ولدى الطرفين معا، وهو ما يجعلنا نطرح الاشكالية التالية: هل تساعد التمثلات الجندرية على ممارسة العنف ضد المرأة؟ ولمعرفة ذلك يجب أولا أن نتساءل: ما هي التمثلات التي يحملها الرجل حول المرأة؟ وما هي التمثلات التي تحملها المرأة عن نفسها؟ ثم ما هي التمثلات التي تحملها المرأة حول الرجل؟ وهل تلعب تلك التمثلات دورا في نسب العنف المرتفعة ضد المرأة؟ هل الرجل وحده هو المسؤول عن العنف الممارس ضد المرأة، أم أن كلاهما يقتسمان المسؤولية؟

منهج الدراسة وتقنياتها:

في الحقيقة، استخدام تقنية تحليل المضمون لجمع المعطيات يعد أمرا صعبا ومعقدا، خاصة حينما يكون موقع تواصل اجتماعي هو المصدر الذي ستجمع منه، وهو ما يتطلب التعامل مع المعطيات وتمحيصها بحذر، لذلك اعتمدت في جمع المعطيات على استخدام مصطلحات "مرأة"، "بنت"... ورصد مختلف الردود حولها والسياقات التي تمت فيها تلك الردود، والأشخاص الذين تفاعلوا... كما استخدمت تقنية المقابلة الموجهة من أجل تعميق البحث ووضع المعطيات التي استخرجتها من موقع التواصل الاجتماعي موضع مقارنة. وانسجاما مع منهج البحث، فإن الميدان المدروس تم اختياره بشكل عشوائي وهنا

تحولت الردود حول المرأة عبر موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك إلى موضوع الدراسة، وتم انتقاء ردود الشبان المغاربة من مختلف المناطق باعتبار أن طبيعة الموضوع والهدف منه لا يحتمان تحديد منطقة معينة. كذلك، حتمت علينا طبيعة هذا الموضوع الاعتماد على المنهج الكيفي باعتباره الكفيل بدراسة التمثلات، وعليه جاء اختيارنا لتقنية تحليل المضمون كأداة لجمع المعطيات وتحليلها.

ويكتسي هذا الموضوع أهمية خاصة، ليس فقط باعتباره يتناول موضوعا راهنا ويعد بمثابة أحد أهم المشاكل التي يعيشها المجتمع المغربي، بل لأنه كذلك يتناول هذا الموضوع الراهن من زاوية مختلفة، زاوية لا تقتصر على الرجل كمجرم معادي، وهي النظرة التي أوقعت الكثير من الدراسات النسائية وخاصة الدراسات النسوية في القصور التحليلي والتفسيري، بل يتعدى ذلك لينظر إلى الموضوع من زاوية مختلف الفاعلين انطلاقا من تمثلاتهم. كما أن هذا البحث لا يقف عند مستوى الوصف، بل يحاول أن يفسر الردود التي يقوم بها الأفراد في سياقات معينة وبالتالي محاولة القبض على حقيقة التمثلات في ذروة حيويتها. هذا وأثناء عرضي وتحليلي لنتائج البحث، سوف أعطي بعض الأمثلة والحالات من بين تلك المرصودة على سبيل التمثيل، أي أن تلك الحالات التي سوف تدرج في المثال تعبر عن فئة من التمثلات وليست حالة فردية.

تحديد المفاهيم:

يحدث في الكثير من الأحيان أن يقع الباحث في الارتباك حين الحديث عن المواضيع المتعلقة بالمرأة وذلك نظرا لوجود مجموعة من المفاهيم التي تحمل معنى يشير إلى المرأة ولكن تختلف من حيث مدلولها جذريا من قبيل مصطلح الفتاة والأنثى. لهذا سوف أستخدم هنا مصطلح المرأة بمعنى الفتاة حين يكون الأمر قابلا للتعميم على مختلف المراحل العمرية للمرأة، وحينما يكون الأمر يخص فقط الفتاة أي الشابة سوف أستعمل مصطلح فتاة. يعرف فريدريك لوبارون (Frédéric lebaron) في معجمه التمثلات الاجتماعية بأنها الصورة الذهنية لظاهرة ما، وتدرس من طرف علم النفس الاجتماعي خصوصا.¹ أما النوع أو الجندر (gender) فيعرفه بأنه الجنس مادام كحقيقة منشأة اجتماعيا. ناتجة عن تنشئة اجتماعية وليست فقط الفروق البيولوجية. فيما يخص التمثلات الجندرية، فسوف أستخدمها بمعنى المعرفة والفكرة التي يعتقد بها فرد ما فيما يخص موضوع المرأة والرجل.² وبالتالي فالتمثلات الجندرية هي التي توجه تفكير الفرد، أو إن شئنا القول هي نمط من التفكير حول المرأة والرجل. هنا تصبح التمثلات الجندرية هي مختلف الأفكار والمعرفة والبنى الذهنية التي تخص المرأة والرجل.

أولا: المرأة كأداة للجنس:

من أجل الوصول إلى الردود والتمثلات حول المرأة، وبشكل أقل الرجل، اعتمدت على بعض المصطلحات كمفاتيح للبحث في موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك من قبيل "درية"، "بنت"، "اغتصاب"، "تحرش"، ومجموعة من المصطلحات التي تطلق على الفتاة في مختلف الثقافات المحلية بالمغرب، دون اقضاء تلك التي تحمل معنى سلمي أو وصم مثل مصطلح "عاهرة". والسبب في استخدام كل هذه المصطلحات ذات الدلالات المختلفة هو أن كشف التمثلات حول المرأة سيكون بشكل أفضل حين يتم

¹Voir:FrédéricLebaron, La sociologie de A à Z, édition Dunod, Paris, 2009, p103.

²ibid, p63.

رصد الردود في سياقات مختلفة ومقارنتها ببعضها البعض. ومن بين أهم الصور التي يحملها الشبان حول المرأة أنها موضوعا للجنس، أي مستقبل سلبى. والذي يدل على ذلك هو أن الشبان يتحدثون عن الفتاة في إطار الحديث عن الجنس بكونها هي المحتاجة لممارسة الجنس، وبالتالي الرجل هو إنسان طيب يلي حاجة الآخر/المرأة المحتاجة. هنا تصبح المرأة مستقبلة سلبية لأنها في وضعية حاجة وبالتالي وضعية ضعف والرجل هو الذي يملك السلطة في تقرير كيفية تلبية حاجتها ومتى وأين. فوضعية المرأة بشكل عام والعلاقة بين الجنسين هي الجزء الذي يشرح الكل، هي العنصر الذي يكشف البنية.¹ فالمرأة تقوم بوظيفة التربية في البيت غالبا، وبالتالي تبني سلوكيات الناشئة وفق تصور ما، ما يعني أنها تضمن استمرار نفس البنية، في الوقت الذي تتم فيه تلك التربية تحت سلطة الرجل كذلك. والذي يبرر كذلك تصور أنها دائما في وضعية حاجة، هو أنها، نظرا للضوابط الاجتماعية والثقافية الصارمة، لا تستطيع التعبير عن حاجتها لأن ذلك يعتبر انتهاكا للقيم التي يقر المجتمع بشرعيتها، وبالتالي فإنها دائما تنتظر من يخلصها من ذلك الثقل، وأي إشارة منها هي إذن بتكسير ذلك الحاجز. في هذا السياق يمكن لمفهوم البؤس الجنسي عند ميشيل فوكو أن يكون مفسرا لعلاقات السلطة في هذه الوضعية التفاعلية.² وهنا نجد أن الفتاة نفسها، في حوالي 60 في المائة من الردود المرصودة وكذلك من خلال المقابلات تقر بتلك التصورات التي يحماها الرجل، بل وتؤكد لها. حيث تتفاعل بشكل إيجابي مع ردود الرجال التي تؤكد هذه التصورات، وتبدي موافقتها عليها. وهذا ما تفسره الأبحاث المعاصرة في سوسيولوجيا النوع بكون المرأة تستبطن القيم التي يثبتها فيها المجتمع منذ الطفولة عبر مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية. وبالتالي هوية الجنوسة المركزية التي تحملها الفتاة.³

ثانيا: المرأة كمغرية ومخادعة:

في الحقيقة، التمثل الثاني الذي سنعرضه في هذا المحور لا ينفصل عن سابقه، إذ أن هذه التمثلات تشتغل بشكل منظم ومنسق. في العديد من السياقات، وخاصة في المجال العام، حينما يحدث جدال بين امرأة ورجل أو تحرش يتم الوقوف إلى جانب الرجل دون حاجة للعدو إلى حيثيات المشكل. ففي نصف حالات اعتداء جنسي وقعت لفتيات تم نشرها على موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك التي رصدتها، اعتبرت الفتاة كاذبة وتستحق ما حصل لها. ومن الأمثلة على ذلك أن فتاة تعرضت للاختطاف وبالتالي للاغتصاب لعدة أسابيع متتالية اعتبرها البعض عاهرة لأن مسألة اختطافها غير موثوق بها، في حين لم توجه أي ردود سلبية تجاه الشبان الذين اغتصبوها بشكل وحشي. معنى ذلك أن ميكانيزم التفكير حول المرأة يشتغل دائما لإيجاد مكامن النقص أو عدم اليقين من أجل إثبات جريمة المرأة وإن لم تكن مجرمة. هنا يفسر لنا بيير بورديو كيف أن النظام الاجتماعي يشتغل باعتباره آلة رمزية تصبو إلى المصادقة على الهيمنة الذكورية التي يتأسس عليها.⁴ لكن الأمر الأساسي هنا، والذي يجب التركيز عليه، هو أن وصم/صورة الخطيئة والذنب الذي كان عبر التاريخ مرتبط بالمرأة لم يتغير رغم كل التحولات الشكلية التي طالت قضية المرأة وحقوق الانسان بشكل عام، بل إن المجتمعات المعاصرة، خاصة في المغرب ومن يتشابه معه

¹Voir:AichaBelarbi, Le salaire de Madame, édition Le Fennec, Casablanca, 1993, p5.

²ميشيل فوكو، 2006، هم الحقيقة. منشورات الاختلاف، الجزائر، ص42.

³ميليساهايوز، جنوسة الدماغ، ليلي الموسوي، 353، عالم المعرفة، الكويت، 2008، ص28.

⁴بييربورديو، الهيمنة الذكورية، سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2009، ص27.

من البلدان ثقافيا، أصبحت هذه النظرة تعمل بشكل مؤثر ومستمر مما يجعلها تبدو على أنها اتجاهها نحو الاعتراف بالمرأة كذات واعية لا تختلف عن الرجل في شيء، في الوقت الذي تمثل في جوهرها تكريسا لدونية المرأة. من الأمثلة على ذلك أن الشبان يقرون بحرية المرأة على مستوى اللباس، وإن كان ذلك لا يتم عن قناعة تامة، إلا أنهم في حال تعرض إحداها لاعتداء وكانت ترتدي لباسا يظهر شيئا من أنوثتها يعتبرون أنها هي "المجرمة" لأن لباسها مثير للرجل، وبالتالي فإن اعتدائه هو مجرد دفاع منه عن نفسه أمام اعتدائها الجامح. هنا نشير إلى أن معظم الفتيات يوافقن على هذه النظرة ويعتبرن أن الفتاة هي المذنبية. ما يعني أن تفكير الفتاة لا زال يتم كما أرادت له منظومة التفكير الذكوري أن يتم.

ثالثا: نجاح المرأة مثير للشبهة:

الملاحظات والاحصائيات التي تنشر حول نسب النجاح في مختلف المؤسسات -التعليمية مثلا- تشير إلى تفوق العديدة من النساء على الرجال في التحصيل العلمي والمعرفي. ولكن نجاح المرأة بشكل عام لا يعفها ولا يخلصها من النظرة الدونية التي لصقت بها، بل إن نجاحها يجلب المزيد من الريبة. فدون الحاجة لدليل ما، يؤكد العديد من الشبان موضع البحث أن نجاح فتيات -محددات حسب سياق البحث- مرتبط بتقديمهن لخدمات جنسية. معناه أن الرجل، وأمام بروز منافس له في العمل أو المنافسة حول العمل نتيجة خروج المرأة بشكل كبير إلى العمل والانخراط في سوق الشغل وما يرتبط به من تعليم وتكوين، لا يعتبر أن المرأة قادرة على فعل ما يفعله هو وبفوق، بل هي تظل دونه ونجاحها يتم عن طريق الحيلة والاغراء. لأن النساء ولفترات تاريخية طويلة اعتبرن أن اللامساواة أمرا طبيعيا تم فرضه قانونيا ومقبول اجتماعيا، كما يعني أن التقابل بين الزوج امرأة/طاعة يدخل المرأة دائما في صف المحكومين ويمنع عنها صف الحاكمين¹. ولكن هذا لا يجب أن يجعلنا نسقط في مستوى نضالي، فالكثير من الحالات تؤكد أنه بالفعل هناك من الفتيات من يستخدمن جسدهن في هذا السياق، ولكن ذلك يرد بكونه لا يكفي للتعميم.

رابعا: المرأة مالكة لسلطة-فخ:

في بعض السياقات قد يبدو للوهلة الأولى أن للمرأة سلطة ليست متاحة للرجل، بل الرجل يبقى منتظرا لإشارة المرأة. ولكن الحقيقة هو أن تلك السلطة هي مجرد نتيجة للتمثل الذي يقر بدونية المرأة، وما امتلاكها لسلطة لحظية إلا حيلة من الحيل التي يعتمد عليها الرجل من أجل بسط سيطرته وتصوراتة على المرأة. ومن ذلك أن الفتاة هي التي تمنح الضوء الأخضر للفتى من أجل الكلام والتغزل بها -هنا لا نقصد التحرش- معناه أن الرجل يظل رهينا لإشارة المرأة من عدمها. ولكن تعميق التفكير حول هذه الفكرة يبرز لنا أن تلك السلطة التي تملكها المرأة تأتي من فكرة كونها ناقصة ومحتاجة لمن يقويها ويكملها، وبالتالي هي ليست سلطة بقدر ما هي بحث عن معالجة نقص فيها. لأنها بمجرد أن تسمح بكسر الحاجز الذي بينها وبين الرجل تصبح في وضعية ضعف مجددا؛ إما لكونها تخشى من فقدان من اعتبرته يقويها، أو لأنها، وهذا هو الغالب، مستبطنة لفكرة أن كلمة الرجل هي العليا وأن الرجل الذي لا يفرض سلطته على المرأة ليس رجلا كاملا ولا يحبها. هنا يصبح العنف الرمزي والمادي مقبولا من طرف المرأة.

¹ أسماء بنعدادة، المرأة والسياسة، المعهد الجامعي للبحث العلمي، سلسلة أطروحات، ط1، الرباط، 2007، ص18.

هناك تمثل آخر مرتبط بما سبق، وهو أن المرأة مادية يمكن أن تتخلى في سبيل تحقيق مصلحة مادية عن أعلى ما لديها، أي جسدها. هذه الفكرة تكاد الردود المرصودة كلها تؤكد، باعتبار أن الفتاة اليوم لن تهتم بالرجل الذي لا يملك سيارة وبيت.. غير أن الذي يقف وراء هذه الفكرة هو كيفية إدراك الفتاة لنفسها بالأساس وتمثلها لنفسها؛ فإذا كان المجتمع يعتبر أن الفتاة المحظوظة والناجحة هي التي تعثر على زوج جيد، فإن وضع تلك الشروط المادية كأساس - أي علاقة بالرجل - يعد من مخرجات ثقافة المجتمع ليس إلا. دون أن ننسى الدور الكبير الذي تلعبه ثقافة الاستهلاك في هذا الصدد، لأن المرأة والفرد بشكل عام في المجتمع الاستهلاكي اليوم أصبح يتجه نحو الاستهلاك المادي مستخدما كل الامكانيات المتاحة، ولا يستثنى الجسد من ذلك. حيث أصبح الجسد الأنثوي منذ بداية ثورة وسائل الاعلام والاتصال الحديثة الموضوع المفضل للمواد الاعلانية التي تتعامل معه بطريقة تشيئية يصبح معها مادة للاستهلاك كباقي المواد¹.

خامسا: المرأة كمدنس مرغوب فيه:

في الثقافة الاسلامية - وفي كل ثقافات العالم تقريبا- نجد أن الأشياء والأماكن وغير ذلك من مكونات العالم يتم تقسيمها إلى مدنس ومقدس؛ فمثلا نجد المسجد كمكان مقدس يتموقع وسط المدينة ويحيط به باعة البخور والعطور وغيرها من الأشياء ذات الطابع المقدس أو التنظيف، ثم كلما ابتعدنا عن المسجد وعن وسط المدينة نجد الأشياء المدنسة². وتحظى عموما هذا التقسيمات للمدسن والمقدس بإجماع الناس، ويكون هذا الاجماع غالبا عن قناعة. غير أنه في نفس السياق كان ينظر إلى المرأة وخاصة جسدها باعتباره مدنسا، خاصة في المجتمعات العربية الإسلامية، ولكن هذا الجسد المدنس لا يعد مثل الأشياء التي ذكرت قبلا غير مرغوب فيها من طرف الجميع، بل هو مدنس محبوب ومرغوب فيه، ولو أن هذه الرغبة غالبا ما تشتغل بشكل خفي. غير أنه لو وقفنا هنا فلن نكون قد أضفنا شيئا يذكر، ولكن الأمر المهم هنا هو أن هذا التصور للمرأة لم يتغير إلى اليوم في مجتمع يعيش تحولات في ترسانته القانونية حول المرأة وكذلك في الخطاب السياسي. أي أنه في ظل تحولات عالمية ومحلية على مستويات عدة بما فيها قضية المرأة، لا زالت النظرة التي تعتبر المرأة كرمز للمدسن والناقص تشتغل بدينامية أكثر خطورة من ذي قبل؛ ففي السابق كانت المرأة مستبعدة من المجال العام وأيضا معلن نقصها و"نجاستها"، أما اليوم فالأمر مختلف إذ أنه يصرح في الخطابات الرسمية أنها مثل رفيقها الرجل لا يختلفان من حيث القيمة (الأخلاقية) ومن حيث القدرات.. ولكنها في واقع التمثيل الذكوري لازالت ماكرة وناقصة. ومن الأمثلة على ذلك، من أصل عشرة أشخاص تسعة منهم يقرون بحرية الفتاة وحقها في أن تخوض في علاقة عاطفية بمختلف أشكالها، ويدفعون في إطار علاقاتهم مع الفتيات بالحرية الجنسية إلى أقصى حد، ولكن ذلك ليس اقتناعا منهم بذلك، بل فقط من أجل دفع الفتاة لعلاقة حميمة، لأنه يقر أنه لن يتزوج فتاة كانت في علاقة غرامية من قبل فما بالك بالتي خاضت علاقة جنسية وما يترتب عنها في معظم الحالات من فقدان غشاء البكارة. بل يصفون تلك الفتاة بالعاهرة، وينطلقون حين التفكير في الزواج للبحث عن فتاة "ظاهرة" غير "مدنسة". مفهوم المقدس والمدنس هنا له أهمية وقيمة تفسيرية كبيرة، إذ أنهما المعيارين الذين ينظر بها الرجل للفتاة. في حين نظرة الفتاة للرجل وكذلك

¹Voir: Jean Baudrillard, La société de consommation : Ses mythes, Ses structures, édition Denoel, 1970, p200.

²جينيف رسكيرس، الثقافات الحضارية في مدن الشرق، ليلي الموسوي، عالم المعرفة، 308، الكويت، 2004، ص54-55.

نظرة الرجل لنفسه لا تتمان انطلاقاً من هذا المعيار، بل إن العلاقات الحميمة قبل الزواج تعتبر في كثير من الأحيان قيمة مضافة للرجل، خاصة إذا كانت تلك العلاقة تمت مع فتاة أجمل أو فتاة أجنبية.

سادساً: تعريف المرأة واختلاف المعايير:

باستحضار التحليل السابق الذي سقناه في إطار حديثنا عن تمثيلات الرجل حول المرأة، نجد أن تلك التمثيلات في جوانب متعددة منها تتضمن امكانية ممارسة العنف على المرأة؛ تمثل المرأة كمخادعة مثلاً يجعل الرجل لا يثق بها وبالتالي في سياقات معينة يعتقد أن استخدام العنف ضد المرأة أمراً مشروعاً. ومن الأمثلة على ذلك شاب رأى فتاة بلباس صيفي يظهر صدرها وأجزاء مختلفة من جسدها تمشي مع صديقتها ضاحكة، ولما تصيد مرورهما من مكان فارغ حاول التحرش بها غير أنها قاومته مما ترتب عنه الكثير من السب والكلام الساقط. هذا الشاب حكم على الفتاة تلك انطلاقاً من لباسها أنها عاهرة، وهو حكم مبني انطلاقاً من تمثله للمرأة والمعايير التي تصنف المرأة انطلاقاً من لباسها إلى محترمة ومتبرجة وعاهرة وهلم جرا، وبالتالي مقاومتها له أعطاهما هو تفسيرات تندرج في إطار تمثله للمرأة كمخادعة، أي أنها فقط لم تقبل بتحرشه هو وستقبل بآخر يفوقه مكانة، في حين أنها عاهرة يجب أن تقبل به رغماً عنها. هذا العنف يجد تفسيره السوسيولوجي فيما يمكن تسميته باختلاف/تضارب المعايير الاجتماعية داخل نفس الجماعة. فالرجل له معيار محدد للكيفية التي على الفتاة أن تلبس بها لباس معين لكل مكانة اجتماعية، وهو تمثل يستمد مشروعيته من الثقافة التقليدية، في حين الفتاة متشعبة بثقافة عصرية وبالتالي المعايير التي يحكم بها على الفتاة تختلف عن تلك التي تحملها وتتصرف وفقها هي. هذا التضارب حينما يحصل في مجتمع تسود فيه ثقافة دينية تكون نتائجه أكثر عنفاً. فالدين في المجتمع المغربي، والمجتمعات العربية الإسلامية بشكل عام، يحضر بشكل عنيف لدى الطبقات الشعبية الأدنى وهو ما يسمى بالتدين الشعبي، حيث يقوم على تصورات نمطية ومبتدلة حول القيم الحقيقية التي تتضمنها تعاليم الدين الإسلامي. وإن كان الرجال يبيحون في العديد من الأحيان ممارسة العنف ضد المرأة، سواء بذريعة الشرف أو الوكالة أو غيرها، فإننا نجد أحاديث كثيرة تمنعه الرجال من الإساءة إلى النساء، أو ضربهن، أو الحجز عليهن، أو ممارسة غير ذلك من العادات والأعراف التي كانت سائدة في الجاهلية. هكذا نجد الحديث النبوي الذي يقول فيه الرسول: "لا يجلد أحدكم امرأته جلد البعير، ثم يجامعها في آخر يومه" وفي حديث آخر: "ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم".¹ استحضار هذه الأحاديث يأتي في إطار محاولتنا لرصد أهم التناقضات التي تنبني عليها السلطة والهيمنة الذكورية، حيث أنها تعيد بعض مبرراتها إلى الدين رغم أن ذلك غير صحيح.

في هذا السياق تؤكد جل الفتيات على أن لباس المرأة يجب أن يكون محتشماً لأن المجتمع المغربي لا يقبل المظاهر الثقافية التي تنتمي للثقافة الغربية، وأن الشبان يعيشون نوعاً من الكبت الجنسي، وبالتالي خروج الفتاة بلباس غير محتشم يرفع من نسبة تعرضها للتحرش. غير أنه تبين انطلاقاً من استخدام تقنية المقابلة أن الفتاة تعطي شرعية للمتحرش وحتى المغتصب الذي يعتدي على فتاة بلباس غير محتشم. هذا التمثيل رصدناه بشكل كبير من خلال استخدامنا لتقنية تحليل المضمون، وهو ما يعني أن الفتاة نفسها لازالت تفكر بمنطق تفكير الرجل وهو ما يجعلها تدين الضحية دون المجرم، أي تدين طريقة لباس المرأة

¹ آسية الهاشمي البلغيتي، نضال امرأة، في المجال الديني، أوبتيماسكرتوم المغرب، سلا، 1996، ص 162.

ولا تدين ممارسة العنف. وهو ما يعني أن المرأة استبطنت بنية التفكير الخاصة بالهيمنة الذكورية، وبالتالي رغم اعتقادها أنها تخارب تلك الهيمنة إلا أنها في الحقيقة تكرسها لأنها تفكر من خلال نفس أنماط تفكير المهيمن. وهنا يقع الخلط للباحثين أنفسهم وهو الأمر الذي كان بورديو مدركا له وموضحا¹.

هنا أيضا نشير إلى أن العنف الرمزي الموجه نحو المرأة يمكن رصده كذلك في بعض الشتائم التي ترد في الشارع العام والتي عرف ترديدها ارتفاعا كبيرا في المجتمع المغربي². في الحقيقة إن المرأة بتوظيفها للشتائم التي يستخدمها الرجل تحاول أن تفرض ذاتها، وإن كان المجتمع لا يتسامح كثيرا مع ذلك، فإنها تقع في فخ الهيمنة الذكورية دون قصد لأن أغلب الشتائم تعطي أهمية للفضيحة وتتحدث عن الشرح كنقيصة. وبالتالي حين تشتم المرأة باستخدام لكلمات تحيل على الأعضاء الجنسية الذكورية فأنها تقر بأفضلية الرجل. وهنا يمكن أن يكون التحليل النفسي وعقدة فقدان القضيب لدى الفتاة كنظرية مفسرة لهذا الأمر.

خلاصة تركيبية:

في المجتمع المغربي اليوم توجد المرأة في معظم المجالات والإدارات العمومية، كذلك أصبحت تقوم بأدوار مهمة في عملية الانتاج والتنمية بمختلف أشكالها ومستوياتها. غير أن هذه النقلة النوعية على مستوى عمل المرأة ومشاركتها في عملية الانتاج والعملية السياسية إلى حد ما لم يرافقها تحول على مستوى الذهنيات والثقافة بشكل يجعل للمرأة مكانة توازي ما تقوم به من أدوار داخل المجتمع المغربي. لقد تغير الخطاب السياسي، وتغيرت طريقة معاملة المرأة في المناسبات والمؤسسات الرسمية، غير أنها لا تزال رمزا للمندس والنقص والخداع في تمثل الرجل، وأحيانا في تمثلها هي نفسها. فالتحول الذي حدث على المستوى السياسي والحقوقى لم يصاحبه تحول على المستوى الثقافي كون هذا التحول لم يأت من قناعة سياسية ومجتمعية بقدر ما جاء نزولا عند المطالب التي ما فتئت المنظمات الحقوقية الدولية والدول الغربية تضعها كشرط أساسي لأي دعم مادي ولوجستيكي للمغرب. وبالتالي انفتحت الدولة في هذا المستوى وأتاحت للمرأة حقوقا كانت مسلوقة من قبل من أجل الحصول على المساعدات الدولية بالأساس. وبما أنه لم تواكب عملية التحول على المستوى القانوني بتحول في منظومة التربية والتعليم والتثقيف والخطاب الديني أيضا فإن المرأة لا تزال تحت وطأة التمثل الذكوري. وبالتالي فإن وجود منظومة قانونية تمتع من التصور الحدائي الغربي بالموازاة مع ثقافة تقليدية تتناقض مع روح الحدائة يخلق نوعا من الصراع والعنف تكون المرأة في كثير من الأحيان ضحيته المفضلة.

قائمة المراجع:

1. آسية الهاشمي البلغيثي، نضال امرأة، في المجال الديني، سلا، أوبتيما سكربتوم المغرب، 1996.
2. أسماء بنعدادة، المرأة والسياسة، ط1، الرباط، المعهد الجامعي للبحث العلمي، سلسلة أطروحات، 2007.
3. بيبورديو، الهيمنة الذكورية، سلمان قعفراني، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2009.
4. جينيفرسكيرس، الثقافات الحضارية في مدن الشرق، ليلي الموسوي، عالم المعرفة، العدد 308، الكويت، 2004.
5. ميشيل فوكو، هم الحقيقة، الجزائر، منشورات الاختلاف، 2006.

¹ بيبورديو، الهيمنة الذكورية، ص21.

² ZahiaSmailSalhi, Gender and Violence in Islamic Societies, I.B. Touris, London. New York, 2013, P221.

6. ميليساهاينز، جنوسة الدماغ، ليلي الموسوي، عالم المعرفة، العدد 353، الكويت، 2008.
7. AichaBelarbi, Le salaire de Madame, Casablanca, Le Fennec, 1993.
8. FrédéricLebaron, La sociologie de A à Z, Paris, Dunod, 2009.
9. ZahiaSmailSalhi, Gender and Violence in Islamic Societies, I.B. London. New York, Touris, 2013.
10. JeanBaudrillard, La société de consommation : Ses mythes, Ses structures, Denoel, 1970.

الدور التجاري لتلمسان والمغرب الأوسط في أواخر العهد الزياني

The commercial role of Tlemcen and the central Maghreb at the end of the Zianid era

د.بن مصطفى دريس/جامعة سعيدة، الجزائر

Dr.BENMOSTEFA DRISS/ univrsity of Saida,Algeria

ملخص:

يتناول المقال بالدراسة الأهمية التجارية لتلمسان عاصمة المملكة العبودية وحاضرة المغرب الأوسط، وقد عالجتنا وتبعنا من خلاله جذور هذه الأهمية لنبين أن المدينة والمنطقة ككل امتلكت أسسا وأعرافا تجارية منذ القدم، وركزنا مجال البحث في أواخر العهد الزياني أي ما عرف بمملكة تلمسان، مع استحضار جوانب تلك الأهمية وعواملها انطلاقا من افادات المؤرخين والرحالة الذين أسهبوا في وصفها وذكر جوانب حسناتها وأهميتها، فقد جعل منها موقعها الجغرافي من جهة وجماليتها من جهة أخرى ملتقى للتجار من دول عديدة وخاصة من جنوب أوروبا (شبه الجزيرة الإيطالية وشبه الجزيرة الأيبيرية) فأكسب ذلك تلمسان حيوية تجارية واقتصادية بما تتلقفه وتصدره من سلع وعلى رأسها التبر القادم من بلاد السودان الغربي.

الكلمات المفتاحية: تلمسان-المغرب الأوسط- التجارة- الزياني- الدور-العهد.

Abstract:

This article is about the commercial importance of Tlemcen, the capital of the zianid state and the capital of the central Maghreb in the Middle Ages, we present the aspects of this importance and these factors, and all these are based on the statements of historians and travelers and geographers who described these importance. This has made Tlemcen a meeting and transit point for the incoming traders of many countries, and especially from Northern Europe, this has given Tlemcen a great economic vitality.

Key words: Tlemcen-commercial- importance- zianid - state-era..

تمهيد:

ظلت تلمسان في العصر الوسيط عقدة ونقطة مفصلية لطرق مواصلات القوافل التجارية بين التل والصحراء من جهة، وبين تجار أوروبا وتبر السودان الغربي من جهة أخرى، ولقد تغنى الكثير من الأدباء والشعراء بها وبما امتلكته من جمالية اكتسبتها عبر تاريخها الطويل، وتفنن الرحالة والجغرافيون وأسهبوا في وصفها مدينة وأحوازا.

تمتعت تلمسان عاصمة الدولة الزيانية وحاضرة المغرب الأوسط خلال حكم بني عبد الواد بأهمية تجارية بالغة نابعة من موقعها الجغرافي المطل على المتوسط، وبما تزخر به سواحلها من مراسي ذات أهمية بالغة ساعدت على اجتذاب عدد من السفن المختلفة المشارب وتنشيط عمليات التبادل التجاري للمنطقة، إضافة لامتداد دواخلها في الصحراء الإفريقية جعل منها قفلا لها ومبتدأ للطريق التجاري نحو السودان الغربي مصدر التبر الذي كان مطمعا لتجار أوروبا، وجعل من المدينة مركزا وسيطيا في تجارته، ومن بين أولئك على سبيل المثال لا الحصر نجد من المؤرخين لسان الدين بن الخطيب والمقري التلمساني، ومن الرحالة مارمول كريخال والحسن الوزان أو ليون الإفريقي اللذين أسهبا في وصف ما تحتويه من صنائع موزعة على أزقتها، ومجتمعها المتشكل من طبقات كل طبقة حسب مهنتها أو حرفتها.

ترى ما مواطن هذه الأهمية وما انعكاساتها على المدينة والمنطقة ؟

وما تأثير التقلبات السياسية على التجارة بهما ؟

2. أصول الحيوية التجارية لتلمسان والمغرب الأوسط:

تلمسان مدينة عريقة اختلفت تسميتها باختلاف الأزمنة والشعوب التي عاشت على أرضها، وكانت منذ العهد المرابطي قبلة للتجار، ورغم ما أحدثه الموحدون ببلاد المغرب ككل من دمار وتخريب في محاولات افتكاكها من أيدي المرابطين، إلا أنهم وبعد فترة قاموا باستصلاح ما خربوه وإحياء ما اندثر فيها وترميم أسوارها، فقد شعر عبد المؤمن بن علي بالجرم والذنب، فجلب إليها لذلك البنائين من الأماكن البعيدة، وكان المهدي بن تومرت بعد أن استوثق من سكان المنطقة قد دعاهم إلى القيام معه أولا على صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا غير، ونهاهم عن سفك الدماء، ولم يأذن لهم فيها، وأقاموا على ذلك مدة¹، وعلى عهد الخليفة أبي يعقوب لم يبق بجميع المغرب مختلف عليهم، ولا معاند لهم، ودانت لهم -أي للموحدين- جزيرة الأندلس بأسرها، وكثرت في أيامه الأموال، واتسع الخراج، ولم تزل أيام أبي يعقوب هذا أعيادا وأعراسا ومواسم من كثرة خصب، وانتشار أمن و درور أرزاق واتساع معاش، لم ير أهل المغرب أياما قط مثلها، ليستمر هذا صدرا من إمارة أبي يوسف، هذا الأخير الذي أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم²، مما يدل على رواج التجارة، وبمرور الوقت استطاع وخلفاؤه التبخر في العمران، لتشهد بلاد المغرب تطورا هاما وخاصة تلمسان التي أصبحت

¹ - عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية لبنان، ط1، 2002، ص140.

² - نفسه: ص186-188-208.

من أعزّ معاقل المغرب وقبلة للجميع، يتوافد إليها الناس من كل الجهات كما قال عبد الرحمن بن خلدون، الأمر الذي مهد لبني عبد الواد ليتخذوها عاصمة لهم ودار ملك منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادي¹.

عملت الدولة الموحدية على غرار سابقتها المرابطية على نشر الأمن والاستقرار داخل المجتمع، الأمر الذي ساهم في ازدهار وانتعاش التجارة وخاصة الداخلية، إذ عملت على حماية الطرق التجارية من جميع المخاطر التي تهددها وتمهد أمن التجار المغادرين منها والقادمين إليها، فسوّت سبل التجارة وأقامت الأبار والاستراحات في طرق القوافل التجارية وأنشأت المنارات في الثغور واهتمت ببناء الأساطيل البحرية من أجل تشجيع التبادل التجاري بين مختلف الجهات، لكنه وحسب (ما لاتري) أن هذه العلاقات التجارية بين الموحديين وتجار أوروبا لم تتواصل على نفس الوتيرة التي كانت عليها مع المرابطين وخاصة تجار بيزا إلا على عهد عبد المؤمن الذي جدّد الضمانات التي كانت على أيام المرابطين، ففي سنة 1166م تشير الوثائق إلى وجود قنصل (كوكو قريفي) (cocco griffi) الذي اشتغل كقنصل في قسنطينة².

لقد كانت تلمسان حينها أيضا من أهم النقاط التجارية المحورية التي تنطلق منها القوافل نحو فاس أو سبتة أو سجلماسة وغيرها من المدن، وفي هذا يقول ابن خلدون: «ومن هذه القصور قبلة تلمسان، وعلى عشر مراحل منها قصور تيكارين وهي كثيرة تقارب المائة، وفهم الرجالة والخيالة وأكثر معاشهم من بلح النخل، وفهم التجار إلى بلاد السودان وضواحيهم كلها مشتاة للعرب»³.

وبقدر ما كان الاهتمام بالتجارة الداخلية وتطويرها عند الموحديين، كان كذلك بالتجارة الخارجية أيضا، إذ نشطت نشاطا ملفتا للانتباه، فقد اجتمعوا ووضعوا لها أنظمة تضبطها، وعقدوا من أجلها المعاهدات مع البندقية وجنوة ومرسيليا وقطالونيا وبيزة، وغيرها من الدول والمدن الأوروبية الساحلية.

لقد انتعشت التجارة أيما انتعاش، وهذا ما تثبته جملة المعاهدات الخاصة بالسلم والتجارة، والتي أبرمتها الدولة الموحدية مع المدن والإمارات الأوروبية طيلة القرن السادس وبدايات القرن السابع الهجريين، وبالمقابل فقد عرفت أوروبا انتعاشا اقتصاديا وتجاريا ملحوظا بسبب متاجرتها مع بلاد المغرب، وبسبب ما كانوا يجلبونه منها من معادن وعلى رأسها النحاس إضافة إلى الزيت والصوف والدباغ والفواكه المجففة، وكذا السلع النادرة القادمة من بلاد السودان الغربي، ومن هنا نستخلص أن بلاد المغرب كانت تعيش رخاء اقتصاديا وتجاريا في ظل حكم الموحديين، وأن بلاد المغرب بشكل عام والمغرب الأوسط بشكل خاص لعبت دورا رئيسا في المبادلات التجارية بين السودان الغربي وأوروبا بفضل تحكم الموحديين في طرق القوافل التجارية العابرة للصحراء وفي مراسي الغرب الإسلامي المختلفة فاستطاعت بذلك حماية التجارة البرية نحو السودان الغربي والبحرية انطلاقا من مراسمها نحو جنوب أوروبا، فظلت تلمسان مقصدا لتجار الآفاق بما تحتويه من خيرات وصناعات متأصلة بها،

¹ يحيى بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2006، ص 24.

² Latrie Mas : traites de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabe de L'Afrique septentrionale au moyen âge, Paris ' H.P, imprimeur -éditeur 1886, p81.

³ ابن خلدون عبد الرحمن: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت 2000، ص 77.

فكما وصفها ابن الخطيب فهي «خزانة زرع، ومسرح ضرع، فواكهها عديدة الأنواع، ومتاجرها فريدة الانتفاع، وبرانسها رفاق رفاع»¹.

3. عوامل ازدهار التجارة ومظاهر حيويتها بمملكة تلمسان:

وصف المدجن تلمسان بأنها «مدينة كثيرة الحرث والنسل والتجارة والحركات، مدينة قائمة بنفسها مستغنية

عن غيرها من المدن والحصون»² فعلى المستوى الداخلي وجدت مجموعة من المدن التجارية على غرار ندرومة

(مدينة قديمة أسسها الرومان في سهل فسيح موقعها شبيه بموقع روما ومنها اتخذت اسمها) والتي كانت تشتهر حينها بصناعة الأقمشة القطنية، وكان جل أهلها من التجار يتجرون في الجزائر وتلمسان مقابل هدايا ملك تلمسان على حد تعبير مارمول³، وتاريخ المغرب الإسلامي مليء بمثل هذا النوع من التبادل، كالملاح الذي كان ينقل من بلاد المغرب ليستبدل بمقداره تبرا، كما أشار الوزان ومارمول في عدة مواقع لما كان يتم تبادله مع تجار أوروبا من مواد بطريقة المقايضة، ومن مرسى أرزيو الجديدة التي كان يرسو بها عدد من سفن النصارى محملة ببضائع أوروبا على عهد بني زيان⁴ وميناء مملكة تلمسان - وهران والمرسى الكبير (كان من أكبر المراسي في بلاد المغرب وفي العالم حسب الوزان فكانت ترسو به مئات المراكب والسفن الحربية بكل سهولة ويجعل السفن في مأمن من كل عاصفة وإعصار) - اللذين كان يختلف إليهما عدد وافر من تجار جنوة والبندقية، ويتعاطون هناك تجارة نافقة عن طريق المقايضة، وبسقوطهما في يدي الملك الكاثوليكي فرناندو، تعرضت مملكة تلمسان لخسارة عظمى⁵، وكان سكان بعض الموانئ يقايضون مع الأوروبيين في عدد من البضائع مقابل ما عندهم من حنطة وأغطية، وكانت سفن البندقية التي تأتي إلى بادس مرة أو مرتين في السنة حاملة بضائعها، تتجر فيها بالمبادلة والبيع نقدا، بالإضافة إلى أنها تنقل البضائع وحتى الركاب المسلمين أنفسهم من هذا الميناء إلى تونس وأحيانا إلى البندقية أو حتى الإسكندرية وبيروت⁶.

إضافة إلى ما ذكرنا من مراسي نجد ميناء هنين الصغير المحصن من كلا الجانبين ببرجين قويين، ومدينة هنين التي كانت أهلة بالتجار والصناع، تنحدر إليها سفن البندقية كل سنة عند ذهابها إلى تلمسان، خاصة منذ أن احتلّ الكردينال خيمينيس وهران والمرسى الكبير، وكان تجار تلمسان يذهبون إليها ليتعاملوا مع تجار البندقية، زيادة على هذا فقد اشتهرت بصناعة الألبسة والأقمشة الجميلة من القطن، ومما يؤكد أهميتها التجارية أنه رغم خلوها من السكان بشكل كاد يكون كليا عند احتلال وهران، إلا أنّ ملك تلمسان أرسل إليها حامية لتأمين التجارة بها، أما السبب الذي أدى إلى تراجع هذه الأهمية التجارية فيعود إلى طمع سكانها، إذ لم يكتفوا بما يجنونه من تجارتهم، فأصبحوا يأوون القراصنة ويخرجون معهم لشنّ الغارات على

1 - ابن الخطيب لسان الدين: معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2002، ص 184.

2 - عبد الله بن الصباح الأندلسي (المدجن): نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار (رحلة حجازية)، تحقيق جمعة شيخة، المطبعة المغربية للطباعة والنشر والإشهار، الشرقية، تونس 2012، ص 57.

3 - كبرخال مارمول: إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1988-1989، ص 295.

4 - كبرخال مارمول: المصدر نفسه، ص 33.

5 - الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1983، ص 327.

6 - المصدر نفسه، ص 9.

شواطئ اسبانيا مما اضطر الملك الاسباني إلى نهبا ثم تدميرها لتلافي النفقات، فحطمت أسوارها وبروجها وحرقت الديار وخرّبت¹.

ومن هنا بدأ أمراء بني زيان الأواخر يزعمون أنهم فقراء، وأنهم في حاجة إلى المساعدة للمحافظة على الجهاد ضد المسيحيين، الأمر الذي سيسمح لهم بجباية الضرائب وواجبات الجمر في الدخول والخروج، إلى غير ذلك من التكاليف المالية، فكان لهم مركز جمر بوهرا تستخلص فيه هذه الواجبات، لأن سفن البندقية كانت ترسو فيها كل سنة قصد الاتجار، ولم يكن إيراد الأمير آنذاك سوى ستمائة ألف ريال يخصص نصفه لنفقة الجنود والنصف الآخر لنفقة قصره ويدّخر الباقي لضروريات الحرب، وقد تكاثرت الإيراد جدا منذ ذلك العهد لأنه بالرغم من فقدان جمر وهران، فإن جمر الجزائر قد تضاعف حتى أنه ليفوق إيراد الدولة بكاملها².

تواجدت بتلمسان المدينة والعاصمة جملة من الفنادق والتزل تخضع لنوع من التخصص حسب البضاعة أو حسب جنسية التجار المترددين عليها³، بنيت بالقرب من الأسواق أو الأماكن التي تعرض فيها السلع للبيع أو المزداد، وفي بعض الحالات نجدها في الأرياض والنواحي، ونجد بعضها عاما لا يخضع لأي نظام، وهذا ما قصده الوزان بالمدشر الكبير الموجود بالقرب من ساحل البحر بجزيرة جربة الذي يقطنه التجار الغرباء من مسلمين ونصارى⁴.

أخذت الفنادق آنذاك أسماء مختلفة، ففي تلمسان يورد لنا الوزان بعض أسمائها مثل فندق الشماعين وفندق المجاري، وفي مدينة وهران دار الجنوبيين، ذلك الفندق الخاص بتجار جنوة، وغالبا ما كانت تشاد بالقرب من الفنادق كنائس خاصة بالمسيحيين والنصارى، والتي وجدت بها حتى قبل نشأة الدولة الزيانية وهذا ما ندركه من خلال كتاب البغية⁵ (وهي آثار عادية، وكنائس حتى الآن بالنصارى معمورة، وأكثر ما يوجد فيها الرّكاز في تلك الآثار)⁵ وكانت تتواجد بالقرب منها أيضا المقابر الخاصة بهم، هذا ما تواجده بتلمسان الزيانية، وربما كان المراد من وراء ذلك الحرص على عدم اختلاط المسيحيين بأهل تلمسان، إذ نجد سلاطين المملكة يمنعونهم حتى من الذهاب إلى الحمامات العمومية الخاصة بأهل المدينة باستثناء البنادقة⁶.

منذ نهاية القرن 6هـ/12م وبداية القرن 7هـ/13م تقاطر على الدولة الزيانية عدد هام من تجار أوروبا وخاصة من فرنسا وأراغون وقشتالة وأقاموا بمدنها وعلى رأسها تلمسان وهنين ومنها تابعوا عملياتهم التجارية، لأن معظم التجار المسيحيين كانوا ينشطون بصفة خاصة في عاصمة الدولة -تلمسان-⁷ وقد سيطر الايطاليون على نقل وتوزيع البضائع والسلع على كل المتوسط، لأن علاقاتهم مع المنطقة كانت عميقة تعود إلى عهد الموحدين، إذ عملت تلك الإمارات وعلى رأسها جنوة على تمتين علاقاتها

¹ - مارمول كرخال: المصدر السابق، ص 296-297.

² - نفسه ، ص 302.

³ - الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 3، 20، 19.

⁴ - نفسه: ص 93-94.

⁵ - يحيى بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق ألفرد بل، المطبعة الشرقية، بيار فونطانا، الجزائر 1903، ص 20-21، انظر أيضا يحيى بوعزيز: المرجع السابق ، ص 30.

⁶ - عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، موقم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002، ص 138.

⁷ - Mas Latrie : opcit,p183.

التجارية مع الموحدين منذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر ومن ثم الإرساء بميناء وهران سنة 1179م¹، فعملت بعدها على تطوير تلك العلاقات حتى أصبحت تجارة زاهرة وخاصة في الربع الأول من القرن 7هـ/13م².

4. أوضاع المغرب الأوسط وأواخر القرن 15م وانعكاساتها على الواقع التجاري لمملكة تلمسان:

نجد معظم الرحالة يبدؤون بوصف تلمسان من الأطراف نحو المركز أو من الأحواز (الحوز لغة من حاز يحوز أي امتلك، ومنه جاءت كلمة الأحواز في كتب التاريخ والرحلة العربية الوسيطة، والتي قصد بها أصحابها الأراضي التابعة لمنطقة أو مدينة معينة) إلى المدينة، ومن هذا المنطلق ارتأينا أن نسلط الضوء على تلمسان وأحوازها واستخلاص دورها التجاري والاقتصادي وكذا المرامي الهامة مركزين على كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان الذي عاش في أواخر عمر الدولة وكان قد زار المدينة وأحوازها ووصفها وصفا دقيقا مبتدئا من الغرب منتقلا شرقا وكتاب إفريقيا لمارمول كاربخال المتأخر عنه والذي لم يخالفه كثيرا في وصف المنطقة إضافة إلى كتاب نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار (رحلة حجازية) للمدجن، ومصادر أخرى تطرقت للموضوع سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

وحسب الوزان الذي عاصر آخر ملوك بني زيان فإنه يرى بأن مملكة تلمسان تمتد من واد - زا - ونهر ملوية غربا - إلى الوادي الكبير شرقا (أي وادي الصومام) ومن المتوسط إلى صحراء نوميديا جنوبا³، أي على امتداد 380 ميلا من الشرق إلى الغرب، بينما صححها المعلقون في الترجمة الفرنسية ب 580 ميلا أي ما يعادل 930 كيلومترا، والذي يعتبره أحمد حجي بعيدا عن التقدير الحالي للميل والمقدر ب 1852 مترا، في حين تضيق من الشمال إلى الجنوب حتى لا تكاد تتعدى خمسا وعشرين كيلومترا في بعض النقاط من البحر إلى تخوم صحراء نوميديا وهذا ما يجعله الوزان عاملا من عوامل تعسف الأعراب القاطنين بالجزء المجاور للصحراء، وجعل معظم السبل المؤدية منها وإليها غير آمنة، وهذا ما يؤكد المدجن حين قال: ((ملك بني عبد الواد ملك مبارك، ولكن هو كثير المصائب من أجل تبديل ملوكها، يذيق بعضهم بأس بعض وتضعف من ذلك المملكة والحكم، ويكون فيها قطع الطريق، وتنحصر الناس عن الأسفار ويضيق عليهم الحال والبر بر متسع ما تعرف الناس بعضهم بعضا فيه، وكذلك جميع هذا البرّ العدوي المذكور كثير الحرميات والقطاع في جميع الأقطار من هذا البر المذكور من بلاد بني مرين إلى آخر مصور طرابلس إلى برقة.....⁴)، ومع ذلك ظلت المملكة تشهد حركية تجارية لقرنها من نوميديا ولكونها تمثل نقطة مفصلية في الطريق المؤدية إلى بلاد السودان الغربي⁵.

لقد كانت تلمسان مدينة زاهرة عبر تاريخها الطويل، وشهدت كما سبقنا الإشارة مراحل ركوص نتيجة الاضطرابات والتحولات السياسية لتستعيده فيكون ذلك مجرد ازمان عابرة، ومن ذلك ما حدث في عهدها الزياني وخاصة على عهد أبي

¹ - Dufourcq, CH.E:l'Espagne catalane, Paris -France1966,p134.

² - Bautier'R.H:les relations commerciales entre l'Europe et l'Afrique du nord et l'équilibre économique méditerranéen du XIIème au XIVème siècle, Bulletin philologique et Historique,1953, 399-416.

³ - الحسن الوزان: المصدر السابق، ص7.

⁴ - المدجن: المصدر السابق، ص 59.

⁵ - الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 8.

تاشفين الأول¹، فأصبحت على عهده دولة عظيمة، إذ شيّد القصبات والأسوار والمساجد، وزين البلاد فكانت مملكة عظيمة حتى كان يفتخر على ملوك العرب بالمال والخزائن والحراث والنسل وزينة الثياب وكنوز الذهب والفضة والذخائر من الجواهر النفيس واللؤلؤ والزمرد والقدرة الواسعة بالمال والعبيد²، فلا إفريقيا ولا أوروبا تملك أبوابا غنية كبابي الجزائر: باب البحر وباب البر، لأن الميناء يكون عادة غاصًا بالسفن المسيحية التي يسوقها القراصنة محملة بالناس والبضائع وتدخل من باب البر باستمرار أعداد كثيرة من الجمال المحملة بكل ما هو نفيس في بلاد البربر ونوميديا وليبيا وبلاد السوس وإيراد هذا الباب وحده يساوي ما يزيد على مليون مثقال من الذهب في السنة³.

إن انعدام الأمن في الطرقات التي كانت تؤدي إلى دواخل الصحراء الإفريقية بسبب الأعراب الذين كانوا يتربصون بكل من يمر عبرها، وجهل الأوروبيين بها حتم عليهم التعامل مع إمارات المغرب الإسلامي وعلى رأسها تلمسان كوسيط تجاري، أضف إلى ذلك المخاطر الطبيعية وعدم معرفة أولئك التجار بالمسالك التي قد تفضي بهم إلى الضلال والتيه، وفي هذا الشأن يقول المدجن «الخوف والخلل وبعد العمائر وهذا يأتي من وسع البر المتسع...بر متصل مثل البحر المحيط، بعيد المساييف وقليل الماء كلها صخرة»⁴، فنجد أن أهل المغرب الإسلامي أنفسهم كانوا يضعون علامات تدلهم على تلك السبل، ومن ذلك شركة المقريين بالمغرب الأوسط، التي اشتهرت بالتجارة ومهدوا-أي المقريين- طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار واتخذوا طيلا للرحيل وراية تتقدم عند المسير⁵، وقد يعود ذلك إلى أسباب دينية واقتصادية نظرا للخير الذي كانت تجلبه تلك التجارة، وكان حقا سببا في ظهور المطامع الرامية إلى تملك تلمسان.

ونجد الحسن الوزان يورد لنا مثلا عن منطقة أنقاد «مبتدأ مملكة تلمسان غربا، وهي عبارة عن سهل قفر وعري يابس لا ماء فيه ولا شجر، تمتد على نحو ثمانين ميلا طولا وما يقرب من خمسين ميلا عرضا، أما اليوم فهي إقليم من أقاليم المغرب الأقصى الشرقية وإليه تنتمي مدينة وجدة التاريخية التي تبعد نحو أربعين ميلا جنوب البحر المتوسط، وبنفس المسافة عن مدينة تلمسان»⁶ الواقعة غرب الإمارة العبودية والتي كانت مأوى لعصابة لصوص من الأعراب الذين كان يزداد خطرهم خاصة في فصل الشتاء بعد أن يرحل الأعراب المستأجرون للحفاظ على الأمن نحو نوميديا بالشرق⁷، ويؤكد ذلك كريخال بقوله: «فقد كان بها الكثير من الأعراب المتنقلين المتسكعين يمتنون السلب والنهب في المسالك الكبرى ومن أجل ذلك كان المسافر يلزم على تأدية مبلغ من المال لأول رئيس جماعة يصادفه ليسلم له راية صغيرة على رأس رمح حتى لا ينهب عبر منطقته كلها، ويفعل نفس الشيء لدى الوصول إلى آخر ليطم المرور دون خطر⁸، ناهيك عن ما يحدث بالمسافر عبرها من مخاطر،»⁹ في

1 - هو عبد الرحمن بن موسى، حكم ما بين 1318/718-1337/737 وهو السلطان الخامس في ترتيب سلاطين بني عبد الواد.

2 - المدجن: المصدر السابق، ص 54.

3 - مارمول كريخال: المصدر السابق، ص 302.

4 - المدجن: المصدر السابق، ص 59.

5 - المقري أحمد التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ووزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط 1، 1988، ص 205.

6 - الوزان: المصدر السابق، ص 10-12.

7 - الوزان: المصدر نفسه، ص 8.

8 - مارمول كريخال: المصدر السابق، ص 292.

كلها مساييف وخلوات، فيها خوف وعطش ورمال وفياف منقطعة¹ ونفس الشيء يمكن قوله بالنسبة لدواخل أوروبا التي تميزت في تلك الفترة بصعوبة وخطورة وعدم أمن مسالكها فانقطعت الطرق التجارية وتوقف التجارة الداخلية والخارجية بسبب الجيوش القشتالية والبرتغالية والليونية والأرغونية.

انعكست هذه الوضعية الصعبة بالنفع على تلمسان ونواحيها، إذ تواجدت بالمغرب الأوسط مدن تجارية على غرار مدينة تلمسان التي احتوت على ما يعرف بالقيصرية أو القيصرية، التي هي عبارة عن مجموعة من البنايات على شكل رواق يحتوي محلات تجارية وورشات ومخازن ومسكن في بعض الأحيان، وتختلف القيصرية عن السوق العادية بشساعة مساحتها واشتمالها على مجموعة أروقة مغطاة، في حين يشتمل السوق على رواق واحد، وفيها كان يتم عقد الاتفاقيات بين التجار سواء المسلمين مع بعضهم البعض أو بينهم وبين المسيحيين، ومن أمثلة تلك القيساريات، تلك التي أقامها أبو حمو موسى الأول على مساحة كبيرة من الأرض لتكون السوق الرئيسة بالمدينة، وكانت تعلق أسوارها رايات الدول المتعاملة مع الإمارة الزيانية تجارياً، مثل قشتالة أراغون ميورقة جنوة بيزة وغيرها والتي كان يقصدها التجار الأجانب بحثاً عن أهم مادة استراتيجية قدموا من أجلها وهي التبر القادم من السودان الغربي وخاصة من غينيا، حيث يحمل تجار المملكة بضائعهم كل سنة ويأتون منها بالتبر والعنبر والمسك وسنور الزباد ورقيق السود وأشياء أخرى من بضائع البلد ويتجرون بالتبادل محققين كثيراً من الربح حتى لتكفي رحلتان أو ثلاث ليستغني التاجر، الأمر الذي يحملهم على أن يخرقوا رمال ليبيا متعرضين لأخطار عدة².

إلى جانب هذه القيساريات وجدت أسواق دائمة امتازت بتخصصها في بيع بضائع معينة مثل سوق العطارين والعشابين، سوق الصباغة، سوق الحدادة، سوق التجارة، سوق الصوف وسوق الكتب وغيرها.

إضافة إلى هذا نجد العامل البشري، إذ مثل التجار فئة مميزة داخل المجتمع الزياني سواء داخل المدينة تلمسان أو بالمدن الساحلية، فكانوا طبيين أوفياء في تجارتهم معتزون بالنظام والحضارة وحسن التدبير مهذبون مع الأجانب³، الأمر الذي ساعد بدوره على استقدام التجار من كل الأصقاع.

5. طبيعة المبادلات التجارية للمنطقة

1.5 صادرات المملكة: إن قائمة السلع وكميتها لم تكن ثابتة وقارة على مدى عمر الإمارة الزيانية، نظراً لما انتابها من أحداث سياسية أثرت على رقعته ونشاطاتها بكل أنواعها.

وتأتي الحبوب على رأس صادرات المغرب الأوسط الزراعية، وتفيد المصادر بأن وهران ظلت تكتسي أهمية بالغة في تصديرها، وذلك ابتداء من القرن الرابع الهجري-العاشر الميلادي -انطلاقاً من مرسى وهران وأرزيو⁴، وكذا ميناء تنس الذي كانت تحمل المراكب منه القمح إلى مناطق عديدة وبالأخص تجاه سواحل الأندلس⁵.

1 - المدجن: المصدر السابق، ص 60.

2 - مارمول كريخال: المصدر السابق، ص 300.

3 - نفسه، ص 300.

4 - Vernet,R.;op.cit ,p34.

5- ابن سعيد (أبي الحسن): كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 2، 1982، ص 144.

كما كانت هذه الحبوب تتجه نحو سواحل شبه الجزيرة الإيطالية وخاصة جنوة والبندقية لأن أهلها كانوا يفضلون قمح المنطقة لاحتوائه على كمية كبيرة من السميد، فكانوا يصنعون منه الرغيف البحري الجاف والأطرية¹.

كما خرجت من موانئ الإمارة الجلود والأصواف المدبوغة والضأن، التي مثلت مادة أولية للكثير من الصناعات

ومنهما الصناعات الجلدية والنسيجية²، وكانت تتجه خاصة نحو شبه الجزيرة الأيبيرية لتصنّع وتحديدًا إلى اشبيلية التي صارت ملتقى التجار من إيطاليا والبرتغال والانجليز والفرنسيين الذين أصبحوا يفدون عليها للحصول على ما اشتهرت به من صوف ومصنوعات جلدية إضافة إلى الشب والزئبق لصبغ المنسوجات وجالبين إليها في نفس الوقت السلع الكمالية³، واتجه الزئبق منها نحو الإمارات الإيطالية وخاصة البندقية⁴.

اشتهرت تلمسان بصناعاتها -التقليدية- وخاصة النسيجية والتي بدأت تنتعش وتزدهر ابتداء من القرن العاشر وحتى القرن الخامس عشر الميلادي، إذ كانت نافقة ورائجة، وهذا ما ندرکه من خلال قول الوزان ((وكان معظم سكانها من الصناع والحاكة ويعيش أكثر سكانها على مدخولاتهم...⁵، وكذا قول يحيى بن خلدون ((ومن لدنهم يجلب إلى الأمصار شرقا وغربا... أي البرانس والأحرام⁶ ولعل ما دفع أهلها إلى هذا هو عدم كفاية المحصول الزراعي المحلي لسد حاجياتهم، إذ كانت أرضهم تجود بإنتاج الشعير الذي مثل معظم أكلهم⁷.

كما كانت بلاد المغرب الأوسط تصدر التمور التي تفتقدها الضفة الشمالية للمتوسط نظرا لعوامل طبيعية ومناخية على رأسها الحرارة، فكانت ذات قيمة غذائية هامة لدى الأسبان، وفي جميع المدن وكان ملك أراغون يفضلها على مائدته⁸، عموما فقد عرفت حركة تصدير الفواكه الجافة نشاطا كبيرا والتي نذكر منها الجوز والبندق والزبيب⁹.

صدّرت موانئ المنطقة بعض الحيوانات كالخيول رغم توفرها في المنطقة-شبه الجزيرة الأيبيرية- والصقور وهذا ما نستشفه من خلال حديث الوزان لكنها كانت تتجه نحو الملوك والطبقة النبيلة فقط¹⁰، كما كانت تخرج من مراسمها كميات من الشمع التي كانت تصنع من شهد النحل الذي كانت تشتهر به منطقة جبل بني بوسعيد (ليس المقصود بها المنطقة الحدودية للجزائر مع المغرب والتي لا زالت تحتفظ بهذا الاسم وإنما المنطقة الجبلية المجاورة لمدينة تنس)¹¹. وكان أهالي المنطقة يتعاملون في ذلك رأسا مع التجار الأوروبيين الذين كانوا يفدون إلى مراسي المملكة.

¹ - الطمار محمد عمرو: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص 248.

² -Sari Djilali, la renaissance d'un ancien débouche d'or transsaharien- honaine, opu, Alger1986,p33.

³ - كولستو، ج: المرجع السابق، ص 112.

⁴ - توفيق المدني: المرجع السابق، ص 37.

⁵ - الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 30.

⁶ - ابن خلدون يحيى: المصدر السابق، ص 22.

⁷ - الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 30.

⁸ - Sari,Djilali :op.cit, p33.

⁹ -ibid,p33.

¹⁰ - الوزان: المصدر السابق، ص 9.

¹¹ - الوزان: المصدر السابق، ص 45.

كما خرجت من تلمسان كميات هامة من العسل الذي كانت تشتهر به مناطق عديدة من أحواضها والمناطق المجاورة لها، إضافة إلى الزيت والعبيد الذين كان ملك أراغون يرسل تجارا لجليهم منها، ومثلت منطقة مرور أو عبور للكثير من السلع التي كان يستقدمها تجارها من دواخل إفريقيا السوداء كالتبر¹ والرياش والمهارات²، فكان الايطاليون يأتون لبلاد المغرب خصوصا لشراء الذهب، فسيطروا على جزء هام من تجارته في تلمسان والمغرب الأقصى.

لقد دخلت الإمارات الإيطالية وخاصة جنوة في منافسة مع بيزا سردينيا وكورسيكا وصقلية، ولهذا كانت تجارتها في هبوط، ربما بسبب صعود القطلانيين الذين أقاموا علاقات طيبة مع عواهل المغرب الأوسط الذين فضّلوا التعامل معهم تجاريا عن الجنوبيين، الذين وجهوا اهتمامهم وتركيزهم على التجارة مع دول المغرب بصفة عامة والمغرب الأوسط خاصة بعد المزاومة التي شهدها من قبل القوة الجديدة وهي قوة العثمانيين الذين سيطروا على الطرق التجارية المشرقية³، الأمر الذي دفعهم إلى التوجه نحو الحوض الغربي منه منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي لتعويض خسائرهم المترتبة عن تراجعهم وانسحابهم من المشرق، ومن ثم فستفيدهم تلمسان باعتبارها ملتقى الطرق التجارية والطريق نحو التبر خاصة.

كان العديد من التجار الايطاليين الجنوبيين يدخلون المناطق الداخلية للمغرب الأوسط مجذوبين بتجارة الذهب، وقد بلغ أنطونيو مالفنتي- منطقة توات مارا عبر تلمسان، ونظرا للأهمية المتزايدة للتجارة مع المغرب الأوسط ولإنعاشه اياها فقد أعفى مجلس-السيينا-الجنوبي من أي ضريبة كل بضاعة للتجار الجنوبيين القادمين من المنطقة، ونفس الشيء يمكن قوله بالنسبة للبنديقية التي لم تتأخر لتحقيق الفائدة من الاتجار مع تلمسان، فاجتهدت بواسطة تجارها لبلوغ ذلك، أي للتفرغ لتجارة الذهب القادم من السودان الغربي .

2.5 واردات المملكة: كانت متنوعة وغير قارة أيضا، فرغم ما اشتهرت به المملكة من وفرة في إنتاج الحبوب إلا أنها لجأت في بعض السنوات إلى استيرادها، أي خلال سنوات القحط والمسغبة⁴، ولم تكن هذه السلع الواردة من الضفة الأخرى موجهة لتلمسان فقط، بل راعت أيضا ما تحتاجه دواخل الصحراء وخاصة السودان الغربي، التي كانت تمثل موردا هاما لتزويد تلمسان بالتبر الذي اعتبر عمود صادراتها، وفي هذا الشأن يقول مارمول⁵ «وأهم تجارتهم في غينيا حيث يحملون بضائعهم كل سنة ويأتون منها بالتبر والعنبر والمسك وسنور الزباد ورقيق السود وأشياء أخرى من بضائع البلد ويتجرون بالتبادل محققين كثيرا من الربح حتى لتكفي رحلتان أو ثلاث ليستغني التاجر، الأمر الذي يحملهم على أن يخترقوا رمال ليبيا متعرضين لأخطار عدة».

إضافة إلى العبيد والرياش والمهارات كما أشرنا سابقا، والتي تعتبر الوسيط التجاري بينها وبين أوروبا، إذ كان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع وذلك يرسل له بالجلد والعاج والتبر⁵، كما جلب تجار تلمسان والمغرب الأوسط

¹ . هو ما كان من الذهب غير مضروب، فإذا ضرب دنائرا فهو عين، ولا يقال تبرا إلا للذهب، وبعضهم يقوله للفضة، انظر الرازي محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة خاصة مدققة، 1986، ص31.

² - بوزيان الدراحي: المرجع السابق، ص 21.

³ . Mas Latrue :op.cit, pp 2-325-326.

⁴ - عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، ط1980، 4، ص186.

⁵ - المقرئ التلمساني: المصدر السابق، ص205.

أقمشة الحرير من مدينة المريّة وأنسجة الكتّان من المدن الإيطالية¹ التي كانت تحتكر عملية جلبها من فرنسا وهولندا، وجلب الزبانيون مادة الجوخ أو الملقف الذي اشتهرت بصناعته إيطاليا خاصة متزودة في ذلك بمواد قادمة من الشرق، فكانت تلك المادة تستقدم لتصنع منها بعض قطع لباس الجند².

كما لم يكن القصد من وراء التجارة دوما تحقيق الربح، بقدر ما كان الهدف منها جلب مواد يستطيرها سكان المنطقة أو يفتقدونها، وعلى رأسها البضائع المصنعة، وهذا ما يشير إليه مارسي بقوله "إن السلع المستوردة من وراء البحر كانت أقل إنتاجا للثروات، لكنها زوّدت تلمسان ببضائع مصنوعة..."³.

خاتمة:

إن المكانة التجارية التي اكتسبتها مملكة تلمسان بصفة خاصة والمغرب الأوسط بصفة عامة وضعف أمرائها من جهة أخرى انتهى بها إلى أن تكون محل صراع بين قوتين متناقضتين توجّهها وهدها، وهما الأتراك العثمانيون الذين بدؤوا ينقلون وجودهم ونشاطهم تدريجيا من الحوض الشرقي إلى الحوض الغربي للمتوسط وبين اسبانيا الحديثة التي تشكلت من توحد إمارتي قشتالة وأراغون وكذا البرتغال وصممت على ملاحقة أهل الأندلس والانتقام من بلاد المغرب التي احتضنتهم فكانت النتيجة أن فقدت المنطقة حيويتها ومكانتها التجارية، فعلا لقد تأثرت مملكة بني زيان بهزّات أثرت في حركيتها وحيويتها التجارية بداية بأزمة القرن الرابع عشر حيث سيطر التجار الأوروبيون على البحر المتوسط واكتشفوا طرقا بديلة عبره أفقدت المغرب الأوسط والمغرب الإسلامي بشكل عام دوره كوسيط تجاري بين الشمال والجنوب.

كما أن القوة -الجزائرية- كانت تعتمد حتى خضوعها للأتراك على المؤسسات المالية السلمية، وأن المصادر الطبيعية للدولة كانت تسير في مثل تلك الطريقة للمحافظة على نظام مركائيلي أعطاه استقرارا في التوازن التجاري وفي الإنتاج الكافي خلال الفترة السابقة لأيام الأتراك، وأتت إضافة إلى المصادر المالية الثلاثة المتمثلة في الهدايا والحمولات والجزيات التي يدفعها الأوروبيون والمساعدات العثمانية كان هناك استمرار لتجارة شرعية كانت تقوم بها الموانئ الجزائرية لخروج المنتجات الداخلية للبلاد على حد تعبير وليام سبنسر، وأنها أي مملكة تلمسان لم تنقطع عن كونها ساحة مرور تلتقي فيها المواد الأوروبية المصنعة من أقمشة وأسلحة بمواد المغرب والسودان الغربي وذلك حتى في ساعات الأزمات الخطيرة.

قائمة المراجع:

- 1- برانشفيك روبار، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15، ط1، تعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988.
- 2- بوعزيز يحيى، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2006.
- 3- ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت 2000.

¹ - جورج مارسي: مدن الفن الشهير - تلمسان، موقان، البليدة، الجزائر 2004، ص 99.

² - الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 21.

³ - جورج مارسي: المرجع السابق، ص 48.

4. ابن خلدون يحيى، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق ألفرد بل، ج1، المطبعة الشرقية، بيار فونطانا، الجزائر 1903.
5. -ابن الخطيب لسان الدين، معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2002.
6. الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، طبعة خاصة مدققة، مكتبة لبنان، بيروت 1986.
7. الزركشي أبي عبد الله، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ط2، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس 1966.
8. -ابن سعيد أبي الحسن، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982.
9. سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر الجزائر 2006.
10. الطمار محمد عمرو، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983.
11. عبد الله بن الصباح الأندلسي (المدجن)، نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار (رحلة حجازية)، تحقيق جمعة شيخة، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، الشرقية، تونس 2012.
12. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط4، دار الثقافة، بيروت 1980.
13. كريبخال مارمول، إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط 1988-1989.
14. الوزان الحسن، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983.
15. فيلالى عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ط1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002.
16. المفري أحمد التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ووزيرها لسان الدين بن الخطيب، ط1، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1988.
17. المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، لبنان 2006.

19. Bautier R.H. (les relations commerciales entre l'Europe et l'Afrique du nord et l'équilibre économique méditerranéen du XIIème au XIVème siècle, Bulletin philologique et Historique (jusqu'en 1715) du Comite des Travaux Historiques et Scientifiques, 1953.

20. Dufourcq, CH.E. l'Espagne catalane, Paris-France 1966.

21. Latrie, Mas ' traites de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabe de L'Afrique septentrionale au moyen âge, H.P, imprimeur -éditeur, Paris 1866.

22.-Robert Vernet ,**Recherches sur la production et la circulation des céréales dans le Maghreb médiévale**, Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb, N13,Janvier1976.

23.-Sari, Djilali, **la renaissance d'un ancien débouche d'or transsaharien- honaine** - Alger, opu.

الهجرة وإشكاليات الهوية في العالم المعاصر

Migration and identity problems in the contemporary world

ط.د. محمد خيدون/جامعة ابن طفيل، المغرب

PhD student: Mohamed KHAIDOUNE/Univeristy of Ibn Tofail

ملخص:

ترتبط الهوية بشكل أساسي بالانتماء، كما ترتبط أيضا بالغيرية وديناميات التفاعل بين الثقافات والاثنيات، وهو الأمر الذي يجعلها في ارتباط وثيق بالهجرة، فهذه الأخيرة تحدث تغيرات عميقة في روابط الانتماء لدى المهاجر، كما تجعله أمام سؤال أصالة هويته، هذا السؤال الذي ينم عن أزمة حقيقية لدى المهاجر، والتي تحدث أساسا بسبب عجزه عن بناء روابط انتماء متينة مع البلد المستقبل في الوقت الذي تتلاشى فيه روابط انتمائه في البلد الأصلي، ويتكسر هذا الوضع بشكل كبير جدا عندما لا تسهل سياسيات الدولة في الهجرة عملية بناء الانتماء هذه، ويؤدي كل هذا، كما أشار فرانسيس فوكوياما، إلى تشكل جماعات تطالب بالاعتراف بالهوية، كما يؤدي في أقصى حدوده إلى تشكل جماعات متطرفة من قبيل جماعات الاسلام الراديكالي.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الهجرة، الانتماء، الحداثة.

Abstract :

Identity is linked primarily to belonging, otherness and dynamics of interaction between cultures and ethnicities. Thus it is in deep relation with migration. This phenomena causes deep changes into the immigrants' ties of belonging, it also put his original identity into question, while making him incapable of building new ties and new belongings. This crisis gets more complicated when migration policies do not make enough efforts to help immigrants get out of this dilemma, and it gets worse —as Francis Fukuyama points out— when it becomes a central cause of terrorism.

key words: Identity, migration, belonging, modernity

تقديم:

العلاقة بين الهوية وقضايا الهجرة، هي عبارة عن علاقة ارتباط وثيقة تستمد صلابتها من تداخل اشكالاتهما، فالهجرة بما تفرضه من تغيير اجتماعي وتفاعل ثقافي بين مختلف الإثنيات، وبما تخلقه من اشكالات متعلقة بالاندماج الانسجام الاجتماعي، تتقاطع وتتداخل مع اشكالات الهوية، فالسؤال حول الهجرة هو بشكل أو بآخر. سؤال حول الهوية، وذلك أن المهاجر، كما أشار عبد المالك الصياد، لا يهاجر بحقيقته فقط، ولكنه يهاجر أيضا بثقافته وأفكاره ومعتقداته وقيمه، بعبارة أخرى بهويته. وعلى هذا الأساس فالصل بين إشكاليتي الهجرة والهوية، أو محاولة فهم أي منهما دون الآخر، هو فصل تعسفي لا ينتبه لما يقتضيه فهم كل منهما.

1. مفهوم الهوية:

يعد مفهوم الهوية من ضمن أكثر المفاهيم الأكثر غموضا واستعصاء على التحديد الدقيق في العلوم الانسانية، حيث نجد عند البحث في معظم المعاجم الفرنسية أنه يتضمن خمس معان على الأقل، إذ يشير إلى معنى التشابه، والوحدة، والهوية الشخصية، والهوية الثقافية، ثم النزوع إلى التحديد أو التعريف (*Propension à l'identification*)¹. وعموما فإنه يمكن القول أن مفهوم الهوية لا يتوضح إلا من خلال الوقوف عند أهم التصورات الفلسفية التي شكلت الرحم الذي نشأ ضمنه، على اعتبار أن التحديد الذي نتوخاه للمفهوم هو ليس محاولة وضع تعريف دقيق، وإنما هو محاولة لتقريب معناه من خلال توضيح مختلف الأبعاد التي ينطوي عليها والاشكالات التي يرتبط بها.

ارتبط مفهوم الهوية في العصر الوسيط بالجماعة وكان البعد الأساسي الذي ينطوي عليه هو البعد الجمعي، حيث كان يشير إلى مطابقة الفرد إلى المجموعة التي ينتمي إليها²، لكن المفهوم لم يتطور ويأخذ الطابع المتعدد المعاني الذي يميزه إلا مع الفلسفة الحديثة، وكان من ضمن الفلاسفة الأوائل الذين تناولوا مفهوم الهوية ومنحوه بعدا جديدا، هو الفيلسوف الانجليزي جون لوك، حيث تطرق إليها في إطار محاولته الإجابة عن إشكالية وحدة الهوية الشخصية خلال الزمن، والتي أجاب عنها من خلال افتراض أن الشخص هو بالذات قادر على حفظ المراحل التراكمية للوجود داخل النفس، وبذلك أخرج مفهوم الهوية من بعدها الجماعي المحض ليؤسس لما يسمى "بالهوية الشخصية". وفي القرن التاسع عشر عرف مفهوم الهوية تطورا مهما مع مجموعة من الفلاسفة، أبرزهم فريدريك هيغل، حيث قام هذا الأخير بنقل سؤال الهوية إلى حقل العلاقات الاجتماعية، وذلك عبر اعتبار الهوية نتاجا للاعتراف المتبادل بين الذات والآخر، فهي نتيجة سيرورة صراعية تتشكل عبرها تفاعلات فردية وممارسات اجتماعية موضوعية وذاتية، وبذلك يكون قد أخرج مفهوم الهوية من بعده الفردي المحض والجماعي المحض، وذلك عبر التأكيد على أن الهوية هي نتيجة تداخل بين الفردي والجماعي داخل الذات الانسانية³.

¹ Robinson Baudry, Jean-Philippe Juchs « Définir l'identité », *Hypothèses* 2007/1 (10), p. 155-167. P 157

² Ibid., P 158

³ Ibid., P 159

من ضمن الفلاسفة الذين تناولوا مفهوم الهوية في الفلسفة المعاصرة هناك الفيلسوف الفرنسي بول ريكور، حيث سلط الضوء على بعدين أساسيين لمفهوم الهوية وذلك عبر تمييزه بين مضمونين متناقضين لهذا المفهوم، وهما التطابق *Mêmeté* والتمايز أو الاختلاف *Ipséité*، وذلك أن مفهوم الهوية يحيل في نفس الوقت إلى ما يوحد الفرد ويجمعه بغيره من أفراد الجماعة التي ينتهي إليها، كما يحيل إلى ما يجعله فريدا ومختلفا عن أي فرد غيره.¹

وهكذا فإنه يتبين من خلال عرض بسيط لبعض أهم الأبعاد التي ينطوي عليها مفهوم الهوية، أن هذا المفهوم هو محط جدال بين تصورات مختلفة، الأمر الذي يجعله غير قابل للاختزال في تعريف دقيق ومحدد، وبالتالي فمحاولة تحديده بشكل واضح دون اختزال معناه يجب أن لا تتعدى تسليط الضوء على الطابع التركيبي والمعقد الذي يميزه، فهوية فرد ما هي كل مركب بين ما يتشاركه بين كل أفراد جماعته، وبين ما يميزه عن كل هؤلاء الأفراد، وهي ذات مستويات متعددة ترتبط بمستويات انتمائه، وبدرجة انخراطه في الجماعة التي ينتهي إليها، الأمر الذي يجعلها غير ثابتة وفي تشكل مستمر عبر سيرورات من البناء وإعادة البناء.

II. الانتماء وبناء الهوية الجماعية:

تتضمن سيرورة بناء الهوية الجماعية فعل تفيء، ويحيل هذا الفعل إلى مطابقة الأفراد لصفات محددة أو انتمائهم إلى فئة معينة²، وذلك أن بناء الهوية الجماعية هو مؤسس على الانتماء، حيث أن الشعور المتبادل بالانتماء المتشارك بين أفراد مجموعة معينة، هو الذي يجمعهم ويمنحهم الشعور بالوحدة، ويرتكز هذا الشعور على سيرورة ذاتية وعاطفية³ تربط (أو تفصل) الأفراد فيما بينهم، فإذا كان هذا الرابط متينا أصبح شعور الفرد بالانتماء وبالتالي هويته أكثر ثباتا واستقرارا، أما إذا كان الرابط هشاً أو حتى منفصلا بفعل الرفض أو الوصم مثلا، فإن شعوره بالانتماء وانخراطه ضمن هذه الجماعة لا يتحقق⁴. يحيل مفهوم الانتماء ليس فقط إلى سيرورة عاطفية فردية، ولكن أيضا إلى سيرورة انخراط بنيوية وبيروقراطية⁵، وذلك أن قبول فرد ضمن جماعة معينة هو ليس فقط رهين تفاعلات اجتماعية بينه وبين المجموعة التي يود الانخراط فيها، ولكنه مرتبط كذلك بالبنيات السياسية والإدارية التي تلعب دورا حاسما في قبول أو رفض انخراطه ضمن هذه الجماعة. إن بناء الهوية الجماعية هو سيرورة تتداخل فيها عوامل ذاتية عاطفية وأخرى موضوعية مؤسسية لا تقل أهمية، بحيث تلعب هذه العوامل دورا أساسيا في تسهيل أو عرقلة سيرورة الانتماء وبالتالي بناء الهوية.

¹ Ibid., P 164

² Wodak R, Krzyzanowski M. 'Multiple Identities, Migration, and Belonging: Voices of Migrants'. In Caldas-Coulthard C, Iedema R, editors, Identity Troubles. Basingstoke: Palgrave Macmillan. 2007. p. 95-119. P 99

³ Ibid., P 99

⁴ Ibid., P 101

⁵ Ibid., P 101

III. الغيرية وبناء الهوية الجماعية:

يرتبط البعد الجماعي للهوية بالشعور بالانتماء الذي نملكه إزاء جماعات معينة، وقد اعتبرت بعض التصورات الكلاسيكية (مثال على ذلك دوركايم) أن هذا الشعور مفروض على الفرد بشكل موضوعي خارج إرادته¹، ومعنى ذلك أن هويته الجماعية محددة بشكل سابق عنه، فبمجرد وجوده داخل المجتمع يكون قد اكتسب هويته. والواقع أن هذا التصور متجاوز اليوم، وذلك بسبب حتميته، وبسبب اهماله لمكانة ودور الفرد في تشكيل هويته الخاصة، وأيضاً لكونه يصور الهوية الجماعية باعتبارها جامدة وثابتة، وهو عكس ما تذهب إليه كثير من التصورات اليوم (فوداك (Wodak)، حيث تعتبر أن الهويات الجماعية تتغير باستمرار، وذلك أنها عبارة سيروية مستمرة من التفاوض والتأكيد، يقوم خلالها الأفراد بالانتماء إلى جماعات معينة والتصرف باسمها وضمن إطارها²، وهذا الانتماء على العكس من سابقه، يكون نابعا من وعي وإرادة كبيرين للفرد، وليس مجرد انخراط مباشر ضمن المسار والمكان الذي تحدده الجماعة.

يحيل مفهوم بناء الهوية الجماعية في أعم تعريفاته إلى "سيروية إنشاء مجموعات تحمل شعورا بالانتماء"³، وهذا الشعور لا يكتمل إلا من خلال رسم الحدود بين "النحن" و"الغير"، فالغيرية هي عنصر أساسي في سيروية بناء الهوية، وذلك أن هذه الأخيرة هي عبارة عن عملية تحديد مستمرة لما يشكل الاختلاف بين الذات والغير، وقد كانت الأبحاث الأنثروبولوجية هي أكثر من سلب الضوء على هذا الجانب، وذلك من خلال دراستها لدينامية الاثنيات، ودورها في بناء هوية الأفراد من خلال الانتماء الذي تفرضه بناء على سمات ثقافية أو إثنية معينة⁴، وذلك على اعتبار أن تحديد الجماعة الإثنية لذاتها لا يتم سوى من خلال التقابل المستمر الذي تقيمه بينها وبين باقي الإثنيات الأخرى، فمن خلال هذا التقابل تخلق الهوية وتؤكد وتحفظ استمرارها⁵.

IV. الهجرة وحركية الافراد (السياق العام لبروز اشكالية الهوية):

أصبح العالم منذ نهاية القرن العشرين يصير أكثر فأكثر حركية، حيث صار. حسب تقرير الأمم المتحدة. عدد الأفراد الذين يعيشون خارج بلد المولد 180 مليون فرد سنة 2005، والذي لم يكن يتجاوز 80 مليوناً في العقد السابق، ولا زال هذا العدد مستمرا في التزايد، حيث انتقل إلى 220 مليون سنة 2010، وفي سنة 2017 وصل العدد إلى 258 مليون⁶.

أحدثت العولمة تغيرات جذرية على مستويات كثيرة، ولعل أهم ما جاءت به هو تحرير السوق وتسهيل التبادل الحر بين الدول، تزايد تدفق المعلومات، إضافة إلى تشكل روابط بين أفراد وجماعات من جهات مختلفة من العالم بفعل وسائل الاتصال

¹ Daniel CALIN, Construction identitaire et sentiment d'appartenance, Ce texte a servi de base à une conférence donnée le 11 décembre 1998 dans le cadre des Amphis de l'A.I.S. de l'I.U.F.M. de Paris. Texte accessible sur <http://dcalin.fr>, P 1

² Wodak R, Krzyzanowski M. op. cit. p. 95-119. P 98

³ Caroline B. Brettell and Carolyn F. Sargent, Migration Identity and Citizenship: Anthropological Perspectives, American Behavioral Scientist 2006, Volume 50 Number 1, September 2006 3-8, P 3

⁴ Ibid., P 3

⁵ Ibid., P 3

⁶ United Nations, International Migration Report 2017: Highlights, Department of Economic and Social Affairs, New York, 2017, p 1

والتواصل...الخ¹، والواقع أن هذه التغيرات جميعها تتمركز حول نقطة واحدة، تتعلق بضرورة فتح الحدود أمام مختلف التدفقات (قد تكون عبارة عن سلع، أموال، استثمارات، أو معلومات معلومات...الخ)، الأمر الذي يجعلنا أمام عالم أكثر انفتاحا وترابطا من أي وقت مضى، وأيضا أمام وضع متناقض، حيث أنه في ظل هذا التوجه نحو الانفتاح الذي يميز العالم اليوم، نجد أن القيود على حركية الأشخاص لا تزال ضيقة²، ومعنى ذلك أن العولمة لا تمنح مميزات للجميع، فهي تتحرك بمنطقتين متناقضتين، بحيث أنها تقوم بشكل مستمر بابتكار تكنولوجيات عابرة ومحطمة للحدود (كالطائرات مثلا وغيرها من وسائل النقل)، لكنها في الآن ذاته، تضع المزيد من القيود على حركية الأشخاص وحرية التنقل والهجرة³.

إن كثافة الهجرة التي نشهدها اليوم، هي دليل على أن المقاربة القائمة على تقييد الحركية غير مجدية، ولا تتوافق مع الدينامية التي يعرفها العالم المعاصر، فالقيود على الهجرة لم توقف الهجرة بقدر ما أدت إلى ظهور وسائل وطرق متعددة لاختراق الحدود، والتي تكون في أغلب الأحيان خطيرة ومنافية لحقوق الإنسان⁴، ففي واقع يتميز بحركية وتدفق المعلومات والأموال والأفكار، لا يمكن أن نتوقع سوى أن تكون هجرة الأفراد مكثفة، وذلك لأن هذه التدفقات تمنح الكثيرين المزيد من الطموحات في الهجرة نحو مكان أفضل، حيث تتوفر ظروف عيش أحسن.

V. علاقات الارتباط بين الهوية والهجرة:

الهجرة على غرار كل التغيرات الهامة التي تمس الوضع الاجتماعي للفرد، تؤثر على أحاسيس الانتماء الاجتماعي، وبالتالي أحاسيس الهوية⁵، وهو الأمر الذي يضع اشكالية الهوية في صلب اهتمام سوسيولوجيا الهجرة، كما يجعل، من جهة أخرى، من الهجرة موضوعا أساسيا لا محيد عنه لفهم ديناميات بناء الهوية، فالهجرة هي ليست فقط حركية مجالية أو تغييرا مؤقتا أو دائما لمكان الإقامة، وإنما هي تغير جذري يمس الروابط الاجتماعية للفرد، ويضعه أماما ضرورة بناء روابط جديدة مع هامش اختيار الحفاظ أو القطع مع روابطه القديمة، وتشكل هذه الدينامية المتمثلة في عملية بناء وإعادة بناء الروابط أساس تشكيل الانتماء الذي يعد بدوره ركيزة الهوية.

تؤثر الهجرة بشكل كبير على هوية المهاجر، حيث تؤدي إلى إضعاف شعوره بالهوية، ويتكسر هذا الوضع من خلال غياب المؤشرات المرجعية داخل البلد المستقبل، إضافة إلى صعوبات الاندماج، وملاقات الرفض وعدم القبول⁶ من طرف سكان البلد المستقبل، سواء كان هذا الرفض متجسدا بشكل موضوعي عبر القوانين والمؤسسات، أو مقتصرًا على التمثلات والوصم الاجتماعي. تؤثر الهجرة أيضا على الهوية من خلال الانفصال الذي تحدثه بين المهاجر وجماعته الأصلية لاسيما عندما تكون المسافة المجالية كبيرة، حيث ينعكس هذا الأمر على راوبط الأسرة فتتفصل بشكل كلي أو جزئي، كما تتأثر أيضا الروابط التي

¹ Ramunė Čiarnienė, Vilmantė Kumpikaitė, The Impact of Globalization on Migration Processes, Socialiniai tyrimai / Social Research. 2008. Nr. 3 (13), 42–48, P 42

² UN. CEPAL, Globalization and development, ECLAC, April 2002, P 230

³ Ibid., P 233

⁴ Ibid., P 230

⁵ Daniel CALIN, op. cit., P 2

⁶ Ibid., P 2

يقيمها الفرد بالمجال حيث تنفصل صلته "بالتراب" أو "البيت"¹، ويؤثر ذلك بشكل كبير على هوية المهاجر حيث يصبح تحت ضرورة إعادة بناء هويته عبر إنشاء روابط جديدة داخل البلد المستقبل، لكن بما أن هذا الأخير قليلا ما يعترف بالمهاجرين كأعضاء مرغوب فيهم ضمن المجتمع²، فإن هوية المهاجر غالبا ما تصبح هشّة، ومنقسمة بين اختيار التشبث بالانتماء للبلد الأصل، واختيار بناء انتماء جديد مع البلد المستقبل، والواقع أن كلا الاختيارين صعب التحقيق، وهو ما أشار إليه عبد المالك الصياد من خلال مفهومه "الغياب المزدوج"، حيث يحيل هذا الأخير إلى أن المهاجر غائب بشكل ملموس في بلده الأصل، وغائب بشكل مجرد في البلد المستقبل.

تفرض الهجرة نوعا من اللااستقرار والحركية الدائمة، كما تفترض أحيانا بحثا مستمرا عن الانتماء وتفاعلا مستمرا مع الشروط البيروقراطية والقانونية للقبول الاجتماعي³، وهو الأمر الذي يجعل هوية المهاجر مرنة وانسيابية، كما يفرض على الباحث السوسيولوجي والأنثروبولوجي، الأخذ بعين الاعتبار مختلف أبعاد الهوية سواء الدينامية منها أو البنيوية، على اعتبار أنها لا تقبل الاختزال في أي من منها، كما لا يتحقق فهمها إلا من خلال تبني مقارنة متعددة التخصصات تناول اشكالية الهجرة والهوية من مختلف المداخل الممكنة.

VI. الهجرة وبناء الهوية:

يتأسس بناء الهوية لدى المهاجرين على سيرورتين، إحداهما ذاتية تتشكل عبر اختياراتهم الخاصة، والأخرى خارجية تفرض عليهم، وذلك أن هوية المهاجر هي لا تبني فقط عبر نظرتهم لذاته والأوضاع التي حددها لنفسه، ولكن أيضا من خلال نظرة الآخرين، والأوضاع التي حددها الآخرون له⁴، فهوية المهاجرين هي منتج تتفاعل ضمنه علاقة الذات (الجماعية) بالغير، وتتجسد هذه العلاقة في جدلية التفاعل والصراع بين الصورة التي ترسم حول المهاجر على أساس انتمائه إلى إثنية أو ديانة أو لغة... الخ، والصورة التي يرسمها المهاجر حول نفسه سواء عبر مقاومة هذه الصورة أو تبنيها.

تتعارض هذه الفكرة مع التصورات الكلاسيكية للهوية والتي تعتبر هذه الأخيرة ككل قائم ومكتمل، وبالتالي تنظر للمهاجر باعتباره حامل لهوية مشكلة وثابتة، محددة مسبقا من طرف المجتمع الأصلي الذي ينتمي إليه، ومرتبطة بشكل قوي بالمجال والتراب الذي تتشكل ضمنه. ويرى الباحثين سيلفي ولاوسون Silvey and Lawson في المقابل، أن الهويات تبني داخل سيرورة الحركية، بحيث تستدمج مجموعة من الخبرات المتراكمة ضمن أماكن متعددة في الآن ذاته⁵، فالهوية ليست جوهرًا قائمًا، وإنما هي منتج دائم في طور التشكل، وذلك أنها مرنة وسائلة، تتفاعل مع مختلف السياقات المتغيرة⁶.

¹ Ibid., P 2

² Wodak R, Krzyzanowski M. op. cit. P 115

³ Ibid., P 98

⁴ Caroline B. Brettell and Carolyn F. Sargent, op. cit. P 4

⁵ Ibid., P 3

⁶ Ibid., P 4

وفي هذا السياق يمكن ادراج مثال المهاجرين الإيرانيين في أمريكا، حيث يشير "مبشر" Mobasher إلى أن الثورة الإيرانية سنة 1979، أدت إلى تولد شعور مناهض للإسلام داخل أمريكا، وقد تركز هذا الوضع من خلال مجموعة من الأحداث التي أدت إلى ربط الإسلام بالإرهاب والتطرف الديني في تمثيلات الأمريكيين، وهو الأمر الذي انعكس سلبا على الأقليات المسلمة في أمريكا وتحديدًا الأقليات الإيرانية، حيث أصبحت محط نبذ ووصم اجتماعي، فلجأت بذلك إلى إعادة بناء هويتها عبر مقاومة الصورة السلبية التي رسمت حولها، حيث قام مجموعة من المهاجرين بقطع صلتهم بالإسلام سواء من خلال تبني المسيحية أو من خلال إعلان رفضهم لتعاليمه الدينية، في حين قام الهاجرون الذين حافظوا على انتمائهم الديني بشكل تدريجي بإخفاء العلامات الدينية التي توجي بانتمائهم للإسلام¹. وعموما فإن دل ذلك على شيء، فهو أن هوية المهاجرين ليست ثابتة، وإنما هي منفتحة ومتفاعلة مع السياق الذي توجد داخله، فهي تنتج بشكل مستمر من خلال سيرورة بناء وإعادة بناء تتفاعل داخلها عوامل كثيرة.

VII. الهجرة والهوية في تصور فرانسيس فوكوياما:

1. الهوية والحداثة:

يرى فوكوياما أن السياسات الحديثة المتعلقة بالهوية في الدول الغربية، نابعة من ثغرة في النظرية السياسية التي انبنت عليها الديمقراطية الليبرالية، وهذه الثغرة تكمن في سكوت النظريات الليبرالية عن اشكالية مكانة الجماعات داخل المجتمع الليبرالي، حيث ركزت هذه النظريات بشكل أساسي على ضرورة ضمان الدولة للحقوق والحريات الفردية، لكنها أهملت حرية الجماعات سواء الدينية أو الثقافية أو الإثنية في الحفاظ على هويتها الجماعية²، وهو الأمر الذي أدى في وقت لاحق إلى استنزاف هذا التصور القائم على فكرة الاعتراف بالحقوق الفردية باعتبارها تمثل ما هو كوني في الانسانية، بحيث لم يعد هذا الحق كافيا، وأصبح جليا، من خلال مطالب الجماعات المهملية (مثل السود في أمريكا والكيبكيين والمثليين... الخ الذين يطالبون بالاعتراف بهم ليس كأفراد، ولكن كأعضاء في مجموعة) أن الاعتراف الجماعي صار مطلباً أساسياً وتحدياً سياسياً مهما داخل المجتمعات الحديثة، ومعنى ذلك أن الهوية في المجتمع الحديث صارت اشكالية أمام السياسة، لكنها أيضا صارت سياسية، وذلك لكونها أصبحت مرتبطة "بالاعتراف العمومي"³.

2. الإسلام والهوية:

يرى فوكوياما أن اديولوجيا الإسلام الراديكالي التي حفزت الأعمال العنيفة التي حدثت في مجموعة من الدول الغربية خلال العقود الأخيرة، هي ليست تعبيرا عن ثقافة إسلامية تقليدية، وإنما هي نتيجة للثغرة الكامنة في النظرية الليبرالية، وانعكاس للسياسات الحديثة للهوية، فالإسلام حسب فوكوياما، هو ديانة تقوم على ضبط السلوك من خلال مجموعة كبيرة من القواعد الاجتماعية، هذه القواعد متوطنة بشكل قوي على المستوى المحلي ومتوافقة مع مجموعة من العادات والتقاليد والممارسات المرتبطة بأمكان محددة، وبالتالي فعندما يغادر المسلمون المجتمعات الإسلامية التقليدية نحو أوروبا الغربية

¹ Ibid., P 6

² Francis Fukuyama, Identity and migration, Prospect Magazine, Issue 131 February 2007, P 1

³ Ibid., P 2

خاصة، فإن هويتهم كمسلمين تصبح غير قابلة للتحمل من طرف المجتمعات المستقبلية، ويعاني المهاجرون المسلمون، تحت ضغط ضرورة الامتثال للمعايير الثقافية للمجتمع المستقبل، من شرخ يحصل بين هويتهم الداخلية كمسلمين وسلوكهم الخارجي تجاه الآخرين، فيصيرون محاطين بسؤال حدود انتمائهم وأصالة هويتهم¹.

يرى فوكوياما أن حركات الإسلام الراديكالي والجهادي، تزايد استجابة للإشكالات الهوياتية التي أصبحت مطروحة بشكل قوي مع الهجرة، بحيث أن أهم ما تقدمه هذه الاديولوجيات هو الإجابة عن سؤال "من أنا؟"، هذا السؤال الذي يطرحه اليوم الكثير من المهاجرين الشباب في فرنسا وهولندا، ويجدون إجابته في الانتماء إلى أمة عالمية تتبنى تعاليم الإسلام الكونية. والواقع أن اعتبار الإسلام الراديكالي شكلا من سياسات الهوية، هو حسب فوكوياما. ما يفسر سبب انخراط الجيلين الثاني والثالث من المهاجرين ضمنه، ففي الوقت الذي لم يقطع الجيل الأول سيكولوجيا مع مجتمعه الأصلي، وحمل معه ممارساته التقليدية إلى موطنه الجديد، وجد الجيلين الثاني والثالث نفسهما عالقين بين ثقافة آبائهم وثقافة البلد المستقبل، دون القدرة على الاندماج في أي منهما، وهو الأمر الذي جعلهم يستجيبون لنداء الاديولوجيات الكونية للحركات الجهادية المعاصرة².

3. نقد التعددية الثقافية:

يرى فوكوياما أن التعددية الثقافية كما تم تصورها في كندا والولايات المتحدة الأمريكية، كانت بشكل ما عبارة عن "العبء في نهاية التاريخ"، حيث تم تصور التعدد الثقافي كجزء من التنوع (pluralism) الذي يسم المجتمع الليبرالي ومصدر غنى له، بما يوفره هذا التعدد من تنوع في المأكولات والملابس والعادات النابعة من تقاليد تاريخية مختلفة، وقد تم تصور أن هذا التعدد الثقافي من حيث ممارسته لن يتعدى المجال الخاص، ولن يؤدي إلى المساس بالحقوق الفردية، وإلا فإنه سيمهد النظام الليبرالي، وهو تحديدا ما يفسر المقاومات العنيفة التي تبديها المجتمعات الديمقراطية الليبرالية لكل محاولات الاعتراف بالمجموعات الثقافية، كمجموعات وليس كأفراد³.

يشير فوكوياما إلى أن المجتمعات الليبرالية الحديثة تقدم نفسها على أنها مجتمعات التعدد الثقافي، وعلى أنها مجتمعات تتجاوز الحدود الضيقة للهوية، والواقع حسب فوكوياما أن الأمر غير صحيح، فالهوية الوطنية لازالت قائمة في كل الليبراليات الديمقراطية المعاصرة، وهو ما يفسر الصعوبات الكبيرة التي لقيها إدماج المسلمين في مجموعة من البلدان كفرنسا وألمانيا وهولندا. ويشير أيضا إلى أن المجتمعات الديمقراطية الليبرالية هي ليست محايدة ثقافية كما قد يعتقد الكثيرون، وذلك لأنها تملك قيمها الخاصة المتعلقة بالمساواة الفردية في الحقوق والكرامة، وبالتالي فالثقافات التي لا تحترم هذه القيم لا تملك نفس الحق في المساواة داخل هذه المجتمعات. فالمهاجرون يملكون الحق في المساواة كأفراد لكن ليس كأعضاء ضمن جاعات ثقافية⁴، ومعنى ذلك أن المهاجرين لا يملكون حق المساواة ضمن المجتمع الديمقراطي الليبرالي، إلا من خلال انتسابهم لهذا المجتمع عبر تشبثهم بما هو فردي داخلهم.

¹ Ibid., P 2

² Ibid., P 3

³ Ibid., P 5

⁴ Ibid., P 5

خاتمة:

ختاما يمكن القول أن الهوية والإشكالات المرتبطة بها، تبرز وتظهر بأشكالها الأكثر جلاء مع المشاكل العديدة التي تطرحها الهجرة، فهذه الأخيرة تساءل الهوية، كما تثير كل الأسئلة الكبرى التي وقفت عندها مختلف المقاربات الفلسفية المؤسسة للمفهوم (من قبيل سؤال التغيير والثبات). وبالتالي فإن أي تحليل للهجرة دون الوقوف عند إشكاليات الهوية هو تحليل غير مكتمل، كما أن أي سياسة هجرية لا تراعي البعد الهوياتي لدى المهاجرين هي سياسة عاجزة، ونابعة من عدم إدراك أصل المشاكل المطروحة مع الهجرة. وفي هذا السياق تحديدا يندرج النموذج الذي أورده فوكوياما حول المسلمين في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، فعدم قدرة هذه المجتمعات الديمقراطية اللبرالية على استمداج الهويات والثقافات الحاملة لقيم لا تتوافق مع قيمها الخاصة (المتعلقة أساسا بالحرية الفردية)، هو الذي أدى إلى ظهور فئات كثيرة تطالب بحق الاعتراف بها كهوية، وضمنها تندرج حركات الاسلام الراديكالي، التي جاءت حسب فوكوياما. استجابة لسؤال الهوية، والذي لم يمكن لي طرح بنفس الشكل والحدة، لو لم تؤدي السياسات الحديثة للهوية إلى تعميق مشاكل الاندماج لدى المهاجرين.

قائمة المراجع:

1. CALIN Daniel, Construction identitaire et sentiment d'appartenance, Ce texte a servi de base à une conférence donnée le 11 décembre 1998 dans le cadre des Amphis de l'A.I.S. de l'I.U.F.M. de Paris. Texte accessible sur <http://dcalin.fr>
2. Caroline B. Brettell and Carolyn F. Sargent, Migration Identity and Citizenship: Anthropological Perspectives, American Behavioral Scientist 2006, Volume 50 Number 1, September 2006 3-8.
3. Francis Fukuyama, Identity and migration, Prospect Magazine, Issue 131 February 2007.
- i. Ramunė Čiarnienė, Vilmantė Kumpikaitė, The Impact of Globalization on Migration Processes, Socialiniai tyrimai / Social Research. 2008. Nr. 3 (13), 42–48.
4. Robinson Baudry, Jean-Philippe Juchs « Définir l'identité », Hypothèses 2007/1 (10), p. 155-167.
5. United Nations, International Migration Report 2017: Highlights, Department of Economic and Social Affairs, New York, 2017.
6. UN. CEPAL, Globalization and development, ECLAC, April 2002.
7. Wodak R, Krzyzanowski M. 'Multiple Identities, Migration, and Belonging: Voices of Migrants'. In Caldas-Coulthard C, Iedema R, editors, Identity Troubles. Basingstoke: Palgrave Macmillan. 2007. p. 95-119.

سمات شخصية مدمني الانترنت من طلاب الجامعة

Personality traits of internet addicts from university students

د. غالمي عديلة/ جامعة باتنة 1 ، الجزائر

Dr. Adila Rhalmi/University of Batna-1- Algeria

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى البحث عن سمات الشخصية التي يتميز بها مدمني الانترنت من طلاب الجامعة، حيث كانت عبارة عن دراسة ميدانية لبعض طلاب الجامعة بجامعة محمد خيضر ببسكرة. وذلك من خلال طرح التساؤل التالي "فيما تمثل سمات شخصية مدمني الانترنت من طلاب الجامعة؟". ولتحقيق هذا الهدف استخدمت الباحثة المنهج الوصفي الأرتباطي، وبتطبيق أدوات الدراسة المتمثلة في اختبار إدمان الانترنت، و مقياس كاتل لسمات الشخصية، وذلك على عينة قوامها 114 حالة، توصلت إلى نتائج تسمح لنا بإعطاء بروفيل نوعي مميز لطلاب الجامعة مدمني الانترنت. حيث اشارت النتائج إلى أنهم يتميزون بمايلي: "الانطوائية، الخجل، ذوو خيال، الدهاء والحنكة، عدم الأمان، التجديد، غير منضبط"

الكلمات المفتاحية: إدمان الانترنت، سمات الشخصية.

Abstract

This study aimed to search for personality traits that are distinguished by Internet addicts from university students, as it was a field study for some university students at the University of Muhammad Khider in Biskra. And by asking the following question: "What are the characteristics of the internet addicts personality of university students?" To achieve this, the researcher used the descriptive approach, and by applying the study tools of Internet addiction testing and the Cattell character trait scale, on a sample of 114 cases, reached results that allow us to give a distinct qualitative profile to university students who are addicted to the Internet. The results indicated that they are distinguished by the following: "**detached formal and aloof, timid and intimidated, imaginative, shrewd, apprehensive and insecure, open to change, careless of social rules**"

Key words: Internet addiction, personality traits.

أولاً: الإشكالية :

إن شبكة الانترنت لها تأثير كبير على بعض مستخدميها، عندما يسوء استخدامهم للشبكة و يفرضون فيه و يعتمدون عليه اعتماداً شديداً تام، حيث يشعرون بالاشتياق الدائم لها إذا ما حدث ما يمنع اتصالهم بهذه الشبكة، و يحاولون تصفية كل التزاماتهم قبل أن يتصلوا بالشبكة. و يصبح شغلهم الشاغل هو كيف يعودوا مرة أخرى للدخول على الانترنت، و بهذا يفقدون استقلاليتهم و يصبحون عبداً بل أسيراً له، لأن الانترنت أصبحت تتحكم في كل أنشطتهم الحياتية... و هذا ما يطلق عليه بإدمان الانترنت¹. فبعد دراسات عديدة تؤكد في كل مرة خطورة الموضوع، فقد أقر الاتحاد النفسي الأمريكي على وضع الإدمان على الانترنت ضمن عناصر الإدمان الأخرى، و عرفه على أنه "اضطراب يظهر حاجة سيكولوجية قسرية نتيجة عدم الإشباع من استخدام الانترنت، و المصاب بهذا الاضطراب يعاني من أعراض عديدة"²

إن المتفحص لظاهرة الإدمان على الانترنت و كيف لها أن تؤثر على أشخاص دون آخرين، يجعلنا نتساءل عن طبيعة هؤلاء الأفراد و ما يميزهم عن غيرهم حتى يقعون في مصيدة الانترنت. إذن مما لا شك فيه أن مدمن الانترنت يحمل سمات شخصية تميزه عن غير مدمن الانترنت.

و في هذا الصدد فقد بحثت كمبرلي و روبرت (Kimberly & Robert) عن سمات الشخصية المرتبطة بإدمان الانترنت و تم تطبيق مقياس الإدمان على الانترنت على (312) فرداً من المتطوعين على الشبكة، و ظهر أن (259) فرداً بنسبة (80%) من العينة مدمني انترنت، حيث اظهروا درجة عالية في الاعتماد على الذات، و في الحساسية الانفعالية و العدوانية و ضعف تقدير الذات و أنهم غير مؤكدين لذواتهم الشخصية و تفضيل قوي للأنشطة الانفرادية، و بشكل عام فقد أظهرت النتائج وجود نمط مميز لمدمني الانترنت كالانطواء و الانسحاب من الحياة الواقعية³.

و في فحصها للعلاقة بين إدمان الشبكة و أبعاد الشخصية و الاضطرابات النفسية لدى طلبة الجامعة في مصر و السعودية، فقد توصلت الازنوط إلى وجود ارتباط دال إحصائياً بين الاضطرابات النفسية و أبعاد الشخصية و إدمان الإنترنت. كذلك توصلت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مدمني الإنترنت و غير مدمنيه في أبعاد الشخصية و الاضطرابات النفسية، فكانت الفروق لصالح الذكور في الانبساطية، العصابية، الذهانية، العدوانية، البارانويا، العدائية، الأرق الليلي، الحساسية التفاعلية. في حين كانت هذه الفروق لصالح الإناث في الانطوائية، الأعراض السيكوسوماتية، القلق، الاكتئاب، العصاب القهري، توهم المرض، الفوبيا. و كذلك وجود فروق دالة إحصائية بين مدمني الإنترنت و مدمناته في أبعاد الشخصية

¹ الازنوط، بشرى إسماعيل احمد، إدمان الانترنت وعلاقته بكل من أبعاد الشخصية و الاضطرابات النفسية لدى المراهقين، أطروحة دكتوراه، جامعة الزقازيق، مصر، 2005، ص3.

²Tori, D.. Is Internet addiction real ? (2000, April), Retrieved February 25th, 2016 from www.APA.Org/Inernetaddiction.htm

³ Kimberly, S. Y. Robert, C. R, **Internet Addiction: Personality Traits Associated with Its Development**, 1998, April , Paper presented at the 69th annual meeting of the Eastern Psychological Association, Bradford.

والاضطرابات النفسية. وكذلك وجود فروق بين مدمني الإنترنت في جمهورية مصر العربية ومدمنيه في المملكة العربية السعودية في أبعاد الشخصية والاضطرابات النفسية¹.

كما أظهرت دراسة جلال و الصالحين (2005) وجود فروق دالة بين مفرطي و منخفضي الاستخدام على سمات الشخصية الايجابية و هي الانبساطية و العدوانية و تأكيد الذات و البحث الحسي، و على سمات الشخصية السلبية و هي توهم المرضو القلق، كما بينت النتائج وجود بروفيل مميز لمفرطي استخدام الانترنت².

و لعل طلاب الجامعة هم أكثر شرائح المجتمع قابلية و تعرضا لإدمان الانترنت لعدة أسباب منها أنهم يمرون بمرحلة نمو نفسي مهمة يتم فيها تشكيل الهوية و إنشاء علاقات شخصية و اجتماعية حميمة، من هنا جاء اهتمامنا في هذه الدراسة بهذه الفئة، للبحث عن سمات الشخصية المميزة لطلاب الجامعة المدمنين على الانترنت و التي تحددت في هذه الدراسة بالعوامل الستة عشر للشخصية حسب كاتل، حيث يمكن تجسيد ذلك بطرحنا للتساؤل التالي: ما هي سمات شخصية الطالب الجامعي المدمن على الانترنت ؟

ثانيا: تحديد مفاهيم الدراسة

إدمان الانترنت: يعرفه بريد و وولف (Bread & Wolfe) بأنه حالة من انعدام السيطرة و الاستخدام الضار لهذه التكنولوجيا، و تتشابه أعراضه مع المعايير المستخدمة في تشخيص الادمانات الأخرى و على وجه الخصوص المقامرة المرضية³. و إجرائيا، تدل الدرجة الكلية و المرتفعة المتحصل عليها في اختبار الإدمان على الانترنت المستخدم في هذا البحث على إدمان الفرد للانترنت.

سمات الشخصية: يعرف كاتل سمات الشخصية بأنها "مجموعة ردود الأفعال أو الاستجابات التي يربطها نوع من الوحدة التي تسمح لهذه الاستجابات أن توضع تحت اسم واحد، و معالجتها بالطريقة ذاتها في معظم الأحوال"⁴. و إجرائيا: سمات الشخصية هي مجموع الدرجات التي يتحصل عليها الفرد في كل عامل على حدى في مقياس العوامل الستة عشر للشخصية.

ثالثا: أهمية البحث

هذه الدراسة تتناول موضوعا هاما ظهر حديثا في علم النفس يتمثل في "إدمان الانترنت"، و الذي أصبح ظاهرة مرضية متنامية كما و كيفا لدى مختلف فئات العمرية و التعليمية و الثقافية .. في المجتمع، و عند كلا الجنسين. حيث يعتبر إدمان الانترنت

¹ الارنوط، بشرى إسماعيل احمد، إدمان الانترنت وعلاقته بكل من أبعاد الشخصية و الاضطرابات النفسية لدى المراهقين، مرجع سابق، ص2. ² المجلة المصرية للدراسات النفسية، جلال، خالد احمد، و محمد، السعيد الصالحين، تأثير الاستخدام المفرط للانترنت على بعض متغيرات الشخصية لدى طلاب الجامعة، 15 (49)، أكتوبر 2005، 1-55.

³ Cyber Psychology & Behavior, Beard, K. W., & Wolf, E. M, Modification in the proposed diagnostic criteria for Internet addiction, 4(3), 2001, 377-383.

⁴ الميلادي، عبد المنعم، سيكولوجية المراهقة، مؤسسة شهاب الجامعية، الإسكندرية، 2004، ص.35.

سلوك غير سوي يقوم به المدمن هروبا من الحقيقة من خلال الانغماس في عالم افتراضي خيالي يقوده تدريجيا إلى الأوهام و الانسحاب من الواقع، مما يؤدي به إلى سوء التوافق و ظهور اضطرابات مختلفة، و اعتماد أساليب حياتية غير توافقية. كما يمكن القول أن هذه الدراسة لها أهمية في المساعدة على وضع خطط و برامج إرشادية نفسية لمدمني الانترنت، و ذلك بعد إلقاء الضوء على سمات شخصية المدمن على الانترنت.

رابعاً: عينة الدراسة

تم اختيار عينة الدراسة الأساسية بطريقة العينة القصدية. و يتم اختيار أفراد هذه العينة على خبرة الباحث بالخصائص و المميزات التي تجعلها ممثلة تمثيلاً جيداً لأفراد المجتمع. و باستخدام اختبار كمبرلي يونغ لكشف درجة الإدمان ، تم اختيار 114 حالة مدمنة على الانترنت كانت ممثلة لعينة الدراسة، حيث شكلت الإناث نسبة (55.3%) مقارنة بنسبة الذكور التي شكلت (44.7%).

خامساً: المنهج المستخدم في الدراسة

في دراستنا هذه التي تبحث في العلاقة بين إدمان الانترنت و سمات الشخصية، تم اعتمادنا على المنهج الوصفي الارتباطي كونه الملائم في الكشف عن مثل هذه العلاقات، و فيما إذا كانت هناك ارتباطات دالة بين متغيرات هذه الدراسة.

سادساً: أدوات الدراسة

1- مقياس العوامل الستة عشر للشخصية:

1-2 وصف المقياس:

يحتوي هذا المقياس على ستة عشر سمة (سبق التطرق إليها في الجانب النظري) متمثلة في: العامل A التآلف ، العامل B الذكاء ، العامل C الثبات الانفعالي، العامل E السيطرة ، العامل F الاندفاعية، العامل G الامتثال ، العامل H الجرأة ، العامل I الحساسية ، العامل L الارتياب، العامل M التخيل ، العامل N الدهاء، العامل O عدم الاطمئنان، العامل Q1 الراديكالية، العامل Q2 الاكتفاء الذاتي، العامل Q3 التنظيم الذاتي ، العامل Q4 التوتر .

تعتبر كل سمة من هذه السمات ثنائية القطب. و في مجمله يحتوي المقياس على (187) فقرة، (184) فقرة تقيس العوامل الستة عشر، والثلاث الباقيات ذات الأرقام (1، 187، 2) فقرات أضيفت لإدخال المفحوص جو الاختبار . لكل فقرة من فقرات المقياس ثلاثة بدائل للإجابة، و علامة كل فقرة موزعة ما بين (صفر، 1 ، 2) ما عدا العامل الثاني (عامل الذكاء) و يرمز له (B) حيث أعطي للإجابة الصحيحة علامة واحدة وللإجابتين الباقيتين صفر. اعتبر كل عامل مستقل عن العوامل الأخرى و يبلغ عدد فقرات كل عامل بين (10-14) فقرة و لا تشترك الفقرة في أكثر من عامل واحد. مدة تطبيق المقياس ما بين (45-60) دقيقة.

2-2 حساب الخصائص السيكومترية لمقياس العوامل الستة عشر:

لحساب الخصائص السيكومترية لهذا المقياس، تم تطبيقه على 30 طالباً من غير عينة الدراسة على فوج من قسم العلوم الإنسانية، و بعد ذلك قمنا بحساب صدق و ثبات الاختبار، و فيما يلي حساب للخصائص السيكومترية الخاصة بالمقياس:

أ- حساب صدق المقياس:

صدق التكوين (الاتساق الداخلي): تم حساب صدق الاختبار عن طريق الاتساق الداخلي (صدق التكوين)، وذلك من خلال حساب معامل الارتباط الخطي لكارل بيرسون (Pearson) بين كل فقرة و الدرجة الكلية للسمة التي تنتهي إليها، وقد تحصلنا على نتائج تشير إلى وجود اتساق داخلي بين كل سمة و فقراتها الخاصة بها ، مما يدل على أن المقياس يتميز بالصدق فيما يقيسه

ب- حساب ثبات المقياس:

عن طريق معامل ثبات "إعادة الاختبار": تم إعادة تطبيق هذا المقياس على نفس أفراد العينة السابقة الذكر وذلك بعد مرور 15 يوما من زمن تطبيقه الأول، و قد كانت النتائج المتحصل عليها تدل على أن قيم معامل ثبات إعادة الاختبار المتحصل عليها و المحصورة بين (0.582 و 0.870) لكل سمة من سمات الشخصية مرتفعة و دالة عند مستوى الدلالة 0.01، ما يدل على ثبات هذا المقياس.

2- اختبار الإدمان على الانترنت لكمبرلي يونغ (IAT) Internet Addiction Test:

1-1 وصف اختبار الإدمان على الانترنت :

تم الاعتماد على اختبار الإدمان على الانترنت لقياس درجة التبعية ومستوى الإدمان عند مستعملي الانترنت لصاحبه كمبرلي يونغ (Kimberly Young). يتكون I.A.T من 20 بندا يتعلق باستخدام الانترنت، حيث تتضمن التبعية السيكولوجية والسلوك القسري، وآثار الانسحاب، إضافة إلى علاقتها باضطرابات النوم، مشاكل أسرية، وسوء تنظيم الوقت... تتم الإجابة على كل بند باختيار أحد البدائل التالية: نادرا (1)، أحيانا (2)، تكرارا (3)، كثيرا (4)، دائما (5)، أبدا (0). ومجموع درجات الإجابات تكون محصورة في المجال [20 ، 100]. يتم جمع النقاط الخاصة بالعشرين سؤالاً... وسنجد أنه كلما كان ناتج الجمع أعلى كان الإدمان على الانترنت أعلى.

2-1 حساب الخصائص السيكومترية للاختبار:

لحساب الخصائص السيكومترية لهذا الاختبار، تم تطبيقه على فوج من قسم العلوم الاجتماعية يتكون من 30 طالب من غير عينة الدراسة الأساسية، و بعد ذلك قمنا بحساب صدق و ثبات الاختبار، و فيما يلي حساب للخصائص السيكومترية الخاصة بالاختبار:

أ- حساب صدق الاختبار:

صدق التكوين (الاتساق الداخلي): لقد كانت النتائج المتحصل عليها تشير إلى أن جميع معاملات الارتباط بين درجات كل عبارة و الدرجة الكلية للاختبار، و التي تراوحت بين (0.392 و 0.742)، دالة عند مستوى دلالة مساو ل (0.01)، ماعدا العبارات ذات الأرقام (4، 6، 7، 11، 16) فهي دالة عند المستوى (0.05)، مما يعطي الدليل على أن الاختبار يمتاز باتساق داخلي.

ب- حساب ثبات الاختبار:

عن طريق معامل ثبات إعادة الاختبار: بالنسبة لثبات هذا الاختبار، فبعد مدة 15 يوم من التطبيق الأول للاختبار، تم إعادة تطبيقه على نفس أفراد العينة السابقة، و بعد حساب معامل ثبات " إعادة الاختبار "، دلت النتائج على أن معامل الارتباط المتحصل عليه (0.843) و الذي كان مرتفعا و دال عند مستوى الدلالة 0.01، ما يشير إلى ثبات هذا الاختبار.

سابعاً: عرض وتحليل ومناقشة نتائج الدراسة

تشير الفرضية إلى أنه: " توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائية بين إدمان الانترنت و سمات الشخصية (العوامل الستة عشر) لدى طلاب الجامعة".

و للتأكد من صحة الفرضية تم حساب معامل الارتباط الخطي لبيرسون بين الدرجات المتحصل عليها في مقياس إدمان الانترنت، و الدرجات المتحصل عليها في كل عامل من العوامل الستة عشر للشخصية على حدى، و كانت النتائج كما يلي:

1- عرض وتحليل النتائج:

المتغيرات	إدمان الانترنت
العامل A (التألف)	- 0.466**
العامل B (الذكاء)	- 0.108
العامل C (الثبات الانفعالي)	0.004
العامل E (السيطرة)	0.120
العامل F (الاندفاعية)	0.084
العامل G (الامتثال)	- 0.010
العامل H (الجرأة)	- 0.316**
العامل I (الحساسية)	0.050
العامل L (الارتياح)	- 0.010
العامل M (التخيل)	0.498**
العامل N (الدهاء)	0.323**
العامل O (عدم الاطمئنان)	0.268**
العامل Q1 (الراديكالية)	0.593**
العامل Q2 (الاكتفاء الذاتي)	0.003
العامل Q3 (التنظيم الذاتي)	- 0.186*
العامل Q4 (التوتر)	0.125

* الارتباط دال عند مستوى الدلالة 0.05 ** الارتباط دال عند مستوى الدلالة 0.01

من النتائج الموضحة في الجدول السابق، يتضح أن معاملات الارتباط التي تخص كل من سمة الذكاء و الثبات الانفعالي و السيطرة و الاندفاعية و الامتثال و الحساسية، و الارتياح و الاكتفاء الذاتي، و التوتر، غير دالة إحصائياً، ما يعني عدم وجود ارتباط بين إدمان الانترنت و هذه السمات، مما يعكس نفي الفرضية السابقة.

و فيما يخص كل من سمة التالف، و الجرأة و التنظيم الذاتي، فكما يتضح من خلال الجدول السابق، فإن معاملات الارتباط دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.05، 0.01، 0.01) على التوالي، ما يعني وجود ارتباط سلبى دال إحصائياً بين إدمان الانترنت و هذه السمات. مما يعكس صحة الفرضية السابقة.

و كما يبين الجدول السابق، فإن معاملات الارتباط لكل من سمة التخيل، الدهاء، عدم الاطمئنان و الراديكالية دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.01)، كما يعني وجود ارتباط موجب دال إحصائياً بين إدمان الانترنت و هاته السمات. مما يعكس صحة الفرضية السابقة.

2- مناقشة النتائج على ضوء الفرضية:

لقد توصلنا من خلال عرض نتائج الفرضية إلى انه:

- توجد علاقة ارتباطيه موجبة دالة إحصائياً بين إدمان الانترنت و كل من العوامل M, N, O, Q1.
- توجد علاقة ارتباطيه سالبة دالة إحصائياً بين إدمان الانترنت و كل من العوامل A, H, Q3.
- لا توجد علاقة ارتباطيه دالة إحصائياً بين الإدمان على الانترنت و كل من العوامل B, C, E, F, G, I, L, Q2, Q4.

و فيما يلي مناقشة لكل عامل من عوامل الشخصية الستة عشر:

بالنسبة لعامل التآلف A:

توصلت نتائج الدراسة الحالية إلى وجود علاقة ارتباطيه سالبة دالة إحصائياً بين عامل التآلف و إدمان الانترنت لدى طلاب الجامعة. حيث يمكن تفسير هذه النتيجة بأن مدمني الانترنت من طلاب الجامعة يمتازون بالانطوائية. و هذه النتيجة تتفق مع العديد من الدراسات التي تناولت علاقة إدمان الانترنت و الانطوائية و ذلك منذ بداية الاهتمام بهذا الموضوع. فقد كانت دراسة بيتري و جين (Petrie & Gunn, 1998) من الدراسات الأولى التي توصلت إلى وجود علاقة ارتباطيه دالة إحصائياً بين الانطوائية و إدمان الانترنت¹، و هي نفس النتيجة التي توصلت إليها دراسة كمبرلي و روبرت فيما يخص الانطوائية، حيث اعتمدت هذه الدراسة على نفس أداة الدراسة الحالية (مقياس العوامل الستة عشر)، و توصلت إلى وجود نمط مميز لمدمني الانترنت كالانطواء و الانسحاب من الحياة الواقعية².

و من الدراسات العربية التي توصلت إلى وجود ارتباط بين الانطوائية و إدمان الانترنت، نذكر دراسة بشرى الارنوط و التي بحثت عن العلاقة بين إدمان الانترنت و أبعاد الشخصية و الاضطرابات النفسية، حيث توصلت إلى وجود علاقة ارتباطيه

¹ المجلة المصرية للدراسات النفسية، جلال، خالد احمد، و محمد، السعيد الصالحين، تأثير الاستخدام المفرط للانترنت على بعض متغيرات الشخصية لدى طلاب الجامعة، مرجع سابق.

² Kimberly, S. Y. Robert, C. R, **Internet Addiction: Personality Traits Associated with Its Development.**, ibid.

موجبة دالة إحصائياً بين أبعاد الشخصية و إدمان الانترنت، ما عدا الميل الانبساطي يرتبط ارتباطاً سالباً دال إحصائياً مع إدمان الإنترنت. و قد تدعمت هذه النتيجة بنتيجة فرضية أخرى بنفس الدراسة حول وجود فروق بين مدمني الانترنت وغير مدمني الانترنت فيما يخص أبعاد الشخصية¹.

و هنا أشارت يونغ إلى أن الانطوائية من سمات شخصية التي تجعل الفرد ينزلق في مصيدة الانترنت و التي تجعل الإنسان لا يستطيع عقد صداقات مع الآخرين في العالم الواقعي، فيهرب إلى هذا العالم الافتراضي الذي يجعله يعيش في أرض الخيال والأحلام المثالية و يعقد صداقاته مع من يريد و مع من لا يستطيعون رؤيته، و من لا يعرفونه بل و الأكثر من ذلك أنه يستعير اسماً غير اسمه الحقيقي و شخصية غير شخصيته الحقيقية، و يتصرف كما يشاء بدون رقيب عليه، و يصبح هذا الإنسان محبوباً و ظريفاً و منبسطاً في هذه العلاقات الوهمية الافتراضية، مما يشعره بذاته و أهميته و مكانته بين الناس فيجد في الإنترنت ضالته التي يبحث عنها و يصارع من أجلها في الحقيقة لكن دون جدوى و لا أمل. فإذا كان مفتقداً للمهارات الاجتماعية في عالمه الحقيقي، يكون أهلاً لها في عالمه الافتراضي. و من ثم يمكن اعتبار تقدير الذات المنخفض والشعور بالنقص و عدم الكفاية و الخوف و الرهاب الاجتماعي و مفهوم الذات السلبي و الانطوائية هي مؤشرات لإدمان الإنترنت.

إلا أن نتائج هذه الدراسة تختلف عما جاءت به دراسة جلال خالد احمد و محمد سعيد الصالحين (2005)، و التي وجدت أن هناك علاقة ارتباطية موجبة بين استخدام الانترنت و الانبساطية، و هي نتيجة غير متوقعة بالنسبة للباحثين. هذه الاختلافات قد ترجع إلى عوامل حضارية و ثقافية في مفهومي الانبساط و الانطواء و إدمان الانترنت. و عموماً فما يميز المرحلة الجامعية هو أنها تساعد على تكوين الشخصية و توسيع العلاقات و تنوعها، فالطالب الجامعي سيضطر إلى التعرف على شخصيات عديدة يؤثر و يتأثر بهم. إلا أنه قد يصبح منطوياً عن مجتمعه، و منسحب، و قد يعاني من العزلة بسبب تعلقه المبالغ فيه بالإنترنت إلى حد الإدمان عليها، أو قد يمتلك استعداداً للانطواء كسمة من سمات الشخصية تجعله ينسحب عن عالمه باتجاه الشبكة، كميكانيزم للهروب النفسي لتجنب خطر مواجهة الآخرين.

بالنسبة لعامل الذكاء B:

توصلت نتائج الدراسة الحالية إلى عدم وجود ارتباط دال إحصائياً بين عامل الذكاء و إدمان الانترنت لدى طلاب الجامعة. و قد جاءت هذه النتيجة مخالفة لما جاء في التراث النظري حول اعتقاد البعض أن الأذكاء و العلماء فقط هم أكثر احتمالاً لإدمان الانترنت². إذ أن الأشخاص الذين تكون لديهم قدرة خاصة على التفكير المجرد، هم أيضاً عرضة للإدمان بسبب انجذابهم الشديد للإثارة العقلية التي يوفرها لهم الكم الهائل من المعلومات الموجودة على الإنترنت³. حيث يرى فينيسل

¹ الأرنوط، بشرى إسماعيل احمد، إدمان الانترنت وعلاقته بكل من أبعاد الشخصية و الاضطرابات النفسية لدى المراهقين، مرجع سابق، ص.40.

² الأرنوط، بشرى إسماعيل احمد، إدمان الانترنت وعلاقته بكل من أبعاد الشخصية و الاضطرابات النفسية لدى المراهقين، مرجع سابق، ص.10.

³ العوضي، نادية. (د.ت.)، مرض العصر.. إدمان الانترنت، تم استرجاعها في تاريخ 21 فيفري، 2016 من

(Fenichel) أن من يقضون أوقات كثيرة أمام الإنترنت بدلا من قضائها مع أسرهم، تكون لديهم أساليب معرفية شاملة مكونة من تعدد المهام والمعالجة زائدة السرعة¹.

وفي حدود علم الباحثة، لم تكن هناك دراسات واضحة تناولت هذا العامل و علاقته بإدمان الانترنت، لكن ما تم ملاحظته أن اغلب الدراسات شملت عينات مختلفة من مدمني الانترنت من حيث القدرات و المستويات التعليمية و الثقافية، و هنا يمكن القول أن استخدام الانترنت لا يتأثر بمستوى ذكاء الفرد. فمع سهولة الحصول على الانترنت و بساطة تعلمها و استخدامها، إذ لا تتطلب سوى الممارسة المتكررة و الدائمة حتى يعلم الفرد بجميع مميزاتا و ملما بجميع مكوناتها، بل مسيرا لها في بعض الأحيان، و هذا ما تفسر به الباحثة النتيجة الحالية فيما يخص هذا العامل.

بالنسبة لعامل الثبات الانفعالي C:

توصلت نتائج الدراسة الحالية إلى عدم وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين الثبات الانفعالي و إدمان الانترنت لدى طلاب الجامعة. و قد جاءت هذه النتيجة مخالفة لما توصل إليه طومسون (Thompson, 1996) في دراسته، حيث تبين من خلال نتائجها أن سرعة الانفعال من بين ما يتميز به أفراد العينة الذين وصلوا لمستوى إدمان الانترنت²، حيث كانت هذه السمة أحد مؤشرات القطب المنخفض في السمة و المتمثل في (سهل الإثارة). و بالعودة إلى نتائج دراسة كمبرلي و روبرت، فقد تبين أن المدمنون على الانترنت يظهرون درجة عالية في الاعتماد على الذات و الرغبة في القيام بالأنشطة الانفرادية، و في الحساسية الانفعالية و العدوانية³، و التي بدورها قد تشكل القطب المنخفض من الاتزان الانفعالي الذي يتسم بضعف الثبات الانفعالي، و ضعف قوة الأنا، أيضا العصبية و الاضطراب بسهولة⁴.

بالنسبة لعامل السيطرة E:

كانت نتائج الدراسة الحالية تشير إلى عدم وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين عامل السيطرة و إدمان الانترنت لدى طلاب الجامعة. فقد توصلت دراسات سابقة إلى نتائج مخالفة لما جاء في هذه الدراسة، فقد أشارت كمبرلي و روبرت في دراسة سبق ذكرها، أن المدمنون على الانترنت يظهرون درجة عالية في الاعتماد على الذات و الرغبة في القيام بالأنشطة الانفرادية، و في الحساسية الانفعالية و العدوانية و ضعف تقدير الذات و غير مؤكدين لنواتهم الشخصية⁵، حيث تضيف كمبرلي يونغ أن الذكور يلجئون لاستخدام الإنترنت للحصول على الشعور بالقوة و المكانة و السيطرة و المتعة، و لا شك أن هذا يجعلهم

¹ الارنوط، بشرى إسماعيل احمد، إدمان الانترنت وعلاقته بكل من أبعاد الشخصية و الاضطرابات النفسية لدى المراهقين، مرجع سابق، ص14-15.

² دراسات عربية في علم النفس، زيدان، عصام محمد، إدمان الانترنت و علاقته بالقلق و الاكتئاب و الوحدة النفسية و الثقة بالنفس، (2)7، افريل 2008، ص371-452.

³ Kimberly, S. Y. Robert, C. R, Internet Addiction: Personality Traits Associated with Its Development., ibid.

⁴ الفاعوري، أيهم، (د. ت.). اختبار كاتل Cattel للشخصية - اختبار العوامل الستة عشر للشخصية. تم استرجاعها في تاريخ 16 نوفمبر، 2015 من up-sy.com/files/16_PF.pdf

⁵ Kimberly, S. Y. Robert, C. R, Internet Addiction: Personality Traits Associated with Its Development., ibid.

يدخلون على مواقع لإشباع هذه الحاجات، فنجدهم أكثر دخولا على مواقع مصادر المعلومات والألعاب وبخاصة العدوانية منها و حجرات الدردشة الجنسية الصريحة و الأفلام الخليعة¹.

بالنسبة لعامل الاندفاعية F:

فيما يخص هذا العامل، فقد توصلت النتائج إلى عدم وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائية بين الاندفاعية و إدمان الانترنت. هذه النتيجة تخالف ما جاء في دراسة جونزليز (Gonzalez, 2002) التي هدفت إلى فحص العلاقة بين اضطراب إدمان الإنترنت و الاندفاعية. و قد كانت نتائج دراسة جونزليز غير بعيدة عما توصلت إليه دراسة وانج و آخرون فيما بعد، و التي هدفت إلى فحص الخصائص النفسية لمفرطي استخدام الإنترنت في كوريا، و من بين ما توصلت إليه أنه أشارت تقارير مدمي الإنترنت أنهم أعلى في درجة الاندفاعية مقارنة بالمجموعات الأخرى². و بالرجوع إلى النظريات المفسرة لإدمان الانترنت، نجد أن نظرية البحث عن الإثارة تؤكد وجود علاقة بين إدمان الانترنت و الاندفاعية. حيث يرى شافيز (Shaffer, 1999) أن استخدام الانترنت يرتبط بسلوك البحث عن الإثارة و الذي يعد سمة فرعية من الاندفاعية التي ينظر إليها على أنها عامل مخاطرة لتطوير الإدمان على الانترنت. فالأفراد الاندفاعيين يميلون إلى استخدام الانترنت كونه وسيلة لتحصيل الإثارة و ربما يصبحون مدمنين على هذه الوسيلة³.

و تفسر الباحثة هذه النتيجة الحالية المخالفة للدراسات السابقة، كون أن مدمي الانترنت من طلاب الجامعة في هذه الدراسة قد اظهروا درجات متدنية في عامل التآلف، و التي تشير إلى سمة الانطواء، و هذا يتفق مع ما قدمه أيزنك في نموذج الكلي لأنماط الشخصية الأربعة و السمات التي تندرج ضمنها، حيث أشار إلى أن الاندفاعية سمة يتضمنها نمط الانبساطية.

بالنسبة لعامل الامتثال G:

توصلت النتائج في ما يخص هذا العامل إلى أنه لا توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائية بين عامل الامتثال و إدمان الانترنت. و ترى الباحثة أنه سواء كان مدمي الانترنت من طلاب الجامعة يمثلون للسلطة، و كانوا أكثر احتراما و يسايرون الجماعة و يتبعون القواعد، أم أنهم نفعيين و يضعون مصالحهم أولا، و لا يحترمون القواعد و القوانين، فإن ذلك لا يشكل فرقا لديهم طالما أنهم وجدوا عالم مثالي، خيالي، يعيشون فيه حسب شروطهم و قواعدهم الخاصة التي لا تتأثر بما هو في الواقع. فالشبكة لا تفرض قيودا ليلتزم بها أو قواعد معينة، بل تفسح له المجال ليتصرف بكل حرية يريد، مما يحقق له الرضا النفسي و الارتياح.

¹ الأرنوط، بشرى إسماعيل أحمد، إدمان الانترنت وعلاقته بكل من أبعاد الشخصية و الاضطرابات النفسية لدى المراهقين، مرجع سابق، ص. 15.

² Cyber Psychology et Behavior, Whang, L.S., Lee, S., & Chang, M. A, Internet over-user's psychological: A Behavior sampling analysis on Internet addiction, 16 (2), 2003, p 143-150.

³ بن عمارة، سميرة، الشعور بالاغتراب الاجتماعي لدى الشباب المدمن على الانترنت- دراسة استكشافية تحليلية لدى عينة من الشباب بمناطق الجنوب الجزائري-. أطروحة دكتوراه علوم، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2014، ص. 94.

بالنسبة لعامل الجرأة H:

فيما يخص هذا العامل، فلقد أشارت النتائج إلى وجود علاقة ارتباطية سلبية دالة إحصائياً بين الجرأة وإدمان الانترنت لدى طلاب الجامعة، والتي تفسر بأن مدمني الانترنت من طلاب الجامعة يتصفون بالخجل. وتتفق هذه النتيجة مع دراسات سابقة توصلت إلى أن الخجل يعد أحد أسباب إقبال الفرد على إدمان الانترنت. فدراسة شك و لينج (Chack & Leung, 2004) التي هدفت إلى دراسة الخجل ووجهة الضبط كمؤشرات لإدمان واستخدام الإنترنت، أشارت إلى أنه كلما ازدادت رغبة الشخص في إدمان الإنترنت كلما كان أكثر خجلاً، وكلما قل إدمانه كلما ازداد اعتماده على الآخرين وازدادت ثقة الشخص في الفرص التي تحقق له النجاح في حياته¹. وبالعودة إلى نتائج دراسة طومسون (Thompson, 1996)، فقد تبين أن أفراد العينة الذين وصلوا لمستوى إدمان الانترنت يتسمون بالخجل وسرعة الانفعال².

فالخجل سمة تشير إلى أن الفرد يتسم بالحياء والحساسية للنقد والتهديد، غير مغامر و جبان³، يشعر بالخوف، غير واثق من نفسه، وهي صفات تفسر نتائج الدراسة الحالية التي تشير إلى وجود علاقة بين إدمان الانترنت والخجل، حيث ترى ماريا دورون أن الشخص الذي يتصف بالخجل والذي لا يستطيع تكوين علاقات صداقة مع الآخرين، كما أنه لا يستطيع التفاعل مع المحيطين به، يمكن أن يجد في الانترنت السبيل الوحيد والخبرة التي ستحقق له الرضا والارتياح والسرور، دون الحاجة إلى التفاعل وجهاً لوجه مع الآخرين، وهذا ما يمثل خبرة معززة في حد ذاتها⁴. وهذا ما تدعمه نتائج دراسة باباشاريسي و روبن حيث قاما بدراسة لمعرفة العوامل التي تؤثر على استخدام الانترنت، وتوصلا إلى مجموعة من العوامل من بينها عدم القدرة على الاتصال "الميل إلى تجنب الاتصال الشفوي بسبب عوامل نفسية وشخصية، كتدني مفهوم الذات، والخوف والانتواء⁵.

بالنسبة لعامل الحساسية I:

توصلت نتائج الدراسة الحالية إلى عدم وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائياً بين الحساسية وإدمان الانترنت. وفيما يخص هذه العلاقة، فقد توصلت دراسة كمبرلي و روبرت التي سبق ذكرها، أن المدمنون على الانترنت يظهرون درجة عالية في الاعتماد على الذات والرغبة في القيام بالأنشطة الانفرادية، وفي الحساسية الانفعالية والعدوانية و ضعف تقدير الذات وغير مؤكدين لذواتهم الشخصية⁶، وهي نتيجة مخالفة لما توصلت إليه نتائج الدراسة الحالية.

¹ الأرنوط، بشرى إسماعيل احمد، إدمان الانترنت وعلاقته بكل من أبعاد الشخصية والاضطرابات النفسية لدى المراهقين، مرجع سابق، ص.26.
² دراسات عربية في علم النفس، زيدان، عصام محمد، إدمان الانترنت وعلاقته بالقلق والاكتئاب والوحدة النفسية والثقة بالنفس، مرجع سابق.

³ الفاعوري، أيهم، (د.ت.). اختبار كاتل Cattell للشخصية - اختبار العوامل الستة عشر للشخصية، مرجع سابق.

⁴ Garcia, D. M. (2003, 14 Decembre). Internet Addiction Disorder. Retrieved February 21th, 2016 from <http://allpsych.com/journal/internetaddiction.html>

⁵ Journal of Broadcasting Media, Papacharissi, Z, & Rubin, A.M, Predictors of Internet use, 44 (2), 2000, p 175-196.

⁶ Kimberly, S. Y. Robert, C. R, Internet Addiction: Personality Traits Associated with Its Development., ibid.

بالنسبة لعامل الارتياب I:

لقد أشارت النتائج المتحصل عليها فيما يخص هذا العامل إلى أنه لا توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائية بين إدمان الانترنت و عامل الارتياب. و تعزو الباحثة هذه النتيجة المتحصل عليها، كون أن عامل الارتياب بقطبيه (الشك مقابل الثقة) لا يتأثر بإدمان الانترنت. لأن المدمن سوف يجد في هذه الشبكة شخصيات افتراضية بعيدة عن عالمه الحقيقي، تختفي لمجرد قطع اتصاله بالشبكة.

بالنسبة لعامل التخيل M:

توصلت النتائج فيما يخص هذا العامل إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة دالة إحصائية بين عامل التخيل و إدمان الانترنت لدى طلاب الجامعة، حيث تفسر هذه النتيجة بأن مدمني الانترنت من طلاب الجامعة ذوو خيال. فدوو الخيال هم أشخاص غير تقليديين باستمرار (لا يتمسكون دائما بالأعراف والتقاليد) غير مهتمين إطلاقا بالأحوال اليومية، و يميلون إلى أن ينسوا الأشياء التافهة، و ليست لديهم اهتمامات بالأشياء الميكانيكية، و لا يستمتعون بسماع التفاصيل لأي حادثة أو واقعة¹. كما أنهم أصحاب تخيلات رومانسية، بوهيميين، و شاردي الذهن².

فالطالب الجامعي الذي يمتلك مثل هذه الصفات يجد في تعلقه بالشبكة الدعم لمثل هذه السمات، و مع عالم الانترنت الافتراضي و ما يمتلكه من إثارة حسية تجعل المدمن ينغمس فيه، و يخلق صداقات وهمية تلغي الصداقات الحقيقية، و قد تظهر لديه علاقات بتخيلها جادة مع الطرف الآخر، حيث يختلق المدمن شخصية وهمية مخالفة عن شخصيته الواقعية، يستطيع من خلالها أن يتخيل نفسه كما يريد بها بعيدا عن الأعراف و التقاليد، فهذا ما يشبع رغبته في التحرر و إظهار ما لم يستطع تحقيقه في الواقع. إلا أن هذه التخيلات عبارة عن أوام غير حقيقية لا تساعد الطالب في الحفاظ على شخصية سوية قادرة على التفاعل مع الواقع الحقيقي، فقد تخلق لديه ردود أفعال لا تمكنه من التمييز بين ما هو حقيقي و ما هو خيالي، و تخلق لديه نوع من اللامبالاة بواقعه المعاش طالما وجد عالم آخر يشبع تخيلاته الوهمية. و قد تظهر لديه أحلام اليقظة حيث أشار غولديبرغ أن أحلام اليقظة أحد أعراض إدمان الانترنت، فهذه الأحلام تسمح له بأن يعيش مرة أخرى كل الأحداث التي مرت عليه بالطريقة و التفاصيل التي يريد بها.

بالنسبة لعامل الدهاء N:

توصلت الدراسة الحالية إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة دالة إحصائية بين إدمان الانترنت و عامل الدهاء، و هذا ما يفسر بأن مدمني الانترنت من طلاب الجامعة يتميزون بالحنكة و الدهاء. فالحنكة أو الدهاء تشير إلى الأشخاص الذين يتسمون بالمكر و الدهاء، و يميلون إلى تلميع أنفسهم أمام الآخرين، و يتميزون بالوعي في المواقف الاجتماعية³. إن هذه الصفات المميزة

¹ مجلة كلية التربية، أبو هاشم، السيد محمد، المكونات الأساسية للشخصية في نموذج كل من كاتل و أيزنك و جولديبرج لدى طلاب الجامعة (دراسة عاملية)، 17(70)، افريل 2007، ص 212-273.

² الفاعوري، أمهم، (د.ت.). اختبار كاتل Cattel للشخصية - اختبار العوامل الستة عشر للشخصية، مرجع سابق.

³ الفاعوري، أمهم، (د.ت.). اختبار كاتل Cattel للشخصية - اختبار العوامل الستة عشر للشخصية، مرجع سابق.

للدهاء، و بحكم المرحلة التعليمية و ما تزيده الجامعة من خبرات الحياة، تكسب الطالب الجامعي القدرة على التعامل مع المثيرات التي تقدمها الشبكة بمكر عقلي و خفة للحصول على اكبر قدر من المكاسب و الاستمتاع بها. فالدهاء يجعل الطالب المدمن على الانترنت يجري في مخيلته أنه قادر على استخدام الانترنتو استغلالها بطريقة لا يستطيع غيره أن يصل إليها، و يتمكن من خلالها من إثبات قدراته في التحكم بتقنياتها و البراعة النسبية، ما يجعله أكثر شعورا بقيمته وأهميته، لا سيما في حال جهل من حوله بتلك الأمور. و هنا نجده يتنافس مع شخصيات حقيقية في حياته سواء من الأصدقاء أو أفراد العائلة أم مع شخصيات افتراضية، حيث يمكن له أن يحقق انتصارات تزيد من تقديره لذاته و احترامه لها، و هنا يزيد تمسكه الشديد بهذه الشبكة.

بالنسبة لعامل عدم الاطمئنان O:

تشير نتائج هذه الفرضية أن هناك علاقة ارتباطية موجبة دالة إحصائيا بين إدمان الانترنت و سمة عدم الأمان. و هذا ما يفسر بأن عينة الدراسة المتمثلة في طلاب الجامعة المدمنين على الانترنت يميلون أن يكونوا قلقين - لديهم شعور بالذنب - متقلبي المزاج (نكد أو كئيب) و أحيانا مكتئب تماما، غير متقبلين للنقد، و يشعرون بأن الأصدقاء لا يحتاجون إليهم بالقدر الذي يحتاجون هم إلى أصدقاء، البكاء بسهولة الحزن و الخوف و الشعور بالوحدة، و لوم الذات و الانهزامية و الانزعاج¹.

إن هذه النتيجة التي توصلنا إليها حول وجود علاقة بين إدمان الانترنت و عدم الأمان، ترجع إلى أن طلاب الجامعة يتهربون من الضغوط المختلفة التي تجعلهم يشعرون بالمعاناة إلى حيث يجدون الراحة و التنفيس بدون حرج أو خوف، كما أن استخدامهم للشبكة تشكل نوعا من التسلية و الاندماج الغير مقيد، حيث يبعدهم عن المشاعر السلبية و عدم التقبل إما نحو أنفسهم أم نحو المحيطين بهم، و التي لا يمكن التعبير عنها صراحة، و هذا ما يتكرر معهم إلى أن يصبحوا مدمنين عليها.

بالنسبة لعامل الراديكالية Q1:

تشير نتائج هذه الفرضية أن هناك علاقة ارتباطية موجبة دالة إحصائيا بين إدمان الانترنت و الراديكالية. حيث تفسر بأن مدمني الانترنت من طلاب الجامعة مجددين، حيث كانت هذه العلاقة الأقوى مقارنة بباقي العوامل الأخرى. و هذه النتيجة جاءت مخالفة لنتائج دراسة شو وآخرون و التي هدفت إلى تقييم المزاج البيوجيني، و سمات الشخصية لدى المراهقين مدمني الانترنت في كوريا، حيث أظهرت النتائج أن مدمني الانترنت اظهروا درجات أعلى في بروفييلات التوجيه الذاتي، و تقبل الآخرين، و درجات أقل في السعي عما هو جديد، و الاستكشاف، و التقييم الذاتي، مقارنة بغير المدمنين على الانترنت².

¹ مجلة كلية التربية، أبو هاشم، السيد محمد، المكونات الأساسية للشخصية في نموذج كل من كاتل و أيزنك و جولديبرج لدى طلاب الجامعة (دراسة عاملية)، مرجع سابق.

² CyberPsychology & Behavior , Cho, S. C., Kim, J. W., Kim, B. N., Lee, J. H., & Kim, E.H, Biogenetic temperament and character profiles and attention deficit hyperactivity disorder symptoms in Korean adolescents with problematic Internet use, 11(6), December 2008 , p735-737.

فسمّة "المجدد"، فإن أصحابها يميلون أن يكونوا تحليلين، متحررين، مجددين، يشعرون أن المجتمع يجب أن يتحرر من تقاليده، يثقون بالمنطق أكثر مما يثقون في المشاعر، ويشعرون بالاسترخاء عندما يتحررون من القوانين ويفضلون كسرهما، وهم أكثر فاعلية في حل مشكلات الجماعة ولكن ليس من الضروري أن يفضلهم أفراد الجماعة كقادة لهم¹. كما أنهم يحبون تجربة كل ما هو جديد غير مألوف، يسعون إلى مقاومة الروتين في حياتهم وكذلك في العمل، وهم ذوو تفكير حر². إن هذه الصفات تجعل للطالب الجامعي الاستعداد الكافي للاستغراق في الانترنت، فما تقدمه الشبكة من قدرات تفاعلية يجذبون إليها ويبحثون من خلالها عما هو جديد ومثير وخفي ومختلف عما هو مألوف، وهو بالطبع متوفر لأن محتوى الشبكة لا تحده قيود ولا أعراف ولا دين، فمعيار التحكم هنا يأتي من داخل الشخص نفسه ومن التنشئة الاجتماعية التي تلقاها، هنا سيجد المدمن العالم الذي يتفق مع أفكاره وميوله ورغباته. فمع تكرار المثيرات ووفقا للنظرية السلوكية، يحدث نوع من الانطفاء، والذي يتجدد بظهور مثيرات جديدة، مما يزيد من ميوله الفضولية نحو استكشاف المزيد، كل حسب اهتماماته، ويتعزز هذا السلوك أيضا كون أنهم يشعرون بالأمان في استخدامهم لها، فلا احد يراقب مكالماتهم، واتصالاتهم بالآخرين، أو يحاول التصنت، كذلك لا تتم مراقبة المواقع التي يدخلون عليها، وهذا ما يؤدي إلى توافقهم مع هذا العالم الافتراضي.

بالنسبة لعامل الاكتفاء الذاتي Q2:

تشير النتائج المتحصل عليها إلى انه لا توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائية بين الاكتفاء الذاتي وإدمان الانترنت. وهذه النتيجة جاءت مخالفة لما توصلت إليه دراسة فلارتي وآخرون (Flaherty & al, 1998). حيث توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من العوامل المسؤولة عن تحديد دوافع استخدام الانترنت من أجل إرضاء الحاجات لدى الأفراد وهي: الاحتياجات الشخصية كالاندماج والتودد والتحكم في الاحتياجات الروتينية، مثل التفاعل الاجتماعي، وقضاء وقت الفراغ والتسلية، والحصول على المعلومات، والحاجة إلى التعرف على وسائل الاتصال الحديثة لقضاء الوقت والتخاطب مع الآخرين³. وهي صفات يشملها عامل الاكتفاء الذاتي.

بالنسبة لعامل التنظيم الذاتي Q3:

توصلت النتائج إلى وجود علاقة ارتباطية سلبية دالة إحصائية بين عامل التنظيم الذاتي وإدمان الانترنت. وعلى الرغم من أن هذه النتيجة تختلف عما جاءت به دراسة شو وآخرون والتي سبق ذكرها، حيث أنه من بين ما توصلت إليه الدراسة أن مدمني الانترنت أظهروا درجات أعلى في بروفيلات التوجيه الذاتي، وتقبل الآخرين⁴. إلا أنها تتفق مع دراسات أخرى منها دراسة محمد صلاح محمد عبد المجيد والتي سبق ذكرها أيضا، حيث وجد أن هناك علاقة بين إدمان الإنترنت وتنظيم الذات، وقد ظهرت

¹ مجلة كلية التربية، أبو هاشم، السيد محمد، المكونات الأساسية للشخصية في نموذج كل من كاتل وأيزنك و جولديبرج لدى طلاب الجامعة (دراسة عاملية)، مرجع سابق.

² الفاعوري، أنهم، (د.ت.). اختبار كاتل Cattel للشخصية – اختبار العوامل الستة عشر للشخصية، مرجع سابق.

³ المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والرادارية)، الصباطي، إبراهيم بن سالم، رسلان، محمود يوسف، و علي، محمد النوبي محمد، إدمان الانترنت ودوافع استخدامه في علاقتهما بالتفاعل الاجتماعي لدى طلبة الجامعة، (1)11، 2010، ص 91-144.

⁴ CyberPsychology & Behavior, Cho, S. C., Kim, J. W., Kim, B. N., Lee, J. H., & Kim, E.H, Biogenetic temperament and character profiles and attention deficit hyperactivity disorder symptoms in Korean adolescents with problematic Internet use, ibid.

فروق ذات دلالة بين مرتفعي و منخفضي تنظيم الذات في إدمان الإنترنت لصالح منخفضي تنظيم الذات¹. فالدرجة المنخفضة في هذا العامل يتحصل عليها الشخص الذي يتصف بأنه غير منضبط، منحل، مهملاً للقوانين و ذا صورة ضعيفة عن ذاته، و ينساق وراء رغباته الذاتية². و هذه النتيجة تتفق مع ما جاء في عامل الراديكالية، حيث يرفض مدمنو الانترنت من طلاب الجامعة المعايير الاجتماعية، و هم يبحثون عن التجديد و تقليد كل ما هو جديد دون مراعاة القيم و الضوابط، كل ذلك بهدف تحقيق رغبات ذاتية ليس من وراءها منفعة واضحة لدى مدمن الانترنت.

بالنسبة لعامل التوتر Q4:

توصلت نتائج الدراسة الحالية إلى انه لا توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائياً بين التوتر و إدمان الانترنت. و يمكن تفسير هذه النتيجة كون مدمني الانترنت من طلاب الجامعة عادة ما يكونون في حالة هادئة و مستقرة و آمنة لكي يتعامل مع الطرف الآخر، و أن اتصالهم الدائم بالشبكة مستمر سواء كانوا في المنزل أو خارجه، فالتكنولوجيا الحديثة سمحت بالحصول عليها وقت ما يشاءون و أينما كانوا، و بالتالي فهم شبه منعزلون عن العالم الواقعي، بسبب انشغالهم الدائم بالشبكة.

إن النتائج السابقة فيما يخص عوامل الشخصية الستة عشر و علاقتها بإدمان الانترنت، تسمح لنا بإعطاء بروفييل نوعي مميز لطلاب الجامعة مدمني الانترنت. فقد كانت النتائج تشير إلى أنهم يتميزون بمايلي: "الانطوائية، الخجل، ذوو خيال، الدهاء و الحنكة، عدم الأمان، التجديد، غير منضبط"

فإذا كان إدمان الانترنت يرتبط بهذه السمات، فلأنها متغيرات سلبية مرضية، و خبرات انفعالية وجدانية سالبة تشير إلى اختلال في الاتزان الانفعالي، و عدم الثقة في النفس و ضعف تقدير الذات و نقص المشاعر الايجابية نحو الذات، حيث تتكون من خلالها مشاعر الحزن و القلق و التوتر و الشعور بالضعف، و قصور في القدرات على التغلب عن حالات المزاج السلبي، و أيضا ضعف في التركيز. و إدمان الانترنت في هذه الحالة يكون استجابة هروبية من الاحباطات و الرغبة في التناسي للحصول على اشباعات نفسية و اجتماعية... هي خيالية و افتراضية في حقيقتها.

إن هذه السمات تجعل الطالب الجامعي مدمن الانترنت ذو بنية ضعيفة، غير واثقة، لا يستطيع مواجهة تحديات العالم الحقيقي، أين يجد الراحة النفسية و الاستقرار النفسي في الشبكة، حيث يعتمد من خلالها على ميكانيزمات دفاعية مختلفة منها التعويض، الإنكار، التخيل، الهروب،... و التي بدورها تصبح عامل معزز له على مستوى الشبكة، فهو من خلالها يجد القبول و التفهم و الاحترام، و يزيد من تقديره لذاته و تحقيق مكانة اجتماعية خيالية، يصف فيها نفسه كما يشاء، و يكون حراً غير مقيد بالقوانين و القيم و الأعراف المجتمعية و الدينية.

¹ عبد المجيد، محمد سعيد. (2009، 8 جوان). العمل الخيري والقضايا الاجتماعية المعاصرة (3). تم استرجاعها في تاريخ 20 فيفري، 2016 من

<http://www.medadcenter.com/Articles/show.aspx?Id=84>

² الفاعوري، أمهم، (د.ت.). اختبار كاتل Cattel للشخصية – اختبار العوامل الستة عشر للشخصية، مرجع سابق.

خلاصة:

إن الملاحظ لطبيعة العلاقة بين الفرد الجزائري و هذه الشبكة، يستطيع أن يفسر التغيرات الحاصلة في نمط العلاقات و التفاعلات الاجتماعية في المجتمع، كما يمكن أن يلاحظ التغيرات النفسية و العاطفية، و تغير أساليب الحياة لدى بعض الأفراد الذين أدمنوا استخدام هذه الشبكة. و هذا ما سعت إليه الدراسة الحالية في الكشف عن سمات الشخصية التي قد تدفع ببعض من طلاب الجامعة إلى هذا الإدمان دون غيرهم، و التي توصلت إلى نتائج مهمة تمثلت في أن الطالب الجامعي مدمن الانترنت يحمل سمات شخصية سلبية لها علاقة بإدمانه على هذه الشبكة، و قد تمثلت هذه السمات في كل من "الانطوائية، الخجل، ذوو خيال، الدهاء و الحنكة، عدم الأمان، التجديد، غير منضبط".

قائمة المراجع:

- 1- الارنوط، بشرى إسماعيل احمد، إدمان الانترنت وعلاقته بكل من أبعاد الشخصية و الاضطرابات النفسية لدى المراهقين، أطروحة دكتوراه، جامعة الزقازيق، مصر، 2005.
- 2- مجلة كلية التربية، أبو هاشم، السيد محمد، المكونات الأساسية للشخصية في نموذج كل من كاتل و أيزنك و جولديبرج لدى طلاب الجامعة (دراسة عاملية)، 17(70)، افريل 2007
- 3- ب بن عمارة، سمية، الشعور بالاغتراب الاجتماعي لدى الشباب المدمن على الانترنت- دراسة استكشافية تحليلية لدى عينة من الشباب بمناطق الجنوب الجزائري-. أطروحة دكتوراه علوم، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2014.
- 4- المجلة المصرية للدراسات النفسية، جلال، خالد احمد، و محمد، السعيد الصالحين، تأثير الاستخدام المفرط للانترنت على بعض متغيرات الشخصية لدى طلاب الجامعة، 15 (49)، أكتوبر 2005.
- 5- دراسات عربية في علم النفس، زيدان، عصام محمد، إدمان الانترنت و علاقته بالقلق و الاكتئاب و الوحدة النفسية و الثقة بالنفس، 7(2)، افريل 2008.
- 6- المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية و الرادارية)، الصباطي، إبراهيم بن سالم، رسلان، محمود يوسف، و علي، محمد النوبي محمد، إدمان الانترنت و دوافع استخدامه في علاقتهما بالتفاعل الاجتماعي لدى طلبة الجامعة، 11(1)، 2010.
- 7- عبد المجيد، محمد سعيد. (2009، 8 جوان). العمل الخيري والقضايا الاجتماعية المعاصرة (3). تم استرجاعها في تاريخ 20 فيفري، 2016 <http://www.medadcenter.com/Articles/show.aspx?id=84>
- 8- العوضي، نادية. (د.ت.). مرض العصر.. إدمان الانترنت. تم استرجاعها في تاريخ 21 فيفري، 2016 من <http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/scince-17/scince2.asp>
- 9- الفاعوري، أهم، (د.ت.). اختبار كاتل Cattel للشخصية – اختبار العوامل الستة عشر للشخصية. تم استرجاعها في تاريخ 16 نوفمبر، 2015 من up-sy.com/files/16_PF.pdf
- 10- الميلادي، عبد المنعم، سيكولوجية المراهقة، مؤسسة شهاب الجامعية، الإسكندرية، 2004.
- 11- Cyber Psychology & Behavior, Beard, K. W., & Wolf, E. M, Modification in the proposed diagnostic criteria for Internet addiction, 4(3), 2001.

- 12- CyberPsychology & Behavior , Cho, S. C., Kim, J. W., Kim, B. N., Lee, J. H., & Kim, E.H, Biogenetic temperament and character profiles and attention deficit hyperactivity disorder symptoms in Korean adolescents with problematic Internet use, 11(6), December 2008 .
- 13- Garcia, D. M. (2003, 14 Decembre). Internet Addiction Disorder. Retrieved February 21th, 2016 from <http://allpsych.com/journal/internetaddiction.html>
- 14- Kimberly, S. Y. Robert, C. R, Internet Addiction: Personality Traits Associated with Its Development, 1998, April). Paper presented at the 69th annual meeting of the Eastern Psychological Association, *Bradford*.
- 15- Journal of Broadcasting Media, Papacharissi, Z, & Rubin, A.M, Predictors of Internet use, 44 (2) ,2000.
- 16- Tori, D.. Is Internet addiction real ? (2000, April), Retrieved February 25th, 2016 from www.APA.Org/Internetaddiction.htm
- 17- Cyber Psychology et Behavior, Whang, L.S., Lee, S , & Chang, M. A, Internet over-user's psychological: A Behavior sampling analysis on Internet addiction, 16 (2), 2003.

علوم الأعصاب، ثورة أم سراب؟

Les neurosciences, révolution ou mirage ? Romina Rinaldi

د.محمد شرقي/المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بمراكش /المغرب

Dr. Mohammed Cherké, Regional Center for Education and Training Professions/Marrakech-Morocco

Janvier 2019 310,°n Humaines, Revue des Sciences

Abstract :

This article That I have translate into Arabic is entitled: « Is Neuroscience A Revolution Or A Mirage ? ». It was published in the French journal of Humain Sciences, in January 2019.

Throughout the article, its author records with astonishment this panting and this almost pathological run-up to the newly emerging science, Neuroscience, and shows how the media works to present it as the balsamic healer of many diseases and that it is the key to identifying human behavior, and how some believe that a sector can benefit from it Education and pedagogy in particular.

In this context, however, he invokes the response of one of the well-known pedagogists, "Philippe Perenoud", which shows how neurosciences can, no doubt in that, help us in learning the learners and their developmental development, and then it can be a valid tool in the field of education, but it cannot be a pedagogy in the extent of Itself. It may only contribute to one dimension of pedagogy, that of knowledge only (the knowledge that you provide regarding the learner).

Keywords : neuroscience – brain – pedagogy – human

ملخص :

يحمل المقال الذي عملت على تعريبه العنوان التالي : علوم الأعصاب هل هي ثورة أم سراب ؟ وقد نشر بالمجلة الفرنسية "علوم إنسانية" العدد 310، يناير 2019. على امتداد المقال يسجل صاحب النص باستغراب هذا اللهاث وهذا الجري شبه المرضي وراء علوم حديثة النشأة هي علوم الأعصاب، ويبين كيف تعمل وسائل الإعلام على تقديمها باعتبارها البلسم الشافي لكثير من الأمراض وأنها مفتاح التعرف على السلوك الإنساني، وكيف يعتقد البعض أنه من الممكن أن يستفيد منها قطاع التربية و البيداغوجيا بشكل خاص . لكنه يستحضر في هذا الإطار رد أحد البيداغوجيين المعروفين " فيليب بيرنو" الذي يبين كيف أن علوم الأعصاب يمكن، لاشك في ذلك، أن تفيدينا في معرفة المتعلمين وتطورهم النمائي ومن ثم يمكن أن تكون أداة صالحة في مجال التربية لكنها لا يمكن أن تكون بيداغوجيا في حد ذاتها . إنها قد تساهم فقط في بعد واحد من أبعاد البيداغوجيا، ذاك المتعلق بالمعارف لا غير (المعارف التي تقدمها بخصوص المتعلم).

الكلمات المفتاحية : علوم الأعصاب - دماغ -بيداغوجيا- سلوك إنساني .

تعدينا علوم الأعصاب بفهم أفضل للدماغ، للمعرفة، للمشاعر و للعلاقات البين فردية...هل تمتلك هذه العلوم الوسائل لتحقيق طموحاتها ؟

من دون شك، لقد دخلنا، من طابق واحد، في عصر علوم الأعصاب .إنها علوم تساعدنا لكي نفهم بشكل أفضل من نحن، وكيف نشغل. إنها مثل السكين السويسري بالنسبة لحياتنا اليومية. وعود جميلة؟ نعم و لا في نفس الآن، وذلك لأن مجهودات الباحثين إذا كانت تستحق أن تعطها قيمة ، فان هذه الأهمية و هذا الجري أو هذه الهرولة بشكل عار إلى هذه العلوم لا تمثل فقط إيجابيات بل لها سلبياتها أيضا. كما أنه، خلال هذه السنين الأخيرة تمت و بشكل جدي مساءلة نتائج هذه الأبحاث في علوم الأعصاب . لقد تم استنكار التلاعبات التي أجريت على معطيات خام من أجل "تشكيل" أو إعطاء شكل جديد للنتائج و كذلك التوسع في تأويل المعطيات. وراء هذه المظاهر التقنية، هناك الثقة العمياء و التي يظهر أن المجتمع بكامله يعطيها لكل ما هو مدموغ « estampillé » "علوم عصبية" والتي تلزم البعض لدق ناقوس الخطر. إنها علموية رجعية أكثر منها تقدمية ولذلك فعلماء الأعصاب أنفسهم سيستنكرون التعامل الأداتي مع معطياتهم! في منطقة وسطى بين القبول الطائش و الرفض التام، يمكننا طرح السؤال التالي: هل توجد خديعة في علوم الأعصاب ؟ و إذا كان الأمر كذلك، فمن المخطئ؟

خديعة القطع الأثرية و التلاعبات الإحصائية :

لعلكم تتذكرون تلك الدراسة التي تعود إلى سنة 2009 و التي اكتشفت تنشيط الدماغ الخاص برؤية لإحدى صور جنفير أنيستون Jennifer Aniston التي اشتهرت بدورها في مسلسل أصدقاء ? Friends هل هي هفوة ؟ لا على الإطلاق ! لقد تم نشر ملخص أو توليف هذه الأبحاث في مجلات علمية قيمة .مثل Nature ou Scientific Americain، عنوانها الأصلي " خلايا المفاهيم :طوب الذاكرة التعريفي" (مترجم). و قد عنونت لجرائد التي نقلت المعلومة على الشكل التالي : "جينيفر أنيستون ربحت

حرب الدماغ" أو " عثر الباحثون على عصب جينيفر أنيستون". في مقاله الأصلي، استعرض عالم الأعصاب رودريغو كيان كيروغا Rodrigo Quian Quiroga نتائج تجربته من خلال تقديم مجموعة من الخلايا لفرس البحر، و التي، عند أحد المرضى تجيب بشكل خاص جدا لصورة الممثلة الأمريكية و لكن ليس للممثلين الآخرين الذين يظهرون للعيان للعيان (مسكين براد بيت Brad Pitt). عند مريض آخر فان ماي بيرى Maille Berry هي التي ستجعل الخلايا العصبية تتحرك، في حين أن خلايا أخرى ستثار أو ستشتغل من أجل لوك سكاياوالكير Skywalker. و تتمثل الخلاصة التي سيتوصل إليها هذا الباحث و فريقه في كون هذه الخلايا المحددة يمكن أن تشكل قاعدة للتنظيم العصبي لذاكرتنا: كل شخص، كل شيء سيتم تشفيره حسب تكوين أو ترتيب معين لخلايا عصبية. و لكن قبل كل شيء، هذه التمثلات ستكون، مثلها مثل ذكريات كل منا ، فريدة للغاية أو متفردة أكثر . ليس الأمر إذن كأن نكون قادرين على تحديد بطريقة يقينية و ثابتة، عند أي كان، الخلايا المرتبطة بذكري معينة و التي بحذفها يمكننا و بشكل مماثل حذف تلك الذكري تاركين الذكريات الأخرى على حالها.

أكيد أن هذا الخطاب، الدقيق ولكن -بشكل خاص- التقني جدا، هو بشكل واضح أقل جاذبية. فباستثناء بعض الجزئيات، هنا و هناك، لا يمكن للوسائط إذن أن تتوقف عن نقل هذه المعلومات من خلال إعطائها شكلا جديدا و تقديمها في نسخة جذابة. لقد فهموا بشكل جيد أن عامة الجمهور تحب علوم الأعصاب! هل من الممكن أن نلوم الجمهور؟ ألم تنشط محاولات فهم روحنا البشرية منذ الأزل؟ إلا أن هذه الطريقة في إبلاغ المعلومة تنتج تأثيرا كبيرا على تمثل علوم الأعصاب (أو الطريقة التي نتمثلها بها من طرف العموم).

بالفعل أو من المسلم به أن البحث في التصوير الدماغى محشو بالتحف أو بالقطع الأثرية و بالتلاعبات الإحصائية والإعدادات الفنية و معلمات في بناء البروتوكولات. الخ و لكن ثمة تحيز أساسي، لا يمكن للباحثين مطلقا التحكم فيه، يتمثل في الطريقة التي يتم بها نقل معطياتهم للجمهور الواسع.

حزمة "العلوم العصبية البيداغوجية":

إن هذا لا يمنع من القول في ظل هذا التدفق الذي لا ينقطع تقريبا لمعطيات علوم الأعصاب، أن البعض اقتربوا من الجرعة الزائدة (أي تجاوزوا الحد المطلوب) و يندرون من سيادة أو عهد علم الأعصاب الذي، على الرغم من بقاءه بعيدا عن حياتهم اليومية حتى وقت قريب، بدأ يغرق أكثر فأكثر. لا يسع المرء إلا أن يفكر في بعض المدرسين الذين سئموا من تراجع المستوى بحكم طرقهم " التقليدية"، و هم يقدمون علم الأعصاب باعتباره الخيار الوحيد للتقدم البيداغوجي.

إن النقاش ليس ثنائيا حبت تظهر العلوم الدقيقة في مقابل مقابل العلوم الإنسانية (في هذه الحالة علوم التربية)، والمؤيدين "للطرق القديمة" مقابل التقدميين. من الممكن تماما الاعتراف أن البيانات التي تقدمها علوم الأعصاب حول نمو الأطفال و تعلمهم تعتبر مادة قيمة لتطوير الأساليب التربوية المناسبة، و من الممكن كذلك رفض حزمة " علم الأعصاب البيداغوجي" ككل و التي، مع ذلك، تباع أو تسوق منتوجها بشكل جيد.

وهكذا نشرت مصلحة المراقبة العلمية و التقنية التابعة للمعهد الفرنسي للتربية سنة 2013، ملفا تحت عنوان "علوم الأعصاب و التربية: معركة الأدمغة"، حيث تم تسليط الضوء على عدم وجود فهم متبادل بين التخصصات فالمدرسون

يصبحون عرضة لتفسير البيانات التي تقدمها علوم الأعصاب بشكل مبسط (34) و علماء الأعصاب من جهتهم غير مطلعين على تاريخ الفكر التربوي، ومن ثم الدوران في حلقة مفرغة في بعض الأحيان .

يؤكد فيليب بيرنو، المتخصص في علوم التربية في كتابه الأخير La riposte (الإجابة) و لكي يتم ما جاء في كتابه le miroir des alouettes (مرآة القبرة) (2018) على أن نتائج التجارب في علوم الأعصاب يمكن أن تؤسس نقطة انطلاق للتفكير البيداغوجي ولكن باعتبارها مجرد أدوات، و يذكر أن الطريقة البيداغوجية تتم فصل حول ثلاثة محاور وهي: المعارف (في هذه الحالة تلك المتعلقة بالطفل و نموه) الغايات (الأهداف البيداغوجية و الاجتماعية) ثم الممارسات (الوسائل و الطرق). فإذا كانت علوم الأعصاب تغذي الجانب المتعلق بالمعارف، فإنها لا يمكن أن تمثل بيداغوجية قائمة بذاتها . من جهة أخرى، فهو يصر على واقعة "أن فهم الكائن البشري لا يقتصر فقط على بعد واحد من أبعاده (...). بالفعل يمكن أن يظهر الدماغ مثل قمرة القيادة و حيث توجد كل البيانات (...). و حيث تتخذ كل القرارات (...). ولكن، لا يمكن، بأي حال من الأحوال، اختزال قرارات الطيار في مجرد توليف ميكانيكي للبيانات مثل ما يمكن أن يقوم به الكمبيوتر على نحو أفضل ."

ولكن، هنا أيضا، لا يمكن إدانة هذا التوجه العلمي (علم الأعصاب) بأكمله، فقد اتخذ بعض علماء الأعصاب المشهورين أمثال تانيسلاس دوهاين Stanislas Dehaene خيار المشاركة في التغيير البيداغوجي من خلال علم الأعصاب (مع الاعتراف بضرورة تغيير حقيقي للبرادغيم أو النموذج الإرشادي المعتمد) و كذا خلق علم متداخل التخصصات يتيح لكلا الطرفين التعاون بفعالية و ليس فقط نقل أو تحويل نظرية إلى أخرى. لكن علماء الأعصاب المتشككين ليسوا نادرين و لا شك أنهم أقل سماعا .

نحو علوم أعصاب أخلاقية :

بطبيعة الحال لا تقتصر المسألة على البيداغوجيا. ففي مقال ظهر سنة 2014 في مجلة الطب النفسي L'encéphale (الدماغ)، عبر باحثون في علم النفس الشرعي عن قلقهم بشأن قانون صدر في فرنسا سنة 2011 يجيز استخدام تصوير الدماغ كجزء من الخبرة الجنائية في الطب الشرعي . لقد عادوا من جديد، و من بين أمور أخرى، إلى حالة امرأة شابة تبلغ من العمر 28 سنة في مدينة Come بإيطاليا كانت عقوبة الحكم بقتل أختها محدودة و ذلك في أعقاب دراسة تصوير الدماغ التي بينت وجود خلل في بعض المجالات المرتبطة بالكبت أو التثبيط Inhibition (الذي كانت تعاني منه)، و يشير الباحثون إلى أنه يجب التفكير بحذر في مثل هذه الأمور، و أن العدالة يجب أن تتجنب التفكير في كون علم الأعصاب يمكن أن يجلب أو يقدم "إجابات جاهزة". في مثل هذه الحالة، من الأفضل عدم افتراض أن دماغ الشخص المجرم يختلف عن دماغ الشخص البريء، و عدم السقوط في فخ التوطن، أي فكرة أن منطقة ما من الدماغ تتوافق من دون شك مع سلوك معين. وعلى هذا المستوى أيضا، لا يخدم علماء الأعصاب أنفسهم بل نجد حاليا أن الكثير منهم ينخرط في التيار النقدي لعلم الأعصاب حيث يتساءلون عن مدى القيمة الإثباتية للبيانات العصبية. وبالرغم من ادراكهم جيدا أن علمهم لم يعد هامشيا بل امتد إلى المجالات السياسية و الاجتماعية و الأخلاقية ، فهم يسعون ليس إلى معرفة كيفية استبعاد علم الأعصاب من هذه المجالات ولكن البحث عن كيفية إدراجه بطريقة معقولة دون إفقاد هذه العلوم لطبيعتها الحقيقية.

كما ترون في تجربة علم الأعصاب، ليس فقط الباحثون هم الذين يجب عليهم توجيه الاهتمام إلى المهتم . بطبيعة الحال فإن كتب التحسيس بالمعلومات paramèters الملموسة للتجارب و الموجهة للجمهور الواسع من الناس (و التي يتم القيام بها في إطار هذه العلوم) مفيدة في هذا المجال لتعطي رأيا مستنيرا حول هذه المعطيات . ومع ذلك، يجب أن نتذكر أن الثقة في علم الأعصاب تتأثر بالخطابات الإعلامية و السياسية التي غالبا ما لا تخص الباحثين. من جهة أخرى ينتج هؤلاء الباحثون تفكيراً أخلاقياً و تقنياً من أجل تجاوز العيوب الكامنة في كل المجالات العلمية.

وسائل تقنية في تطور :

عادة ما تعترض علماء الأعصاب صعوبات تقنية و تجريبية فالأدوات ضعيفة جدا وانعدام عدم وجود بروتوكول موحد مع الحاجة إلى إجراء معدلات وسطية (جمع المعطيات) كل ذلك يفقد "القوة" الإحصائية و البيانات الأصلية طبيعتها...ولكنهم لا يبقون مكتوفي الأيدي. على العكس من ذلك فإن البحث التقني في تصوير الدماغ مثل أخلاقيات الأعصاب هو مجال للبحث في حد ذاته. على سبيل المثال، لاستخلاص استنتاجات حول الصلة بين السلوك و النشاط الدماغ يمكن للباحثين أن "يكتفوا" بتقنية التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي IRM fonctionnelle (وبشكل مثالي من خلال إضافة إجراءات أخرى مثل الوصف الالكترودماغي l'électroencéphalographie. من ناحية أخرى، لإثبات العلاقة السببية و بالتالي استخدام الدماغ لمراقبة التغيرات في السلوك، هناك حاجة إلى أدوات أخرى مثل التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة بحيث يجب أن تسفر الأبحاث عن دلائل تطبيقية مدعمة بما يكفي لمصاحبة العلماء الذين لا يكفي أن تكون إرادتهم خيرة في الوقت الحالي للتغلب على الصعوبات التي تتركهم في بعض الأحيان مسمرين في أماكنهم.

1-Russell Poldrack et Martha Farah, Progress and challenges in probing the human brain, Nature, vol. DXXVI, n°7573, octobre 2015

تديروقت الفراغ لدى المدرسين: دراسة حالة مدرس بمدينة المحمدية –المغرب-

Teachers spare time Management A case study, of a teacher in Mohammedia, Morocco

الحسن ايت الحسن/إشراف أ.د. الحسن حيرا/ جامعة الحسن الثاني، المحمدية، المغرب

Mr. LAHCEN AIT LAHCEN/ University Hassan II, Mohammedia, Morocco

ملخص:

يعكس السلوك الترفيهي إلى حد كبير طابع القيم السلوكية والاجتماعية السائدة في المجتمع، ولذلك فإن دراسته يمكن أن تشكل مدخلا من المداخل الرئيسية في دراسة المجتمع، ذلك أن سلوك الأفراد في وقت الفراغ يمكن من إدراك المحاور الأساسية لتطوير مؤسسات التنشئة الاجتماعية ومعالجة مشاكله. ولهذه المسألة أهمية خاصة عندما يتعلق الأمر بشريحة اجتماعية تربي الأجيال وتؤدي دورا هاما في الحياة الاجتماعية وفي بناء المجتمع وهي فئة المدرسين.

الكلمات المفتاحية: وقت الفراغ- الشغل - المجتمع - تنشئة اجتماعية – مدرس.

Abstract :

Recreational activities of individuals largely reflect the dominant character of the values and behavior in society, and therefore working on this subject can constitute one of the main entry points in its study. That is to say, the behavior of individuals in their free time, enables us to comprehend the basic axes of developing socialization institutions and addressing their problems. This issue is of particular importance when it comes to a social component that educates generations and plays an important role in social life and in building society, which is that of the teachers.

Key words: Free time - society - socializing - teacher.

تمهيد:

تعتبر مسألة تدبير الوقت وتنظيم وثيرة الحياة الاجتماعية من الأمور التي لم تخل منها المجتمعات العتيقة، حيث كان كل وقت أو زمن يعرف بعمله الخاص حسب الفصول وطلوع الشمس وغروبها (وقت دائري). إلا أن مرحلة الثورة الصناعية أفرزت تنظيماً جديداً للأزمنة الاجتماعية وبرزت أزمنة جديدة في الحياة الاجتماعية ومن أهمها زمن الفراغ واللا شغل، فماذا يقصد بوقت الفراغ؟ وكيف يدبر من طرف المدرسين الذين ينعتون في المغرب بأنهم لا يشتغلون إلا قليلاً وأن مهنتهم تتميز بكثرة العطل؟ وما دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في التربية على تديده؟

للإجابة على هذه الأسئلة، اعتمدت على المنهج الكيفي عوض المنهج الكمي الذي يهتم بإعطاء أرقام إحصائية، وتتصف نتائجه بالشمولية أكثر ما تهتم بالعمق ومواقف وأراء الفاعلين، ولا تفصح تماماً عن مضمون الدوافع الأساسية لأفعال المبحوثين، وتتصف بمجموعة من الخدع السوسولوجية كما سماها¹ (Claud Javeau). عكس المنهج الكيفي الذي يعطي الأولوية لوجهة نظر الفاعلين الاجتماعيين ومواقفهم تجاه أفعالهم. ومن بين الأدوات المستعملة في المنهج الكيفي أداة دراسة الحالة والتي اعتمدها في دراستي لما لها من أهمية في سبر أغوار الحالة المدروسة وبالتالي الظاهرة، كما أنني أراها الأداة المناسبة لإنجاز البحوث الاجتماعية من أجل الوصول إلى العام من خلال الخاص، كما تعتبر من أهم التقنيات الوصفية التي تزود الباحث ببيانات كيفية معمقة عن الحالة المدروسة. استعنت بأداة المقابلة، وبتقنية الملاحظة؛ ملاحظة الحالة نفسه من خلال تعابير وجهه وحركاته ووقفاته عن الكلام أثناء المقابلة، ملاحظة أنشطته في مجموعة من الأمكنة كالمقهى ومنزله الذي زرتة مرارا. استعملت كذلك سيرة حياة المبحوث للوقوف على مختلف المشاهد والمنعطفات التي مر بها وعاشها (الأُسرة، المدرسة، المهنة، الأصدقاء...)

أنجزت المقابلة الرئيسة بخصوص هذه الدراسة مع الحالة في منزل قروي حيث يخلو (أع) بنفسه في أوقات فراغه و يهرب من ضجيج المدينة والأبناء. دامت المقابلة الرئيسة حوالي ثلاث ساعات متقطعة لكي لا يمل المبحوث، حاولت فيها عرض أسئلة المقابلة واستفسارا لحالة عن كل ما يتعلق به شخصيا وكذلك عن الموضوع قيد الدراسة للإحاطة بجميع جوانبه. في المرحلة الثانية من البحث وخلال مراجعتي لمعطيات المقابلة، حاولت تحديد مجموعة من المنعطفات التي ميزت اهتمام الحالة بوقت الفراغ ثم قمت بتقسيم حياته إلى مراحل. عدت من جديد إلى (أع) ليتحدث عن سيرة حياته حسب المراحل والمنعطفات التي حددتها من قبل بعد أخذ موعد معه. اتفقنا أن نذهب إلى دار أبيه بالبادية مرة أخرى حيث الهدوء خاصة والجو ربيعي، قمنا بإعداد الشاي ثم جلسنا نتحدث قليلا عن العمل وظروفه لأطلب منه مجددا أن يتحدث لي عن حياته في مرحلة الطفولة ثم مرحلة الدراسة في الإعدادي والثانوي ثم مرحلة التعليم العالي والمهنية.

¹Aurélie Gonnet :« ClaudeJaveau, Des impostures sociologiques », Lectures [En ligne], Les comptes rendus, 2014, mis en ligne le 02 avril 2014, consulté le 29 avril 2017. URL :< <http://lectures.revues.org/14236>>

1. وقت الفراغ ظاهرة اجتماعية

1.1 تعريف وقت الفراغ

يقصد بوقت الفراغ الزمن الذي يخلو فيه الإنسان من الشغل، أي الوقت الذي يخلو فيه الشخص إلى الراحة من أعباء المسؤوليات اليومية، أما تعريفه كظاهرة اجتماعية فقد اختلفت التعريفات. فمن السوسيولوجيين من ربط تعريفه بالشغل مثل «ثورستين فيبلن» (Veblen)¹، فبالنسبة له:

«وقت الفراغ هو الوقت الذي لا ينتج فيه الإنسان، ويعتبر الشغل غير منتج في حالتين: عدم وجود شغل له قيمة و خلو ذلك الوقت من العائد الذي يمنح القدرة على شراء اقتناء مستلزمات الحياة».

أما السوسيولوجي الفرنسي «جوفر دومازدييه» (Dumazedier) والذي يعود له الفضل في استقلالية علم اجتماع الفراغ أو الترويح عن سوسيولوجيا الشغل فقد عرف الترفيه بأنه «مجموع الأنشطة التي يقبل عليها الشخص بملء إرادته، من اجل الاسترخاء أو التسلية أو زيادة في معلوماته أو إقامة علاقات اجتماعية وفق قدراته وطاقته، وذلك بعد القيام بواجبات العمل والأسرة والمجتمع»². من خلال التعريفين يمكن أن نستنتج أن وقت الفراغ يمكن تعريفه تعريفا كميا وكيفيا؛ فكما هو الوقت المتبقي من اليوم بعد أداء جميع الواجبات الأسرية والعملية والاجتماعية، أما كيفيا فهو الوقت الذي يتحرر فيه الشخص من أي التزامات وواجبات حيث يستطيع القيام بأنشطة ترفيهية شخصية مسلية نابعة من رغباته وميولاته.

2.1 وقت الفراغ وليد المجتمع الصناعي

إذا كانت المجتمعات العتيقة والقديمة لم تكن تهتم بوقت الفراغ، أو لم تفكر في كيفية استغلاله وكان متداخلا مع الأزمنة الاجتماعية الأخرى ومندرجا ضمن الحياة الاجتماعية، وكان أساسا مخصصا لأنشطة تقوي روح الجماعة والتضامن بين أفرادها وكانت الاحتفالات الموسمية والدينية أحد تمظهراته، فإن وقت الفراغ في وقتنا الحالي أصبح سمة من سماته الأساسية³. فإذا كان زمن العمل قد احتل مكانة مركزية بالنسبة لباقي الأزمنة الاجتماعية الأخرى في بداية الثورة الصناعية وحوله انتظمت هذه الأزمنة، و كان يشكل المصدر الرئيسي لجميع الأنشطة الاجتماعية ومصدر المدخل المادية والمكانة بل وللهوية الاجتماعية، فإنه في العصر الحالي فقد هذه المكانة وبدأت وظائفه في الانهيار والتلاشي أمام باقي الأزمنة الاجتماعية ومن أهمها زمن الترفيه؛ أصبح العامل لا يقض سوى 14% من وقته في العمل حيث ارتفع زمن الترفيه وحددت ساعات العمل

1- Abdel-Malek Anouar: « La sociologie du « temps libre » et le devenir de l'homme Thèses préliminaires». In: L'Homme et la société, N. 4, 1967. pp. 153-164.[en ligne] <www.persee.fr/doc/homso_0018-4306_1967_num_4_1_1033>

2- BUSCH Marie-Charlotte: la sociologie du temps libre, Mouton, paris, 1975, p.62

3- COULANGEON Philippe: « loisirs », Encyclopedia Universalis [en ligne], consulté le 27 avril 2017. URL <<http://www.universalis.fr/encyclopedie/loisirs/>>

وكثرت العطل السنوية والأسبوعية¹، بل هناك من تنبأ بنهاية العمل² ببروز الآلات الذكية وتطور قطاع الخدمات وتحويل الأيدي العاملة إلى مستهلكين مهتمين أكثر بوقت فراغهم ومكانتهم الاجتماعية من خلال الأنفاق.

انقسمت الدراسات التي اهتمت وتناولت الفراغ والترويح في صلته بالتطور التاريخي للمجتمعات الإنسانية أساساً إلى قسمين³؛ فهناك من الدراسات من ترى أن الفراغ يوجد في كل الحضارات عبر جميع العصور ومن بينها دراسات (Sebastien De Grazia (1962) الذي أكد أن الفراغ كان من سمات جميع الشعوب، لكن ما يتغير هو العلاقة التي تربط العمل بالترويح حسب آليات الإنتاج، فالوقت الحر كان دائماً موجوداً والاعتقاد بأنه وليد الثورة الصناعية هو نوع من قصر النظر.

ويذهب أصحاب الاتجاه الآخر خاصة السوسيولوجيين الفرنسيين من مثل (Dumazedier Joffre) إلى أن الفراغ والترويح كقيمة اجتماعية هو وليد المجتمع الصناعي، حيث اكتسب الفراغ سمات جديدة وأصبح ظاهرة اجتماعية. في دراستي هذه سأقتصر فقط على بعض المقاربات النظرية التي انصبت على تناول أنشطة الوقت الحر والترويح خاصة وليدة الثورة الصناعية. ومن أهم هذه الدراسات نجد:

نظرية الحق في الكسل أو الاسترخاء لصاحبها «بول لافارغ» (Paul Lafargue)⁴: «الحق في الكسل» كرد على كتاب «لوي بلان» «الحق في العمل»، أبرز «لافارغ» سنة 1880 أن تقديس العمل والإعلاء من شأنه والذي سماه بـ «جنون حب العمل» هو مجرد غطاء إيديولوجي يهدف إلى الرفع من مرد ودية الطبقة العاملة إلى الحد الأقصى وتحويلها إلى مجرد آلة منتجة ومراكمة لخبرات تستمتع بها الطبقة البرجوازية بمباركة من الكنيسة. إن نظرية «لافارغ» ليست ضد العمل ولكنها ضد الإفراط فيه وتقديسه وتنادي بالتقليص من مكانته في حياة الأشخاص.

نظرية الطبقة الترويحية «لثورستون فيبلين» (Thorstein Veblen)⁵. إذا كانت سوسيولوجيا الترفيه (la sociologie des loisirs) حالياً تعتبر كميدان خاص في السوسيولوجيا فإن جذورها يمكن إرجاعها إلى «ثورستون فيبلين» الذي استعمل هذا المصطلح أي الترفيه - «le loisir» أو «leisure» باللغة الإنجليزية - لأول مرة سنة 1899 في كتابه «Theory of the leisure class» حيث عالج العلاقات الطباقية في المجتمع الرأسمالي ليس من منظور الإنتاج وامتلاك آلياته وفق التحليل الماركسي ولكن من منظور الاستهلاك، وهو الذي أبدع مصطلح «استهلاك التباهي» «la consommation ostentatoire» الذي يميز الطبقات المترفة عن الطبقات العمالية التي لا تملك الإمكانيات المادية التي تمكنها من الاستهلاك والترفيه.

¹ - Extrait de : Sue, Roger : Temps et ordre social - Sociologie des temps sociaux,

Presses Universitaires de France Paris, 1995 (2ème édition), pp. 11-32.

[Enligne] <http://classiques.uqac.ca/collection_methodologie/sue_roger/sue_roger.html>

² - "ريفكن جيرمي": نهاية العمل، (ترجمة: خليل راشد الجيوسي)، دار الفارابي، بيروت، 2009، ص 37.

³ - TEBOUL René : culture et loisirs dans la société du temps libre, édition de l'aube, paris, 2004, p. 15.

⁴ - الزين عبد الفتاح: سوسيولوجيا الوقت الحر والتنشيط الثقافي، منشورات قافلة الكتاب، الرباط، 1999، ص 42.

⁵ - TEBOUL René : Op.cit, p53.

نظرية الترفيه والحضارة التقنية «لجورج فريدمن» (Georges Friedmann)¹ . في مجموعة من المؤلفات أهمها « ou va le travail humain ? 1950 ، و « miettes 1956 » ، و « sept études sur l'homme et la technique 1966 » تحدث «فريدمن» عن التقنية والآلات التي غزت المعامل ووسائل النقل والتواصل والتي حولت وتحولت شروط عيش الإنسان، حيث أصبحت كل الأماكن تقنية « milieux techniques » مما أثر على طريقة اشتغال المؤسسات وسلوك الأشخاص إنه «تأثير الحضارة» « fait de civilisation » بتعبير «مارسل موس». إن غزو الآلة لحياة الإنسان أدى إلى تقليل ساعات العمل التي كانت تصل إلى 60 ساعة في الأسبوع وأيام العمل إلى خمسة أيام في الأسبوع مما أدى إلى ظهور إنسان جديد انه «إنسان ما بعد العمل» «l'homme-d'après-le-travail».

إذا كان (جورج فريدمن) عالج بروز ظاهرة الوقت الحر بعلاقتها مع العمل الذي غزته التقنية من منطلق سوسيولوجيا العمل، فإنه يمكن اعتبار (جوفر دومازيديه)(1915-2002) قد عالجها ضمن حقل جديد للسوسيولوجيا وهو سوسيولوجيا الترفيه حيث اهتم أكثر بالعلاقة العكسية بين الترفيه وتأثيره على العمل.

نحو بروز حضارة للترفيه، « لجوفر دومازيدي » (Joffre Dumazedier)² . يعتبر «دومازيديه» من أهم مؤسسي سوسيولوجيا الترويح في فرنسا من خلال مؤلفه «نحو حضارة للترفيه؟» « vers une civilisation de loisir ? » وهو نتاج لدراسات ميدانية حول أنشطة الأشخاص خارج أوقات الشغل، ويوضح أن المجتمعات التي كانت مبنية على «حضارة الشغل» « civilisation de travail » ستنتقل إلى مجتمعات تتأسس على حضارة للترفيه (civilisation de loisir). أوضح «دومازيديه» أن مكننة العمل أنهت «شقاء العمال» « peine des hommes » حيث أصبحوا يتمتعون بساعات الراحة والترفيه خلال الأسبوع (وقت حر يومي)، وقت حر أسبوعي (نهاية الأسبوع)، وقت حر سنوي (العطلة السنوية)، ووقت حر في نهاية الحياة العملية (فترة التقاعد). لم يعد الترفيه فقط حقا بل أصبح قيمة اجتماعية يأخذ مكانة كبيرة في حياة الأشخاص على حساب العمل.

2. تديروقت الفراغ لدى الحالة

لا يمكن اعتبار الترفيه ظاهرة معزولة، بل هي ظاهرة مرتبطة بمجموعة من العناصر يجب تحليلها في سياق أوسع ومن عدة زوايا: زاوية المجتمع والقيم السائدة فيه وكذلك من زاوية الفرد نفسه، فكيف يدبر (أع) الوقت الحر؟ يعكس السلوك الترفيهي إلى حد كبير طابع القيم السلوكية والاجتماعية السائدة في المجتمع، ولذلك فإن دراسته يمكن أن يشكل مدخلا من المداخل الرئيسية في دراسة المجتمع، ذلك أن سلوك الأفراد في وقت الفراغ يمكن من إدراك المحاور الأساسية لتطوره ومعالجة مشاكله. ولهذه المسألة أهمية خاصة عندما يتعلق الأمر بشريحة اجتماعية مربية للأجيال وتؤدي دورا هاما في الحياة الاجتماعية وفي بناء المجتمع وهي فئة المدرسين.

¹- FRIEDMANN Georges : « le loisir et la civilisation, technicienne », Revue internationale des sciences sociales, 1960, volume 7, N°4, pp.551-563.

²- CAZENEUVE Jean : « Dumazedier Joffre, Vers une civilisation du loisir ? ». In: Revue française de sociologie, 1962, 3-4, pp.455-456, [en ligne], <http://www.persee.fr/doc/rfsoc_0035-2969_1962_num_3_4_6151>

تعتبر فئة المدرسين من أهم موظفي الدولة -عددا- في المغرب حيث يمثلون ما يقارب 50% من العدد الإجمالي للموظفين¹ وينعتون بأنهم الفئة التي تملك أكبر قدر من الوقت الفارغ حيث يشتغلون على الأقل نصف يوم وتمتاز مهنتهم بكثرة العطل، لكن من خلال كلام الحالة يتضح العكس فالوقت الحر غير موجود وإن وجد فهو غير مفكر في تنظيمه «الوقت الفارغ موجود...ولكن بلا برنامج».

يقول «بوريس سيريلنكي» (Boris CYRULNIKI)² «إذا أنشأنا حضارة للترفيه دون معنى، سوف نصبح أكثر عدوانية [...] إنني أراهن أن الذين سيستفيدون من هذه الأخلاق الجديدة للسعادة سوف تكون لديهم حياة مزدوجة منظمة حول مشروعين: مشروع اجتماعي (السعي وراء الرزق) ومشروع شخصي (الخوض في مغامرة جميلة»، «فالسعادة» إذن تستوجب التوفيق بين العمل والوقت الحر الذي يعرفه (أع) ب«الوقت الفارغ عندي في مدة معينة وأن تكون جميع القيود مقطعة»، من خلال هذا التعريف يتضح أن الحالة واع بالوقت الحر وبدوره في حياته ويعرفه تعريفا كميا وكيفيا لكن لماذا لا يستطيع تدييره؟

ليست كل أوقات عدم الشغل الرسمية يمكن أن ترى على أنها وقتا «حرا»، فبالنسبة للحالة في فترة معينة من حياته خاصة بعد زواجه وإنجاب له أطفال أصبح يقضي وقت فراغه من الشغل الرسمي في البحث عن «طرف الخبز»³ لتوفير المال لاقتناء شقة وتربية الأبناء وذلك باشتغاله في مدارس خصوصية، «أصبحت مثل حمار الناعورة»⁴ يقول (أع). في ظل الضغوطات وإكراه الحياة اليومية المتسمة بارتفاع تكاليف الحياة الأساسية ونظرا لتدني الأجرة أصبح الموظفون (الطبقة المتوسطة) يبحثون عن موارد إضافية بديلة لتغطية مصاريف العائلة، ونتيجة هذا يكون من الصعب التفكير في تنظيم وقت الفراغ كما يجعل تعويد وتربية الأبناء عليه أصعب.

يعود تديير الزمن بصفة عامة والزمن الحر بصفة خاصة بالأساس إلى التنشئة الاجتماعية حول دور الوقت في الحياة اليومية للفرد والمجتمع، فالملاحظ في مجتمعنا المغربي غياب العقلانية في تديير المجال والزمن. إن تديير الوقت ليس مشكل (أع) فقط بل مشكل المجتمع، فمجموع المشاكل التي نلاحظها في الإدارات العمومية والمدارس وداخل العائلة تعود إلى سوء تديير الوقت حيث تتداخل الأزمنة الاجتماعية في ما بينها، وهذا ما يتجلى في تحديد المواعيد بين الأشخاص أو عند قضاء غرض إداري في مؤسسات الدولة حيث يغيب مفهوم تنظيم أو تديير الوقت.

تظهر أهمية الوقت في أي مجتمع من خلال ما يمارسه أفرادها من أنشطة ومدى قدرتهم على الاستفادة منه، فقد نجد أن بعض المجتمعات تعتبر الوقت من ذهب وتعطيه قيمة وتربي أفرادها على احترامه ولاستفادة منه، وهذا ما يتجلى في ضبط المواعيد وعدم هدره في ما لا يفيد، وما وصلت إليه من ازدهار وتقدم كما هو الشأن بالنسبة للبروتستانت في ألمانيا كما أوضح

¹ - انظر الإحصائيات على موقع وزارة الاقتصاد والمالية وإصلاح الإدارة : <https://www.mmsp.gov.ma/ar/decline.aspx?m=8&r=52>

² - Fiche de lecture sur « vers une civilisation du loisirs » [En ligne]

<storage.canalblog.com/17/51/230993/9298529>

³ - يقصد «بطرف الخبز» في الدارجة المغربية العمل للحصول على المال لاقتناء الأغذية ومن أهمها الخبز الذي يعتبر عنصرا أساسيا في التغذية عند المغاربة، بل تسعى الدولة إلى ضمانه ويضمن مناسب لضمان الأمن الاجتماعي.

⁴ - يقصد «بحمار الناعورة» في الدارجة المغربية ذلك الإنسان الذي يشتغل دون توقف حيث يدور في منحنى واحد من العمل إلى المنزل.

ماكس فير في كتابه الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية. وترى بعض المجتمعات الأخرى أن الوقت ليست له أهمية قصوى مثل مجتمعنا وهذا ما يتبين حتى في بعض الأمثال «من يريد الريح فالعام طويل» .

إن التربية على تنظيم الوقت- ووقت الفراغ خاصة - مسألة تعود بالأساس إلى مؤسسات التنشئة الاجتماعية الرسمية كالأسرة والمدرسة ودور الشباب والجمعيات، فهذا الزمن الاجتماعي يمكن اعتباره الزمن الفاصل أو المتواجد بين الزمن العائلي والمدرسي، فالتمثل السائد تجاه الفراغ والترفيه في المجتمع على أنه «وقت خاوي» أي فارغ من أي نشاط أو انه سبب «البلية»¹ فلأنه مغيب في التنشئة الاجتماعية. إذا كانت الأسرة الخلية الاجتماعية الأساسية المكلفة بتزويد الطفل بمجموعة من القيم كاحترام الوقت وتديبره، فإن هذا الدور أصبح في مجتمعنا ثانويا في ظل سعي الآباء إلى توفير المسكن والغذاء وعودتهم مرهقين تحت ضغط الإكراهات الاقتصادية، حيث يقول (أع): «في الدار لا وجود لتدبير الوقت»، ولأن السياسة التربوية مقصورة في هذا الباب فتجد الطفل المغربي يدرس طيلة الأسبوع دون أي نشاط ترفيهي داخل المؤسسة التعليمية زد على ذلك كثرة الفروض المنزلية التي ترهقه وترهق معها الأسرة فلا يسمع الطفل في البيت إلا «سير تقرا» وذلك لاعتقاد الآباء أن النجاح الاجتماعي يمر عبر النجاح المدرسي .

إذا كان وقت الفراغ يعتبر في الحس المشترك سببا «للبلية» كما أسلفت الذكر فلأن وظائفه لم تأخذ بعين الاعتبار في السياسة التربوية حيث لا تساعد برامج التعليم المغربي الطفل على الاستفادة من الأنشطة الترويحية، بل تدخل في تعارض معها ، النظام المدرسي مريض كثرة الدراسة بدون معنى « كما ورد على لسان الحالة، فرغم أن من بين أهداف أنشطة الحياة المدرسية في النظام التربوي المغربي تمكين المتعلمين من حسن تدبير أوقات الفراغ² فإن الملاحظ أن هذه الأنشطة شبه غائبة في الزمن المدرسي أو تكون مناسبة فقط ولا يستفيد منها جميع المتعلمين لغياب أطر خاصة في التنشيط حيث يتطوع فقط بعض المدرسين لذلك مما يجعل الفضاء المدرسي سجنا بالنسبة للمتعلم وللمدرس كما يقول (أع): «أضحت المدرسة مثل سجن» .

في دراسة قام بها «عبد الفتاح الزين» تحت عنوان «الوقت الحر لدى الأطفال وطرق استغلاله: تجربة أندية الأطفال بالمغرب»³، أوضح أهمية تدبير وقت الفراغ لدى الأطفال وعلاقته بالنجاح المدرسي ومحاورة الهدر المدرسي؛ بين من خلال بحث ميداني أهمية مساعدة الأطفال في التحكم في ميزانية وقتهم لإنجاح عملية تدمرسهم، ودور الأسرة في ذلك من خلال دراسة نموذجين: نموذج النجاح المدرسي مقابل الفشل المدرسي، حيث خلصت الدراسة إلى أن الفشل الدراسي ليس مسألة شخصية تتعلق بالطفل أكثر ما هي مسألة تتعلق بالتنشئة وتربية الطفل على التحكم في تدبير وقته وفهم التعارضات المختلفة القائمة بين الأزمنة الاجتماعية المختلفة.

«سير تلعب في الزنقة» إنها العبارة التي يسمعها الطفل داخل البيت المغربي والتي جاءت على لسان (أع) أثناء سرده لسيرة حياته في طفولته. فالفضاء العام الذي يرسل إليه الطفل و الخالي من أية تجهيزات ومرافق تحتوي الطفل لفضاء وقته الحر، وتغيب

¹ - «البلية» في الدارجة المغربية يقصد بها الخروج عن الطريق السوي والتعاطي للمخدرات.

² - وزارة التربية الوطنية المغربية: دليل الحياة المدرسية، منشورات ادكل، الرباط، دجنبر 2008، ص 27.

³ - انظر الدراسة على الرابط التالي : <http://www.association-oeuvres-sociales-commune-agadir.com/wp-content/uploads/2010/09/alwakt-lhor.doc>

أنشطة مدرسية تساعد المتعلمين على الاندماج في الحياة الاجتماعية- خاصة التربية البدنية التي تراجع دورها في المؤسسات التعليمية وبالتالي عدم تعويد الناشئة على ممارسة الرياضة التي يمكن مزاولتها في الفضاءات العامة دون مقابل مادي، فنجد غياب هذه المادة في التعليم الابتدائي وتخصيص ساعتين لها في الأسبوع بالنسبة للتعليم الإعدادي رغم أن الميثاق الوطني للتربية والتكوين في الدعامة 12 المادة 131 نص على الزاميتها من التعليم الابتدائي إلى التعليم الثانوي¹، كما أن اعتقاد الأسرة أن توفير الغذاء والمسكن والملبس هو المطلوب فقط منها، ألا يمكن أن يكون كل هذا سببا فعلا في ظهور مجموعة من المشاكل الاجتماعية؟ فيصبح الوقت الحر ضد المجتمع وليس لصالح المجتمع.

3. وقت الفراغ منتج استهلاكي

إذا كان «فيلين» تحدث عن طبقة الترفيه في أمريكا سنة 1899 كما أسلفت الذكر، فإنه يبدو ورغم «دمقرطنة» الولوج إلى التربية و بروز الترفيه الجماعي «loisirs de masse»- أن الاستفادة من الخدمات الترفيهية يظل ممكنا لبعض الطبقات الاجتماعية دون الأخرى، «أصحاب الوقت الحر هم الأغنياء» كما قال (أع)، لقد أبرز تطور الترفيه كظاهرة اجتماعية عدة تغيرات وتأثيرات ايجابية وسلبية في المجتمعات المعاصرة على صعيد العلاقات الاجتماعية، فلم تعد حضارة الترفيه أمرا خياليا بل أصبحت حقيقة يومية- وليست فقط استثناء- فقد تغيرت التمثيلات الاجتماعية حول الترفيه وأصبح المحور الذي تتمحور حوله باقي الأزمنة الاجتماعية، «أصبح الوقت الحر مهما في حياتي» كما قال (أع). لقد غير الوقت الحر علاقة الإنسان بالشغل بل وقواعد الانتماء الطبقي فاستهلاك وسائل الترفيه في الوقت الحر من طرف الأشخاص أصبح علامة اجتماعية مميزة للانتماء الطبقي «نحن لسنا مثل الأطباء والمهندسين» كما قال (أع). إن الانتماء أصبح لفئة أو طبقة اجتماعية استهلاكية لترفيه معين كعلامة على المكانة أو المستوى الاجتماعي للفرد الذي يعتقد يسعى إلى تحقيق ذاته وتفردته إلا أنه في الحقيقة يعيش استلابا واستغلالا من طرف الإشهار ووسائل الإعلام، إنها «فردانية» موجهة من طرف المجموعة حيث يعتقد الفرد أنه يستهلك من أجل الترفيه لكن في الحقيقة يستهلك ليوهم نفسه بمكانة اجتماعية ما ومحاولة «حجب» الفوارق الطبقيّة الموجودة بين الفئات الاجتماعية.

«الوقت الحر يجب أن تقتنيه بالمال» يقول (أع)، يبدو إذن من كلام الحالة أن الاستفادة من الوقت الحر يخضع لمنطق اقتصاد السوق الذي نجح في تحويل هذا الوقت إلى سلعة تباع وتشتري. كل شيء يمكن أن يصبح موضوعا للاستهلاك بما في ذلك الوقت الحر الذي تحول إلى زمن لإنتاج قيم التمييز الاجتماعي²، لقد أصبح الفرد مشاركا في مجتمعه لا بالعمل بل باستهلاكه للمنتجات ومن بينها وسائل الترفيه في الوقت الحر، فالمشاركة أصبحت مشاركة في نوع الاستهلاك وفي نوع الفضاءات الترفيهية التي يقضي فيها الفرد وقته الحر، لقد تحول الوقت الحر إلى بضاعة لا يمكن إدراكها إلا بالمال، لا يكف إذن تواجد وقت فارغ أو حر ولكن لابد من توفر المال لاقتناء الخدمات الترفيهية من أجل نسخ مظاهر الآخرين والتباهي بأن الفرد تمتع

¹- انظر نص الميثاق على الرابط: < <http://www.fllshm.ma/Docs/mita9%20arab.pdf> >

²- BAUDRILLARD Jean : la société de consommation, éditions Denoël, paris, 1970, pp.248,249.

بوقته الحر من خلال المبالغ المدفوعة. لقد أصبح الترفيه في المجتمع المعاصر كتلك «العاهرة» التي لا تهمها المتعة في ممارسة الجنس أكثر مما يهتمها المبلغ المالي المؤدى مقابل الخدمة.

أوضح البحث الوطني الذي أجرته المندوبية السامية للتخطيط حول الاستهلاك والأنفاق عند الأسر المغربية (2013-2014)¹ أن 10% من المغاربة الأغنياء ينفقون في الترفيه 105 مرة أكثر من 10% من الذين يتواجدون في أسفل هرم مستوى المعيشة حيث يخصص الأغنياء حوالي 3,5% من ميزانيتهم للترفيه بينما لا يخصص الآخرون إلا 0,4% من ميزانيتهم. لم يعد الترفيه إذن مجالاً محايداً بل علامة مميزة للأفراد وللطبقات الاجتماعية، فالاستفادة من الوقت الحر يختلف من طبقة إلى أخرى، فالأغنياء إذن هم الذين لهم الوسائل للاستفادة من الوقت الحر فلا يكف إذن تواجد وقت الفراغ فقط لكن لابد من تواجد المال لشراء هذا الوقت. فهل إذن طبقة الترفيه ما تزال قائمة؟ ولأن الدراسة لم توضح ما هو نوع الأنشطة الترفيهية التي يقوم بها هؤلاء الأغنياء، فهل تواجد المال يعني فعلاً ترفيه «فعالاً»؟

لم يعد الترفيه مجالاً أو حقلاً مستقلاً، حقلاً للحرية حيث نعبر عن اختياراتنا ولم يعد الفرد يمضي وقت فراغه حسب حريته الشخصية، فليست الحاجة إلى الترفيه من أجل الترفيه ولكن أصبح الوقت الحر مجالاً رمزياً يحدد فيه الفرد انتماءه الطبقي. إنه مجتمع المظهر فلن يكون يجب أن تكون محط نظر كما قال (بوخريص)². ولكي تكون محط نظر إذن يجب أن تستهلك في وقت الفراغ ولكي تستهلك يجب أن تبحث عن موارد مالية أسهلها بالنسبة للموظف هو القروض الاستهلاكية، «القرض البنكي ولد الحرام يسهل عليك كل شيء...» يقول (أع)، إن الإقبال على القروض الاستهلاكية البنكية والإغراءات التي تقدمها الأخيرة حولت الوقت الحر إلى وقت استهلاك لم يعد فيه الفرد حراً بل مستلباً «يستملك» وقته «الحر» من أجل المظهر الذي أصبح أساس العلاقات الاجتماعية في مجتمع التباهي و«الزواق»³. أصبح الفرد في مجتمع «الزواق» يسعى إلى نيل رضي وموافقة المجتمع أكثر ما يسعى إلى الاستفادة من وقته الحر كفرد، فرغم أنه يعتقد أنه حر في قضاء وقته الحر إلا أنه يبقى خاضعاً للنمط الذي يفرضه «مجتمع الاستهلاك» الذي طغى «بدكتاتوريته» على نمط عيش الأشخاص.

إن الحديث عن الترفيه كمجال للتمايز الاجتماعي بين الأفراد والطبقات الاجتماعية يظهر جلياً في نوع المنشآت الترفيهية التي يختارها الشخص أو تفرض عليه سواء في نهاية الأسبوع أو في العطل، فكيف ذلك؟

1.3 قضاء الترفيه

لقد أثرت حضارة الترفيه على قضاء المدن بل وأصبح الوقت الحر من أهم «مستهلكي» المجال حيث أصبحت بعض المدن تتميز وتنعت بكونها مدن سياحية لاستقطابها كل من يرغب في قضاء العطل والترويح عن النفس، بل وأصبح اقتصاد بعض الدول مبنياً على مدا خيل السياحة الداخلية والخارجية وأصبح الترفيه قاطرة للنمو الاقتصادي ومن أهم المشغلين لليد

1 - انظر نتائج البحث على الرابط: <<http://www.hcp.ma/file/183550>>

2- مذكور في: بنعبد العالي عبد السلام: البوب- فلسفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2015، ص 135.

3- اقصد "بالزواق" هنا المظاهر الخارجية التي تثير الانتباه.

العامة¹، لكن بعض المدن تكاد تنعدم فيها هذه الفضاءات. في مدينة المحمدية وحسب أقوال الحالة هذه المرافق قليلة جدا في ظل زحف الأسمت حيث تكاد تنعدم ملاعب القرب ودور الشباب وقاعات السينما² وقاعات الرياضة المدعمة من طرف الدولة. إن تغييب مؤسسات الترفيه في المدينة من طرف المسؤولين لا شك أنه سيكون عبئا ماديا للأسر التي ترغب في استغلال وقتها الحر « كل شيء يجب أن تشتريه » يقول (أع)، كما يمكن أن يصبح هذا الوقت كما أسلفت الذكر مصدرا للمشاكل الاجتماعية.

في غياب المرافق الترفيهية في المدينة تصبح المقهى الفضاء الذي يتوجه إليه (أع)؛ لقد أصبحت «القهوة»³ من أهم المشاعات الترفيهية التي لا تخلو منها المدن⁴، فرغم كثرة المقاهي وقرب بعضها من بعض إلا أنها لا تخلو من الرواد الذين يقضون في المتوسط ساعة و45 دقيقة يوميا في هذا الفضاء حسب نتائج البحث الوطني لاستعمال الزمن من طرف المغاربة⁵. إن الذهاب إلى المقهى لا يعني فقط استهلاك المشروبات (قهوة، شاي، عصير...) بل فضاء للترفيه عن النفس والتواصل الاجتماعي بين الأفراد، كما طور أصحابها الخدمات بتوفير الجرائد اليومية بالمجان وشاشات التلفاز العملاقة التي تجلب خاصة عشاق مشاهدة المباريات الكروية من جميع الفئات العمرية وبثمن يكاد يناسب الجميع وبدون وقت محدد⁶.

يقول (أع): « اهرب من المنزل إلى المقهى ». إن الهروب من المنزل إلى المقهى ليس في الحقيقة هروبا من المشاكل ولكن هروبا من المسؤولية العائلية التي يتنصل منها الرجال حيث يقضي الحالة في المتوسط وحسب ملاحظتي طيلة الأسبوع ما يقارب 13 ساعات بمعدل ساعة واحدة في اليوم العادي وأربع ساعات في نهاية الأسبوع، يقضيها (أع) كما قال في القراءة إلا أنني أثناء البحث لم ألاحظه يقرأ، كما أنه لا يتوفر على مكتبة في منزله توضح اهتمامه بفعل القراءة.

في غياب إذن مرافق للترفيه في المدن تبقى المقهى المفرد الوحيد لعدد من الأشخاص لقضاء وقت فراغهم اليومي أو نهاية الأسبوع. لكن في العطل كيف و أين يقضى هذا الوقت؟

2.3 الترفيه في العطل.

في العطل خاصة الصيفية فتلك قصة أخرى يقول (أع): « لكي تسافر فتلك قصة أخرى»، حيث تزيد مصاريف التنقل ومكان الاصطياف في ظل غياب تخطيط وتوفير ميزانية خاصة، وفي ظل النقص الحاد في المنشآت الترفيهية الخاصة بموظفي التعليم « مخيمات التعليم قليلة جدا... » يقول (أع). تحاول مؤسسة محمد السادس للتربية والتعليم توفير بعض المخيمات

¹ انظر الموقع Tanmia.ma على الرابط: <http://www.tanmia.ma/industrie-des-loisirs-est-le-vecteur-du-developpement-de->
</leconomie-africaine

² في مدينة المحمدية توجد فقط دارين للشباب: دار الشباب ابن خلدون بالعالية ودار الشباب المغربي العربي بالقصبة ولا توجد قاعة سينما.

³ "القهوة" في الداريجة المغربية تشير إلى المقهى.

⁴ يقال في الداريجة المغربية للتعبير عن كثرة المقاهي: "بين قهوة و قهوة كايها قهوة"

⁵ انظر الدراسة على الرابط التالي: <<http://www.hcp.ma/file/160328>>

⁶ تتراوح أثمان المشروبات في المقاهي في مدينة المحمدية من 6 دراهم إلى 12 درهم حسب موقع المقهى في حي شعبي أو في شارع رئيسي أو على شاطئ البحر.

الصيفية لكن أغلبها في المؤسسات التعليمية لينتقل المدرس من القسم أثناء السنة الدراسية إلى القسم لقضاء العطلة، كما أن الفنادق التي تعاقدت معها المؤسسة تكون أئمتها مرتفعة في العطل...).

في غياب ميزانية محددة للترفيه وتخطيط مسبق ونقص في أماكن الترفيه يصبح الوقت الحر عبئا على الأسرة ومصدر قلق وإحساس بالدونية، إنها ثقافة «الحكرة»¹ التي أصبحت شائعة في المجتمع المغربي والتي تعبر بها بعض الفئات عن الاحتقار وعدم الاستفادة من حقوقهم الاقتصادية والاجتماعية، كما أن هذه «الحكرة» يحس بها المدرسون من خلال عديد النكت التي تقال عنهم وكذلك عدم توفر هذه الفئة على امتيازات عديدة من بينها مرافق الترفيه. يقوم الحالة لتفادي الإحراج أمام الزملاء والعائلة بالذهاب إلى نفس المدينة تقريبا كل سنة لزيارة الأقارب دون تنوع الوجهات التي تتطلب مصاريف مهمة حيث يقول: « دائما نفس الفيلم ».

ابرز بحث أجري لصالح جامعة الحسن الثاني بالمحمدية² أن ثقافة السفر مازالت ضعيفة عند المغاربة حيث أوضحت الدراسة أن 85% من المغاربة يقضون عطلة عند أقاربهم بينما فقط 17% يقضونها في الفنادق و 15% يكترون اقامات سكنية. إن ثقافة السفر ليست ضعيفة لدى المغاربة ولكن القدرة الشرائية هي الضعيفة في ظل تحول وقت الفراغ والترفيه إلى بضاعة تستلزم مبالغ مالية للتنقل والكراء.

إن غياب ثقافة الوقت الحر وقلة الفضاءات الترفيهية يجعل أنشطة الترفيه تنحو نحو الترفيه السلبي «loisirs passifs» الذي تتميز أنشطته خاصة بالجلوس في المقهى أو أمام التلفاز أو شاشة الحاسوب واستهلاك المنتجات من أجل التباهي والتظاهر لإقناع الآخرين بالمكانة الاجتماعية، أو «قتل» الوقت، «إلى أين ستذهب؟ المقهى أو التلفاز» يقول (أع)، وهذا ما أوضحه كذلك البحث الوطني حول استعمال الزمن في المغرب حيث خلص البحث إلى أن المغاربة يقضون في المتوسط ساعتين و14 دقيقة يوميا أي ما يعادل 33,6% من زمتهم الحر في مشاهدة التلفاز ولا تمثل الرياضة والقراءة سوى دقيقتين لكل منهما وهذا ما يؤثر على الأطفال كذلك حيث يقضون ما يعادل 3 ساعات من يومهم في مشاهدة التلفاز أي ما نسبته 43,6% من وقتهم الحر، بينما تمثل القراءة 0,3% أي دقيقة واحدة للمطالعة. إن تراجع معدلات القراءة عند الكبار وكذلك الأطفال يعني تراجع دور النشر وإقبال دور السينما والمسارح مما يجعل الوقت الحر وقتا سلبيا و فارغا من المعنى ومن الوظائف التي وجد من أجلها (الاسترخاء التسلية وتطوير الشخصية بالمعرفة والمشاركة الاجتماعية). إن تطوير الوقت الحر حسب «فريدمن»³ يجعل من الترفيه قيمة ثقافية بالمعنى الشامل للكلمة إذا اهتمت المؤسسات السياسية بالقطاع الثقافي. ناذرا ما نجد أنشطة ترفيهية ذات معنى ولها أبعاد ثقافية منفتحة على المجتمع بل تبقى أنشطة منغلقة على أصحابها مما لا يسمح لها بلعب دور الانفتاح على الغير والاطلاع على مشاكل المجتمع.

¹ - "الحكرة" تعني الاحتقار من لدن الآخرين.

² - انظر البحث على الرابط : [http://aujourd'hui.ma/focus/le-voyage-un-loisir-toujours-pas-enracine-dans-les-moeurs-des->](http://aujourd'hui.ma/focus/le-voyage-un-loisir-toujours-pas-enracine-dans-les-moeurs-des-)

marocains-enquete-42077، المجلة لم تشر إلى الجهة التي أنجزت البحث.

³ - TBOUL René : Op.cit.p.57.

خلاصة :

لقد أنتج التطور التقني حقيقة اجتماعية ألا وهي وقت الفراغ الذي غالبا ما نقابله بالشغل فنظن أنه وقت فقط للراحة من تعب هذا الأخير، لكن من خلال الدراسة اتضح أن هذه الفكرة لم تعد صالحة في مجتمعنا خاصة الحضري، فلم يعد الترفيه ظاهرة معزولة عن السياق الاجتماعي للمجتمع بل بالعكس غدا ظاهرة تبين باقي مؤسسات الاجتماعية من أسرة ومدرسة ومؤسسة الشغل وكذلك الفضاء العام . إن تدبير الوقت الحر يعود بالأساس إلى المؤسسات الاجتماعية الأساسية من أسرة ومدرسة التي يغيب عن برامجها هذا الزمن المهم في حياة المتعلمين، كما تغيب الدراسات التي تبحث في المعنى الذي يعطونه لهذا الوقت و الترابطات التي يقيمونها بين وقت الدراسة ووقت العائلة والوقت الحر، ألا يمكن لمثل هذه الدراسات أن تساهم في تطوير المنظومة التعليمية في المغرب؟ ألا يمكن للوقت الحر أن يصبح ضد المجتمع إذا استمر تغييبه عن البرامج التعليمية وعن البرامج السياسية والثقافية؟

كما تبين من البحث أن وقت الفراغ كجميع الموارد فهو غير موزع توزيعا عادلا بين فئات المجتمع فهو يتأثر بالرأسمال المادي والثقافي للأفراد وكذلك التنشئة الاجتماعية، وأصبح علامة للانتماء إلى فئة معينة، كما غدا شكل جديدا للاستلاب بعدما كان الشغل كذلك، حيث فرض مجتمع الاستهلاك والمظاهر نمطا للترفيه على الأفراد من خلال الإعلام والإشهار فلم يعد الفرد يختار أنشطة الترفيه التي أصبحت منمطة تنفي شخصية الفرد وحرته كما تتميز بكونها أنشطة دون معنى تنحوا نحو الترفيه السليبي تغلب عليها مشاهدة التلفاز والجلوس على المقاهي.

يعتبر هذا البحث محاولة لتسليط الضوء على طريقة تدبير وقت الفراغ من طرف حالة مدرس بالثانوي الإعدادي بمدينة المحمدية (المغربية)، بالرغم من أنه أجاب على بعض الأسئلة التي تخص هذا المشكل من مثل غياب التربية على تدبير وقت الفراغ من طرف مؤسسات التنشئة الاجتماعية و صعوبة تدبير هذا الزمن من طرف المدرس نظرا لتدني الأجرة وضعف في المنشآت الترفيهية الخاصة بهذه الفئة إلا انه يصعب تعميم نتائجه خاصة وأن المدرسين تختلف وضعيتهم المادية حسب ترتيبهم في السلم والمادة المدرسة وسلك التدريس وكذلك النوع الاجتماعي. لكن يمكن الجزم بأن هذا الزمن الاجتماعي مازال غير مهتم به من طرف الأسرة والمدرسة كما أن هناك قصور من طرف الدولة في توفير فضاءات ترفيهية لفئة المدرسين.

إن إعطاء الأهمية لهذا الزمن الاجتماعي أصبح ضروريا من طرف الدولة وذلك بتوفير منشآت ترفيهية خاصة بفئة المدرسين و إدراج مبالغ مالية في الأجرة خاصة بالأنشطة الترفيهية (الرياضة-القراءة...). يجب على الوزارة الوصية على قطاع التعليم العمل على جعل المدرسة فضاء للترفيه للمتعلمين والمدرسين معا لقضاء وقت الفراغ وذلك بتوفير أنشطة ترفيهية (المسرح، الرياضة، الرسم...) ودعم الأندية التربوية داخل المؤسسات التعليمية. يجب على جمعيات المجتمع المدني ودور الشباب إدراج الأنشطة الترفيهية في برامجها، كما يجب على المنعشين العقاريين الاهتمام بتوفير فضاءات الترفيه في الأحياء التي يشيدونها.

قائمة المراجع:

- 1- الزين عبد الفتاح: سوسيولوجيا الوقت الحر والتنشيط الثقافي، منشورات قافلة الكتاب، الرباط، 1999، 95 صفحة.
- 2- بنعبد العالي عبد السلام: البوب- فلسفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2015، 159 صفحة.

3- "ريفكن جيرمي": نهاية العمل، (ترجمة: خليل راشد الجيوسي)، دار الفرابي، بيروت، 2009، 453 صفحة.

4- وزارة التربية الوطنية المغربية، دليل الحياة المدرسية، منشورات ادكل، الرباط، دجنبر 2008، 175 صفحة.

5- BUSCH Marie-Charlotte : la sociologie du temps libre, paris : Mouton, 1975, 411p.

6- BAUDRILLARD Jean : la société de consommation éditions Denoël, paris , 1970, 317p, (collection FOLIO/ESSAIS).

7- FRIEDMANN Georges : « le loisir et la civilisation, technicienne », Revue internationale des sciences sociales, 1960, volume 7, N°4, pp.551-563.

8- TEBOUL René : culture et loisirs dans la société du temps libre, édition de l'aube, paris, Mai 2004, 207p, (la collection monde en cours).

9- دراسة الزين عبد الفتاح على الرابط : <http://www.association-oeuvres-sociales-commune-agadir.com/wp-content/uploads/2010/09/alwakt-lhor.doc>

10- موقع وزارة الاقتصاد والمالية وإصلاح الإدارة <https://www.mmsp.gov.ma/ar/decline.aspx?m=8&r=52>

11- موقع مؤسسة محمد السادس للنهوض بالأعمال الاجتماعية للتربية والتكوين:

< <http://www.fm6education.ma/portal/index.php?pa=26&p=83> >

12- موقع المندوبية السامية للتخطيط: < <http://www.hcp.ma/file/183550> >

13- جريدة: Aujourd'hui.ma: <http://aujourd'hui.ma/focus/le-voyage-un-loisir-toujours-pas-enracine-dans-les-moeurs-des-marocains-enquete-42077>

14- Abdel-Malek Anouar : « La sociologie du « temps libre » et le devenir de l'homme Thèses préliminaires». In: *L'Homme et la société*, N. 4, 1967. pp. 153-164.[en ligne] <www.persee.fr/doc/homso_0018-4306_1967_num_4_1_1033>

15- Aurélie Gonnet : « Claude Javeau, *Des impostures sociologiques* », *Lectures* [En ligne], Les comptes rendus, 2014, mis en ligne le 02 avril 2014, consulté le 29 avril 2017. URL : <<http://lectures.revues.org/14236>>

16- COULANGEON Philippe : « loisirs », Encyclopedia Universalis [en ligne], consulté le 27 avril 2017. URL : <<http://www.universalis.fr/encyclopedie/loisirs/>>

17- Extrait de : Sue, Roger : Temps et ordre social - Sociologie des temps sociaux, Paris, Presses Universitaires de France, 1995 (2ème édition), 313 pages, pp. 11-32.

[Enligne] <http://classiques.uqac.ca/collection_methodologie/sue_roger/sue_roger.html>

18- CAZENEUVE Jean, « Dumazedier Joffre, Vers une civilisation du loisir ? ». In: Revue française de sociologie, 1962, 3-4, pp.455-456,

[en ligne], < http://www.persee.fr/doc/rfsoc_0035-2969_1962_num_3_4_6151 >

19- Fiche de lecture sur « vers une civilisation du loisirs » [En ligne]

< storage.canalblog.com/17/51/230993/9298529 > .

تحليل محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي بالسودان في ضوء معايير العلوم للجيل القادم NGSS
Analyzing the content of the chemistry textbook for the second year of secondary school in Sudan in light of NGSS

د. أبكر يعقوب آدم لقمان ♦ أ. سيف الدين إدريس أونيا/ جامعة الخرطوم، السودان

Dr. Abaker Yagoub Adam & Saif aldin Idris Onia/ University of Khartoum, Sudan

Abstract:

The study aimed to analyze the content of the textbook of chemistry for the second year of secondary in Sudan in the light of next generation science standards (NGSS). The study sample was represented in the textbook of chemistry for the second year of secondary school edition 2017-2018. The researchers used the descriptive analytical approach through the card analysis of the content of the textbook of chemistry for the second year of secondary in light of the list of NGSS.

The results showed that a list of NGSS standards that should be available in the content of chemistry textbook for the second secondary class was prepared, and also all the main dimensions of the NGSS standards were included repeatedly (241) times, distributed along the dimension of main ideas repeatedly (102) with (42.3%), the scientific and engineering practices (88) times by (36.5%), and the comprehensive concepts by repeating (51) times with (21.2%). The study came out with some recommendations: Reconsidering the content of the chemistry textbook for the second secondary class, by including the NGSS standards in it, and directing the attention of officials in the Ministry of Education to the importance of the NGSS standards, and the necessity of observing them when designing science curricula at the secondary school.

Key words: NGSS standards, content analysis, chemistry textbook for the second year of secondary school

ملخص:

هدفت الدراسة إلى تحليل محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي بالسودان في ضوء معايير العلوم للجيل القادم NGSS، تمثلت عينة الدراسة في كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي طبعة 2017-2018م، استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي من خلال بطاقة تحليل محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي في ضوء قائمة معايير العلوم للجيل القادم NGSS، وأظهرت النتائج أنه تم إعداد قائمة بمعايير NGSS التي ينبغي ان تتوافر في محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي، وأيضاً تم تضمين جميع الأبعاد الرئيسية لمعايير NGSS بتكرار (241) مرة، توزعت على بعد الأفكار الرئيسية بتكرار (102) مرة وبنسبة (42,3%)، وبعد الممارسات العلمية والهندسية بتكرار (88) مرة وبنسبة (36,5%)، وبعد المفاهيم الشاملة بتكرار (51) مرة وبنسبة (21,2%)، وخرجت الدراسة ببعض التوصيات، منها: إعادة النظر في محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي، وذلك بتضمين معايير NGSS فيه، وتوجيه عناية المسؤولين في وزارة التربية والتعليم إلى أهمية معايير NGSS، وضرورة مراعاتها عند تصميم مناهج العلوم بالمرحلة الثانوية.

الكلمات المفتاحية: معايير NGSS، تحليل المحتوى، كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي.

مقدمة:

يشهد عصرنا الحالي تطوراً متسارعاً في كافة المجالات، مما أدى إلى إحداث ثورة هائلة في حياة الإنسان، فأصبح ينظر للحياة بنظرة أكثر اتساعاً وتعمقاً، وأكثر إدراكاً لما يحدث حوله من مشكلات وقضايا مستحدثة، مما يُشكّل دافعاً لكثير من الدول لكي تواكب التطور والتقدم الحاصل، خاصة في مجال العلم والمعرفة، فبالعلم تهض الأمم وتبنى الحضارات وتنتج جيلاً واعياً قادراً على حل المشكلات بطرق إبداعية ومبتكرة، لذلك كان من الواجب على سياسة وأنظمة الدول إعادة النظر في مناهجنا الدراسية، حيث أصبح من الواضح أنه من أراد مواكبة التطور العلمي والتكنولوجي فعليه أن يعيد النظر في نظامه التربوي من خلال تطوير المناهج حتى يصل لأعلى درجات التطور العلمي والتكنولوجي¹. ولأن التطور الذي نسعى إليه لا يمكن أن يحدث بشكل عشوائي، فقد اتجه المصلحون وصانعي القرار إلى الاهتمام بالتربية والمناهج الدراسية، حيث تمثل مهمة التربية في نقل الثقافة إلى أبنائها من جيل إلى جيل من خلال المنهاج، ولا يتم ذلك بمعزل عن بقية مؤسسات المجتمع الأخرى والتي تلعب دوراً مهماً في تسهيل مهمة المدرسة في القيام بالدور المناط بها في تحقيق الأهداف لدى الطلاب، فإن طبيعة الحياة، وزيادة المعارف، والتضخم الكبير في العلوم بشكل عام جعل من الصعب القيام بهذه المهمة دون غض الطرف عن المؤسسات الاجتماعية الأخرى².

¹. عبيد عامر أهل: مدى تضمين محتوى كتب العلوم والحياة للمرحلة الأساسية في فلسطين لمعايير العلوم للجيل القادم، رسالة ماجستير، كلية التربية- الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2019م.

². حامد حامد طلاحفة: المناهج تخطيطها تطويرها تنفيذها. ط1، عمان، الرضوان للنشر والتوزيع، 2013م.

ويُعد الكتاب المدرسي الترجمة الفعلية والوثيقة الرسمية للمناهج التعليمية، وأهم مصدر تعليمي للمتعلم والمعلم لما له من قيمة تربوية، لذا كان لابد من اختيار مكوناته بعناية فائقة لتحقيق الأهداف التربوية المأمولة منه¹. ولقد شهدت السنوات الماضية اهتماماً كبيراً لتطوير مناهج العلوم على المستوى الدولي والمحلي، لتقليل الفجوة بين التقدم العلمي والتكنولوجي وبين تعليم العلوم، حيث أن الأبحاث والدراسات العلمية تقدم كل يوم الجديد الذي يحتم على الأنظمة التعليمية استيعابها والاستفادة منها².

ومن أجل تطوير مناهج العلوم فقد تم تنفيذ الكثير من المشروعات العالمية، منها على سبيل المثال: حركة إصلاح مناهج العلوم في ضوء التفاعل بين العلم والتقنية والمجتمع (Science Technology and Society STS) ومشروع (2061) للجمعية الأمريكية لتقدم العلوم (American Association for the Advancement of Science AAAS) ومشروع المعايير القومية للتربية العلمية (National Science Education Standards NSES) وأخيراً قام المركز القومي للبحوث في الولايات المتحدة (NRC, National Research Council) مع عدد من الهيئات والمؤسسات مثل: الأكاديمية الوطنية للعلوم (National Academy of Science NAS) والجمعية القومية لمعلمي العلوم (National Science Teachers Association NSTA) ومنظمة (Achieve) ببناء معايير العلوم للجيل القادم (Next Generation science Standards NGSS) والتي تم اعتمادها في عام (2013م)³.

وفي ضوء ما سبق ومن خلال اطلاع الباحثان على الأدب التربوي المنشور في هذا المجال والدراسات السابقة وفي ضوء الأهمية المعطاة لمشاريع إصلاح العلوم وأهمية تضمين كتب العلوم لمعايير العلوم للجيل القادم NGSS خاصة في المرحلة الثانوية، تسعى هذه الدراسة إلى تحليل محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي بالسودان في ضوء معايير العلوم للجيل القادم NGSS. مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

أكدت العديد من المؤتمرات كالمؤتمر العلمي الحادي والعشرون للجمعية المصرية للمناهج (2009م) والمؤتمر العلمي الدولي الثاني للجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس (2014م) والمؤتمر الدولي الأول للمناهج في السودان (2015م) ومؤتمر التطوير التربوي في الأردن (2015م)، على ضرورة تطوير مناهج العلوم في الوطن العربي ومعالجة النقص فيها، فالمناهج الحالية غير قادرة على إعداد متعلمين للقرن الحادي والعشرين، إذ أنها ما زالت بعيدة عن الاتجاهات العالمية المعاصرة لتعليم العلوم؛ وجاءت نتائج الدراسات التربوية في العالم العربي كدراسة الأحمد والبقعي (2017م)، دراسة العتيبي والجبر (2017م)، ودراسة آل كاسي وحكي (2017م)، ودراسة الربيعان وآل حمامة (2017م)، دراسة أهل (2019م)، إلى ضرورة مراعاة الاتجاهات الحديثة المعاصرة في مناهج العلوم الحالية ومعالجة نواحي الضعف من أجل إعداد المتعلمين لخدمة مجتمعاتهم، وانطلاقاً

1. محمد الخوالدة: أسس بناء المناهج التربوية وتصميم الكتاب التعليمي، عمان، دار المسيرة، الأردن، 2005م..

2. وفاء الربيعان، و عبير آل حمامة: تحليل محتوى كتب العلوم للصف الأول متوسط في المملكة العربية السعودية في ضوء معايير NGSS. المجلة الدولية التربوية المتخصصة. 6(11)، 2017م، ص 94-108.

3. جبر الجبر، و غالب العتيبي: مدى تضمين معايير الجيل القادم (NGSS) في وحدة الطاقة بكتب العلوم بالمملكة العربية السعودية. مؤتمر التميز في تعليم وتعلم العلوم والرياضيات الثاني (ص10-20). الرياض، جامعة الملك سعود، 2017م.

مما سبق فإن الدراسة الحالية تسعى إلى تحليل محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي في السودان، للكشف عن مدى تضمينه لمعايير العلوم للجيل القادم (NGSS).

أسئلة الدراسة: تسعى الدراسة الحالية للإجابة على الأسئلة التالية

1. ما معايير العلوم للجيل القادم (NGSS) الواجب توافرها في محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي في السودان؟
2. ما مدى تضمين محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي في السودان لمعايير العلوم للجيل القادم (NGSS)؟

أهداف الدراسة:

1. التعرف على معايير العلوم للجيل القادم (NGSS) الواجب توافرها في محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي في السودان.
2. الكشف على مدى تضمين محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي في السودان لمعايير العلوم للجيل القادم (NGSS).

أهمية الدراسة:

1. تسهم هذه الدراسة في تسليط الضوء على مدى تضمين محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي في السودان لمعايير العلوم للجيل القادم (NGSS) وبالتالي الوقوف على قربها أو بعدها من الإتجاهات العالمية الحديثة في تصميم المنهاج.
2. تأتي هذه الدراسة استجابة للاتجاهات العالمية والتوصيات والمؤتمرات التي دعت إلى التحليل المستمر للمناهج السودانية المطورة بهدف التعرف على مدى جودتها.
3. كما تعد هذه الدراسة رائدة في مجالها؛ لأن معايير العلوم للجيل القادم (NGSS) أصدرت واعتمدت مؤخراً في الولايات المتحدة الأمريكية.
4. قد تساعد هذه الدراسة معلمي وموجهي ومشرفي ومخططي مناهج العلوم في الإلمام بمعايير العلوم للجيل القادم (NGSS).
5. تعد هذه الدراسة إضافة للبحث العلمي في مجال تدريس العلوم، خاصة وان هذه الدراسة تعد أول دراسة في السودان في ضوء معايير NGSS.

حدود الدراسة:

1. الحدود الموضوعية: اقتصرت الحدود الموضوعية للدراسة على تحليل محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي في السودان في ضوء معايير العلوم للجيل القادم (NGSS).
2. الحدود الزمانية: تم تطبيق الدراسة خلال العام الدراسي 2019-2020م.

مصطلحات الدراسة:

1. تحليل المحتوى:

اصطلاحاً: هو مجموعة الأساليب والإجراءات الفنية التي صممت لتفسير المادة الدراسية وتصنيفها بما فيها النصوص المكتوبة والرسومات والصور والأفكار المتضمنة في الكتاب أو المنهاج¹.

¹. محمد العبري: تحليل المحتوى تعريفه وأهميته وخطواته، مجلة التطوير التربوي، 7(48)، 2009م، ص 38-39.

إجرائياً: هو الأسلوب الذي يعطي وصفاً كيمياً وموضوعياً في ضوء معايير العلوم للجيل القادم (NGSS) لمعرفة مدى تضمينها في محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي.

2. كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي: يقصد به في هذه الدراسة الكتاب الذي يدرس حالياً بالصف الثاني بالمرحلة الثانوية السودانية الطبعة الجديدة المطورة 2017م.

3. المعايير (Standards):

اصطلاحاً: هي مجموعة من الآراء ذات البعد السيكولوجي والاجتماعي والعلمي والتربوي، يمكن من خلال تطبيقها، التعرف على حقيقة الموضوع المراد تحليله وتقويمه للوصول إلى حكم نهائي بشأنه¹.

إجرائياً: هي مجموعة من المواصفات التي ينبغي توافرها في محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي، ليكون المنهج بجودة عالية تصل إلى العالمية.

4. معايير العلوم للجيل القادم NGSS:

اصطلاحاً: هي معايير جديدة لتعليم العلوم، وضعت بحيث تكون غنية في المحتوى والممارسة، ورتبت بطريقة متماسكة في مختلف التخصصات والدرجات لتوفير تعليم العلوم لجميع الطلاب وتحقيق رؤية للتعليم في مجال العلوم والهندسة².

إجرائياً: هي الحد الأدنى من المعارف والمهارات التي ينبغي أن تتوفر في محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي في السودان في ضوء الأدوار الجديدة التي تفرضها علينا متطلبات العصر لتقديم رؤية جديدة لتدريس العلوم والتي تكونت من تكامل أبعاد هي: (الأفكار الرئيسة، الممارسات العلمية والهندسية، المفاهيم الشاملة المتداخلة). وتقاس في هذه الدراسة من خلال قائمة معايير مكونة لبطاقة تحليل المحتوى المعدة خصيصاً لهذه الغاية.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

الإطار النظري للدراسة:

تعد حركة المعايير من أبرز التوجهات الحديثة والمستجدات التربوية في مجال التقويم. فقد انتشرت مؤخراً كثقافة وفلسفة انتشاراً واسعاً، وحظيت بقبول وتفاعل من قبل المختصين في مجال التربية والتعليم على المستوى العالمي حتى أصبحت سمة العصر³. وتشير الدراسات إلى الأهمية الكبيرة التي تضطلع بها المعايير في مجال تعليم العلوم، فقد أكد حيدر (2004م) أن الأخذ بالمعايير التربوية يمكن أن يساعد على تحسين التحصيل الدراسي للمتعلمين، ويبرز ذلك بأن المعايير التربوية تحدد ما يجب تدريسه تحديداً واضحاً، وتحدد ما يجب على المتعلمين أدائه، وتحقق مفهوم المساءلة لدى القائمين على العمليات التعليمية التعليمية، وتوحد نواتج التعلم، وهذا الدور الذي تؤديه المعايير من تحديد جوانب العملية التعليمية، هو ما أكده

¹. أحمد اللقاني، و علي الجمل: معجم المصطلحات التربوية المعرفية في المناهج وطرق التدريس. ط3، القاهرة، عالم الكتب، 2003م.

². National Research Council (NRC): A Framework for K-12 Science Education: Practices Crosscutting Concepts, and Core Ideas. Washington, DC: The National Academies Press 2012.

³. جبر الجبر، و غالب العتيبي: مرجع سابق، 2017م.

خطابيه (2005م) بأن المعايير تصف المحتوى المهم في العلوم الذي يجب تعلمه والأساليب التدريسية وحاجات التطور المهنية للمعلمين وتقنيات التعليم التي يجب استخدامها لإبراز التقدم.

وفي هذا الاتجاه يشير زيتون (2010م) وطالب (2009م)، والطنائوي (2005م)، ومحمود (2005م) إلى أن المعايير تهتم بتلبية حاجات الطلاب من معرفة وممارسة ومهارة؛ لكي يكونوا مثقفين علمياً في مراحل التعليم المختلفة، كما توفر محكات للحكم على جودة ونوعية البرامج التي تزود الطلاب بفرص تعلم العلوم، وجودة تدريس العلوم وما يستطيعون فعله، وكذلك جودة الممارسات التدريسية والتقويمية والسياسات ذات العلاقة لتعلم وتعليم العلوم.

مشاريع تعليم العلوم:

تعددت وتنوعت حركات الإصلاح والتطوير بشكل متتابع خلال عدة عقود، إذ يشير زيتون (2004م) إلى صدور أكثر من (300) تقرير منذ بداية عقد الثمانينات الميلادية هدفت إلى إعادة صياغة مناهج العلوم وإصلاحها بما يتماشى مع التطور العلمي والتكنولوجي من أجل تحقيق الثقافة العلمية كهدف رئيس للتربية العلمية. وقد حدد علي (2009م) وزيتون (2010م) عدة حركات معاصرة لإصلاح التربية العلمية ومناهج العلوم وتدريبها. ومن أهم هذه الحركات: حركة العلم والتقنية والمجتمع (STS)، ومشروع العلم لكل الأمريكيين (AAAS 2061) ومشروع المجال والتتابع والتناسق (SS&C)، والمعايير القومية للتربية العلمية (NSES)، وأخيراً معايير العلوم للجيل القادم (NGSS).

أولاً: حركة العلم والتقنية والمجتمع (Science Technology and Society STS)

تعد حركة التفاعل بين العلم والتقنية والمجتمع أكثر حركات إصلاح مناهج العلوم وتطوير محتواها سعياً لتحقيق الثقافة العلمية، وقد ظهرت هذه الحركة نتيجة الانتقادات التي وجهت إلى مناهج العلوم في الخمسينات والستينات الميلادية وهي: عدم تركيزها على العلاقة المتبادلة بين العلم والتكنولوجيا، وعدم إظهار الجانب الاجتماعي للعلم، وظهور قضايا ومشكلات ذات صبغة علمية وتكنولوجية اتخذت طابعاً محلياً وعالمياً، ووجود تعارض بين محتوى مناهج العلوم في المدارس و(90%) ما يحتاج إليه الطلاب¹.

ثانياً: مشروع (2061) العلم لكل الأمريكيين (Science for Americans)

قدمت الرابطة الأمريكية للتقدم العلمي (AAAS) مبادرة لتحسين تعلم العلوم تمثلت في مشروع (2061) ويذكر علي (2009م) بأن هذا المشروع يقدم رؤية بعيدة المدى للإصلاح التربوي في العلوم إذ تمثل الثقافة العلمية الأساس في إعادة بناء مقاصد التربية العلمية من رياض الأطفال حتى نهاية المرحلة الثانوية، ويؤكد محتوى التعليم في مشروع (2061) عدة مبادئ أهمها كما أشار² ما يأتي:

1. تشجيع التعليم التعاوني، وحب الاستطلاع، واستخدام التفكير الناقد.

¹. جبر الجبر، و غالب العتيبي: مرجع سابق، 2017م.

². يحيى علي فقهيبي: أين موقعنا منها؟ برامج إصلاح تعليم العلوم العالمية. مجلة المعرفة، (146)، 2010.

2. الترابط والتواصل بين محتوى العلوم للمراحل الدراسية المختلفة.

3. اعتماد الاستقصاء العلمي كجزء من طبيعة العلم.

4. اكتساب المتعلم المعرفة والمهارات الضرورية للتعامل بفاعلية مع القضايا الاجتماعية.

5. الفهم من خلال استخدام منهجية البحث العلمي.

6. الاهتمام بخصائص المتعلم مع وضع محتوى يتناسب وهذه الخصائص.

7. النظرة التكاملية بين العلوم المختلفة.

وتكوّن المشروع من ثلاث مراحل، كما يشير كُُل من: زيتون(2010م) وعلي(2009م)، بأن المرحلة الأولى حُدّدت فيها المعرفة والمهارات والاتجاهات العلمية التي ينبغي لكل الطلاب اكتسابها من خلال التربية المدرسية، في حين ركزت المرحلة الثانية على ترجمة توصيات المرحلة الأولى إلى خطط العمل، ووضع نماذج عديدة للمنهج، والمرحلة الثالثة وهي مرحلة التنفيذ، وفيها تنفيذ مخرجات المرحلتين الأولى والثانية على نطاق واسع، بغية رفع مستوى ونوعية التعليم في العلوم والرياضيات والتكنولوجيا كمحور أساسي للثقافة العلمية وأبعادها.

ثالثاً: حركة المعايير القومية للتربية العلمية (National science Education Standards NSES):

تعد حركة المعايير القومية للتربية العلمية في الولايات المتحدة الأمريكية أقدم وإبرز مشروعات بناء المعايير التربوية على المستوى العالمي، ويشير كل من الشعلي والمزيدي(2009م) إلى أن هذه المعايير اشتقت من مشروع 2061، وأنها تركز على المبادئ والأسس الآتية: العلم لجميع الطلاب، وتعليم العلوم عملية نشطة، وكذلك التقاليد الفكرية والثقافية التي تميز الممارسات المعاصرة للعلوم تعكسها العلوم الدراسية، وإصلاح التربية العلمية جزء من إصلاح النظام التربوي عموماً.

رابعاً: معايير العلوم للجيل القادم (Next Generation Science Standards NGSS):

وضع المركز القومي للبحوث(NRC) في الولايات المتحدة الأمريكية عام 2011م إطاراً مفاهيمياً عاماً للمعايير العلمية من مرحلة رياض الأطفال إلى الصف الثالث الثانوي(K-12) وقد بُني هذا الإطار على أساس قوي من الدراسات السابقة والبحوث التي تحدد الأفكار الرئيسة لتعليم العلوم، ويعدّ هذا الإطار الخطوة الأولى لظهور المعايير الجديدة عام 2013م¹. وكان الهدف الأبرز لإطار العلوم والهندسة هو ضمان أن يكون جميع الطلاب في نهاية المرحلة الثانوية يملكون المعرفة الكافية في العلوم والهندسة، بالإضافة إلى امتلاكهم المهارات اللازمة لدخول المهن التي يختارونها، بما في ذلك وظائف في مجال العلوم والهندسة والتكنولوجيا². وقد تمت ترجمة إطار العلوم والهندسة والذي نشر في 2011 إلى قائمة معايير متسقة عبر التخصصات والصفوف الدراسية متكاملة وغنية بالمحتوى والتطبيق سميت بمعايير العلوم للجيل القادم(NGSS)، ويعد هذا الإطار الأساس الذي بنيت عليه المعايير المحدثة³.

¹.Next generation science standards NGSS(2013): Retrieved January 26, 2019, from: <https://www.nextgenscience.org/>.

². NGSS Lead State:Next generation science standard: for states.By states. Washington: the National Academies press,2013.

³. NGSS: مرجع سابق، 2013.

وقد تُر تطوير معايير العلوم للجيل القادم بعدة مراحل، وهي كما أشار لها موقع معايير العلوم للجيل القادم¹، تحديد الولايات المشاركة في تطبيق المعايير (26) ولاية في صيف 2011م، ثم بعد ذلك تم إصدار المسودة الأولى في خريف 2011م، وتم مراجعتها من فريق الكتابة، تم تقديم ملاحظات على المسودة الأولى من فريق آخر، وفي يونيو من عام 2012م تم إصدار المسودة العامة الأولى ونشرها على الإنترنت لاستقبال الملاحظات عليها، ومن ثم في شهر يناير من عام 2013م تم إصدار المسودة العامة الثانية وتم نشرها على الإنترنت لاستقبال الملاحظات، وبعد ذلك تم إصدار المسودة الأخيرة بعد مراجعتها، وفي أبريل من عام 2013م تم اعتماد هذه المعايير².

يشير المركز القومي للبحوث³ إلى عددٍ من المبادئ التي تقوم عليها معايير (NGSS)، وهي:

1. يجب أن يعكس إطار (K-12) من الروضة إلى الصف الثالث الثانوي في التربية العلمية طبيعة العلوم المترابطة كما تمارس في العالم الطبيعي.
 2. تمثل المعايير توقعات أداء الطلاب وليس المنهج.
 3. مفاهيم العلوم في NGSS بناء متماسك من التمهيد حتى الصف الثالث الثانوي.
 4. تركز المعايير على فهم أعمق للمحتوى فضلاً عن تطبيق المحتوى.
 5. التكامل بين العلوم والهندسة من المرحلة التمهيدية حتى الصف الثالث الثانوي.
 6. يهدف تصميم المعايير لإعداد الطلاب للكلية، ولحياتهم المهنية، وإعدادهم كمواطنين.
 7. العمل مع المعايير الأساسية المشتركة لتسهيل التعليم والتعلم المتكامل ودعم عملية تعلم الطالب.
- وتتضمن معايير (NGSS) ثلاثة مرتكزات رئيسية هي كما أشار لها موقع معايير العلوم للجيل القادم⁴:

1. الممارسات العلمية والهندسية: فالممارسات العلمية هي تلك التي يستخدمها العلماء في بناء النماذج أو التحقق من النظريات عن العالم، وانخراط الطلاب في مثل هذه الممارسات يساعدهم على فهم تطور المعرفة العلمية. أما الممارسات الهندسية فهي التي يستخدمها المهندسون في بناء وتصميم الأنظمة، والانخراط في الممارسات الهندسية يساعدهم على فهم عمل المهندسين.
 2. الأفكار الرئيسية: تهدف إلى تزويد الطالب بالمعرفة الأساسية الكافية – وليس لتعليم كل الحقائق – بحيث يمكنهم الحصول على معلومات إضافية في وقت لاحق من تلقاء أنفسهم، وتركز على مجموعة محددة من الأفكار في مجال العلوم والهندسة. وتنقسم الأفكار الرئيسية إلى: علوم الحياة، والعلوم الفيزيائية، وعلوم الأرض، والفضاء، والهندسة، والتكنولوجيا.
 3. المفاهيم الشاملة (المتداخلة): وهي طريقة واحدة لربط الأفكار الرئيسية وانضباطها نفس الموضوعات العلمية التي تظهر في جميع التخصصات العلمية؛ مما يمكن الطالب من تطوير فهم تراكمي ومتناسك يمكن استخدامه في العلوم والهندسة.
- الدراسات السابقة:

¹. NGSS: مرجع سابق، 2013.

². جبر الجبر، و غالب العتيبي: مرجع سابق، 2017.

³. National Research Council (NRC): A Framework for K-12 Science Education: Practices Crosscutting Concepts, and Core Ideas.

Washington, DC: The National Academies Press, 2012.

⁴. NGSS: مرجع سابق، 2013.

بالاطلاع على الدراسات السابقة، تبين وجود عدد من هذه الدراسات التي تناولت معايير العلوم للجيل القادم (NGSS)، منها: دراسة¹ هدفت إلى الكشف عن قدرة طلبة المرحلة المتوسطة في أمريكا على تطبيق معايير (NGSS) وتعلمهم سبل التكامل بين الأبعاد الثلاثة لهذه المعايير (الأفكار التخصصية، الممارسات العلمية والهندسية، المفاهيم الشاملة)، تكونت العينة من (17) طالباً وطالبة. واستخدمت الدراسة بطاقة ملاحظة ملاحظة أداء الطلبة، بينت النتائج قدرة الطلبة جميعهم وبدرجات متفاوتة على بناء نماذج لموضوعات العلوم وتطويرها، كما بينت أيضاً قدرتهم على تطوير أنفسهم من خلال تكامل عمل الأبعاد الثلاثة للمعايير.

أما دراسة² فهدفت إلى الكشف عن مدى قدرة معلمي العلوم على ممارسة الممارسات العلمية والهندسية في تدريسهم، تكونت العينة من (7) معلمي علوم في مدارس المرحلة المتوسطة في ولاية كاليفورنيا، واستخدمت الدراسة المقابلة كأداة لجمع البيانات، بالإضافة إلى الاستبانة وبطاقة الملاحظة. تم التركيز على الكشف عن مدى تنوع الأهداف التي يغطيها هؤلاء المعلمين ومدى تنوع الاستراتيجيات المتبعة لتحقيق الأهداف المتمثلة في تحقيق رؤية (NGSS). بينت النتائج وجود تفاوت في قدرة المعلمين على استخدام هذه الاستراتيجيات، وخاصة فيما يتعلق بتحقيق البعد الثاني من أبعاد المعايير وهذا الفهم انعكس أيضاً على تفاوت في مدى قدرتهم على الموازنة بين الأهداف والمعايير (NGSS). وهدفت دراسة³ لمعرفة تأثير دمج معايير الممارسات العلمية على دافعية التلاميذ وفهم محتوى مقرر الأحياء للمرحلة الثانوية في الولايات المتحدة الأمريكية، واستخدم الباحث المنهج التجريبي والمنهج الوصفي المسحي، وكانت الأداة اختبار تحصيلي لمجموعتين ضابطة وتجريبية بالإضافة إلى استبانة ومقابلات شخصية، وكان مجتمع الدراسة طلاب المرحلة الثانوية والعينة هي 17 طالب، أظهرت النتائج أثر الممارسات العلمية لمعايير (NGSS) في تحسين فهم الطلبة لمفاهيم الأحياء وفي رفع الدافعية والمشاركة للتعلم والتعليم.

وهدفت دراسة⁴ إلى تحليل محتوى كتب الفيزياء في المملكة العربية السعودية في ضوء معايير العلوم للجيل القادم (NGSS). حيث استخدم المنهج الوصفي التحليلي، بأداة لتحليل كتب الفيزياء في ضوء NGSS في بعد الطاقة التابع لمعايير العلوم الفيزيائية، وذلك في مرتكزات: (الأفكار الرئيسة، الممارسات العلمية والهندسية، المفاهيم الشاملة- المتداخلة). توصلت الدراسة إلى: تحقق المرتكزات الرئيسة في كتب الفيزياء للمرحلة الثانوية، بنسبة تضمين منخفضة بلغت (33.33%)، وتركزت في محتوى منهاج الفيزياء للصف الثاني الثانوي في الفصل الأول، ويمثل مرتكز الأفكار الرئيسة الأكثر توافراً في المحتوى بنسبة تضمين متوسطة بلغت (51.9%)، وجاء مرتكز المفاهيم الشاملة ثانياً بنسبة تضمين منخفضة بلغت (31.1%)، وجاء مرتكز الممارسات

¹ .Fick, S: Middle school students' opportunities for integrating science standards focused curricular unit. Unpublished dissertation, university of Michigan, 2014.

² .Kawasaki, J: Examining teachers' goals classroom instruction around the science and engineering practices in the next generation science standards. Unpublished dissertation university of California, 2015.

³ .Arnow, L: Science curriculum development with next generation standards meeting the needs of in-service teachers. Unpublished master thesis, California state University Monterey Bay, 2015.

⁴ . نضال الأحمد، ، و مها البقي: تحليل محتوى كتب الفيزياء في المملكة العربية السعودية في ضوء معايير العلوم للجيل القادم (NGSS). المجلة الأردنية في العلوم التربوية. 13(2)، 2017م، ص326-309.

العلمية والهندسية ثالثاً بنسبة تضمين منخفضة جداً بلغت (16.35%). ودراسة¹ هدفت الدراسة إلى تضمين الجيل الجديد من معايير العلوم لتصميم محتوى الوراثة لطلبة الصف الثامن في الأردن. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتمثل مجتمع الدراسة في خبراء ومتخصصي مناهج العلوم في الأردن، وتكونت العينة من عدد (13) مختص وخبير. وكانت الأداة مقياس محتوى مبني على مرتكزات معايير (NGSS) تم ترجمته وموائمته من نموذج كراجيك ورفاقه (2012م)، وجاءت النتائج لتوضح ان درجة التضمين تبلغ 84% وهي نسبة عالية.

ودراسة² هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى تضمين معايير (NGSS) في كتب العلوم للصف الأول متوسط في المملكة العربية السعودية، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، وأداة الدراسة هي بطاقة تحليل المحتوى المبنية على قائمة معايير (NGSS)، واستخدمت الباحثان العديد من المعالجات الاحصائية المناسبة. وكان أهم نتائج الدراسة ما يلي: توافر معايير (NGSS) جاء بصورة منخفضة في كتب علوم أول متوسط بنسبة 33.1%، وكانت كالتالي: توافر معيار الأفكار التخصصية الرئيسية بنسبة 57% وبصورة متوسطة في كتب العلوم للصف الأول، أما معيار الممارسات العلمية والهندسية جاء بصورة منخفضة بنسبة 24.3% يليها معيار المفاهيم المشتركة بنسبة 18%. ولقد خرجت الدراسة بمجموعة من التوصيات منها: إعادة النظر في محتوى كتب العلوم للصف الأول متوسط، وذلك بتضمين معايير (NGSS) فيها، تضمين أكثر الممارسات العلمية والهندسية وللمفاهيم المشتركة، مع التركيز على العمق في تناول الأفكار التخصصية الرئيسية لفروع العلوم. هدفت دراسة³ إلى معرفة مدى توافر معايير (NGSS) في كتب العلوم للصف السادس والصفين الأول والثاني المتوسط بوحدة الطاقة في الكتب السابقة. والأداة بطاقة تحليل المحتوى التي صممت على ضوء معايير (NGSS)، وأظهرت النتائج أن مدى تضمين جميع مؤشرات معايير الممارسات العلمية والهندسية في وحدة الطاقة بالكتب السابقة منخفض وغير متوافر، ما عدا معيار التخطيط والاستقصاء بكتاب الصف السادس جاء بنسبة متوسطة بلغت 52.17%.

ودراسة⁴ هدفت إلى تقييم محتوى منهج العلوم بالمرحلة الابتدائية في ضوء معايير العلوم للجيل القادم (NGSS). استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتمثلت أداة الدراسة في بطاقة تحليل محتوى منهج العلوم للمرحلة الابتدائية والتي بلغ عددها إثنا عشر كتاباً بمعدل كتابين لكل صف من الصفوف الستة للمرحلة الابتدائية. وقد توصلت الدراسة إلى أهم النتائج منها: تحديد قائمة بمعايير العلوم للجيل القادم (NGSS)، التي ينبغي أن تتوافر في محتوى منهج العلوم بالمرحلة الابتدائية ودلت نتائج الدراسة على توافر معايير العلوم للجيل القادم (NGSS) في محتوى منهج العلوم بالمرحلة الابتدائية بنسبة توافر

1. غازي رواق، و أمل المومني: اعتماد الجيل الجديد من معايير العلوم لتصميم محتوى في الوراثة لطلبة الصف الثامن في الأردن، المجلة الأردنية للعلوم التربوية، 16(2)، 2016م، ص455-467.

2. وفاء الربيعان، و عبير آل حمامة: تحليل محتوى كتب العلوم للصف الأول متوسط في المملكة العربية السعودية في ضوء معايير NGSS. المجلة الدولية التربوية المتخصصة، 6(11)، 2017م، ص94-108.

3. جبر الجبر، و غالب العتيبي: مدى تضمين معايير الجيل القادم (NGSS) في وحدة الطاقة بكتب العلوم بالمملكة العربية السعودية. مؤتمر التميز في تعليم وتعلم العلوم والرياضيات الثاني (ص10-20). الرياض، جامعة الملك سعود، 2017م.

4. عبدالله آل كاسي، و فهد حكيم: تقييم محتوى منهج العلوم بالمرحلة الابتدائية في ضوء معايير العلوم للجيل القادم (NGSS)، مجلة جامعة بيشة للعلوم الإنسانية والتربوية، المملكة العربية السعودية، 2017م.

منخفضة حيث بلغت (41.33%)، وبلغ نسبة توافر علوم الحياة (46.67%) ومجال الأرض وعلوم الفضاء (41.67%)، ومجال العلوم الفيزيائية بنسبة (41.33%) في محتوى منهج العلوم بالمرحلة الابتدائية وذلك ضمن مستوى التوافر المنخفض، وتوافر مجال علوم الحياة جزئياً في محتوى منهج العلوم الصف الخامس الابتدائي وبنسبة (61%)، وتوافر موضوع "العلاقات المترابطة في النظم البيئية" جزئياً وبنسبة (56.33%) في محتوى منهج العلوم بالمرحلة الابتدائية. وفي ضوء ما توصل إليه من نتائج تم إعداد تصور مقترح لتطوير محتوى منهج العلوم بالمرحلة الابتدائية، كما أوصى البحث بعدة توصيات كان من أبرزها أهمية مراعاة تضمين معايير العلوم للجيل القادم (NGSS) في تخطيط محتوى مناهج العلوم بالمرحلة الابتدائية.

وسعت دراسة¹ إلى التعرف على مدى تضمين محتوى كتب العلوم والحياة للمرحلة الأساسية في فلسطين لمعايير العلوم للجيل القادم (NGSS). استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وأداة بطاقة تحليل المحتوى، تكونت عينة الدراسة من كتب العلوم والحياة للمرحلة الأساسية للصف السادس والسابع والثامن الأساسي، وأبرز نتائج الدراسة، هي: توافر معيار الممارسات العلمية والهندسية في كتاب العلوم للصف السادس بنسبة 68%، ومعيار المفاهيم المشتركة بنسبة 22%، ومعيار الأفكار الرئيسية بنسبة 10%. من التوصيات العمل على إثراء منهج العلوم والحياة بمعايير العلوم للجيل القادم (NGSS). والعمل على تعزيز نقاط القوة وإعادة النظر في مواطن الضعف في كتب العلوم والحياة. ودراسة² هدفت إلى الكشف عن درجة تضمين معايير العلوم للجيل القادم (NGSS) في كتب علوم المرحلة المتوسطة بالمملكة العربية السعودية، وتمثلت عينة الدراسة في كتاب العلوم للصف الثاني المتوسط (الفصل الدراسي الأول والفصل الدراسي الثاني)، طبعة 1440 هـ. واستخدم المنهج الوصفي التحليلي من خلال استخدام قائمة بطاقة تحليل محتوى كتاب العلوم للصف الثاني المتوسط، وأظهرت النتائج أنه تم تضمين جميع الأبعاد الرئيسية لمعايير (NGSS) بتكرار (247) مرة، توزعت على بعد الأفكار التخصصية بتكرار (117) مرة وبنسبة (47,4%)، وبعد الممارسات العلمية والهندسية بتكرار (77) مرة وبنسبة (31,2%)، وبعد المفاهيم الشاملة بتكرار (53) مرة وبنسبة (21,4%)، كما أظهرت أيضاً تضمين المعايير الفرعية جميعها ولكن بنسب مختلفة.

تعقيب عام على الدراسات السابقة:

مما سبق نلاحظ من أن الدراسة الحالية تتشابه مع بعض الدراسات السابقة في دراسة معايير العلوم للجيل القادم (NGSS)، ولكن تأخذ هذه الدراسة نوعاً من الخصوصية في عينتها المتمثلة في محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي في السودان وتحليله في ضوء أبعاد معايير العلوم للجيل القادم (NGSS) (الأفكار الرئيسية، والممارسات العلمية والهندسية، والمفاهيم الشاملة).

كما أن بعض الدراسات السابقة اختلفت مع الدراسة الحالية من حيث المنهج المتبع والمرحلة التعليمية، حيث اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، بينما بعض الدراسات اتبعت المنهج التجريبي، أجريت هذه الدراسة على كتاب الكيمياء بالمرحلة

¹. عيب عامر أهل: مدى تضمين محتوى كتب العلوم والحياة للمرحلة الأساسية في فلسطين لمعايير العلوم للجيل القادم، رسالة ماجستير، كلية التربية- الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2019م.

². عادي كريم الخالدي: دراسة تحليلية لكتب علوم المرحلة المتوسطة بالمملكة العربية السعودية في ضوء معايير العلوم للجيل القادم NGSS، مجلة كلية التربية بنها، العدد (118) إبريل ج (2)، 2019م، ص 305-333.

الثانوية، بينما بعض الدراسات تم في المرحلة الابتدائية والمتوسطة، وقد استفاد الباحث برجوعه إلى الدراسات السابقة في إثراء الأدب النظري لهذه الدراسة، وإجراءاتها، وبناء أداها، إضافة إلى المقارنات بين النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسات والنتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية.

منهج وإجراءات الدراسة:

منهج الدراسة:

استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لمناسبته لطبيعة الدراسة من خلال تحليل محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي في ضوء معايير العلوم للجيل القادم (NGSS).

مجتمع وعينة الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي في السودان للعام الدراسي 2019-2020م طبعة 2017-2018م. في حين تكونت عينة الدراسة من وحدات الكتاب، الذي يحتوي على ستة وحدات، وهي (الترتيب الدوري للعناصر، فلزات المجموعة الأولى، الكيمياء العضوية، النتروجين، الهالوجينات، العناصر الانتقالية).

أداة الدراسة:

تمثلت أداة الدراسة في بطاقة تحليل المحتوى تم تصميمها في ضوء معايير (NGSS) احتوت على ثلاثة محاور رئيسة متمثلة في: الأفكار الرئيسية (التخصصية)، والممارسات العلمية والهندسية، والمفاهيم الشاملة (المتداخلة- المشتركة).

مر إعداد بطاقة تحليل المحتوى بالخطوات التالية:

1. الحصول على قائمة بالأبعاد الرئيسية للمعايير من الموقع الرسمي لمعايير العلوم (NGSS)، وإعداد قائمة بمعايير العلوم المتعلقة بالمرحلة الثانوية، ثم تم ترجمة هذه القائمة.
2. الاطلاع على أدبيات البحث في مجال معايير العلوم للجيل القادم، والدراسات السابقة في الموضوع مثل (Fick, 2014, Kawasaki, 2015، رواقه والمؤمني (2016)، الربيعان وآل حمامة (2017)، أبو حاصِل والأسْمري (2018)، الخالدي (2019)، أهل (2019).
3. تم التحقق من صدق التحليل من خلال عرضها على مجموعة من المتخصصين في المناهج وطرق تدريس العلوم لتحكيمها بأبداء ملاحظاتهم حول ترجمتها. وبأخذ تعديلات المتخصصين في الاعتبار أصبحت القائمة في صورتها النهائية مكونة من ثلاثة أبعاد رئيسة (الأفكار الرئيسية (التخصصية)، الممارسات العلمية والهندسية، والمفاهيم الشاملة (المتداخلة - المشتركة) اندرج تحتها عدد من المعايير.
4. تم تحويل قائمة المعايير السابقة إلى بطاقة تحليل محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي، واعتبرت الأداة صادقة بناءً على ملاحظات المتخصصين على القائمة.
5. تم التحقق من ثبات التحليل من خلال حساب معامل الاتفاق بين تحليل الباحث لوحدة كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي، وتحليل زميل له يحمل درجة دكتوراه في المناهج وطرق تدريس العلوم ثم استخدم لحساب معامل الاتفاق معادلة كوبر (Cooper) وهي كما يلي:

نسبة الاتفاق = عدد مرات الاتفاق بين التحليلين ÷ عدد مرات الاتفاق + عدد مرات الاختلاف × 100

جدول (1) نسبة اتفاق التحليل عبر الأفراد

أبعاد معايير NGSS	تحليل الباحث	تحليل الزميل	نقاط الاختلاف	نقاط الاتفاق	النسبة المئوية للثبات
الأفكار الرئيسية	42	45	3	42	93,3
الممارسات العلمية والهندسية	39	38	1	38	97,4
المفاهيم الشاملة	29	32	3	29	90,6
المجموع	110	115	5	110	95,6

يتضح من الجدول (1) أن قيمة معامل ثبات التحليل بلغت (95,6)، وهي قيمة ثبات عالية وتشير لدرجة مقبولة من ثبات التحليل.

خطوات تحليل محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي:

اتبع الباحثان الخطوات التالية عند تحليل محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي، وهي:

1. تحديد الهدف من التحليل: استهدفت عملية التحليل الحكم على مدى توافر معايير (NGSS) في محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي.
 2. عينة التحليل: كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي الفصل الدراسي الأول والثاني للعام 2019-2020م.
 3. تحديد وحدة التحليل: وحدة التحليل هي الفقرة الموجودة فعلياً في نص وحدات الكتاب.
 4. فئة التحليل: تحليل محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي من حيث توافر معايير العلوم للجيل القادم (NGSS) المعتمدة في بطاقة التحليل للدراسة الحالية.
 5. ضوابط عملية التحليل: تم مراعاة الضوابط التالية أثناء عملية التحليل:
 1. إن يتم التحليل في إطار التعريف الإجرائي للأبعاد الرئيسية الثلاثة لمعايير (NGSS) وما يندرج تحتها من معايير فرعية.
 2. إن يشمل التحليل أيضاً الرسوم التوضيحية والصور والأشكال وأمثلة التقويم.
 6. تنفيذ عملية التحليل: تم تفريغ نتائج التحليل لوحدات الكتاب بالفصلين الأول والثاني في الاستمارة المعدة لذلك والتي تتكون من محورين أحدهما يمثل فئات التحليل والآخر يمثل وحدات التحليل.
- عرض ومناقشة النتائج:

أولاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول ومناقشتها:

وينص السؤال الأول على ما يلي: ما معايير العلوم للجيل القادم (NGSS) الواجب توافرها في محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي في السودان؟ وللإجابة على هذا السؤال قام الباحثان بالحصول على قائمة معايير (NGSS) من خلال الاطلاع والبحث في هذا المجال من عدة مصادر أبرزها: الموقع الرسمي لمعايير العلوم للجيل القادم (NGSS) الموقع الرسمي للمجلس القومي للبحوث (NRC) على شبكة الإنترنت، والاطلاع أيضاً على الدراسات السابقة والأدب التربوي المنشور في هذا المجال

كدراسة أهل (2019م)، والسبب (2018م)، دراسة الباز (2017م)، ودراسة الربيعان وآل حمامه (2017م). حيث تكونت معايير العلوم للجيل القادم (NGSS) من 3 معايير رئيسة ضمت عدداً من المعايير الفرعية كانت كما يلي:

جدول (2) يوضح قائمة معايير (NGSS) الواجب توافرها في محتوى منهج الكيمياء للصف الثاني الثانوي

المعايير الفرعية	المعايير الرئيسية
<p>إن يركز المحتوى على:</p> <p>1- مماسة طرح الأسئلة حول الظاهرة.</p> <p>2- تفسير وتحليل البيانات العلمية التي تخدم المجتمع.</p> <p>3- ممارسة التخطيط والاستقصاء العلمي.</p> <p>4- أسلوب الجدل العلمي عن طريق الأدلة العلمية المناسبة.</p> <p>5- جمع المعلومات وشاركها مع الآخرين.</p> <p>6- بناء التفسيرات العلمية للظاهرة.</p> <p>7- إبراز الحلول الهندسية للمشكلة أو الظاهرة المدروسة.</p> <p>8- ممارسة التفكير الرياضي والحوسبي.</p> <p>9- توظيف النماذج العلمية.</p>	<p>1- الممارسات العلمية والهندسية</p>
<p>1- تركيز المحتوى على ملاحظة الأنماط والأشكال للظواهر المدروسة.</p> <p>2- يعمل المحتوى على ترسيخ مفهوم الطاقة والمادة في العلوم.</p> <p>3- تركيز المحتوى على استخدام المقادير والكميات والتناسب للظواهر المدروسة.</p> <p>4- يوضح المحتوى ظاهرة الثبات والتغير في الكائنات الحية.</p> <p>5- يساعد المحتوى على تكوين وبناء النماذج للظواهر العلمية.</p> <p>6- يوازن المحتوى بين الأسباب والنتائج للظواهر العلمية.</p> <p>7- يوضح المحتوى التركيب والوظيفة للظواهر العلمية.</p>	<p>2- المفاهيم الشاملة (المشتركة)</p>
الأفكار الرئيسية	
أولاً: الأفكار الرئيسية في علوم الفيزياء:	
<p>- يستخدم نموذج لوصف التركيب ويفسر خواص المادة.</p> <p>- يطبق المبادئ العلمية في مواضيع التفاعلات الكيميائية.</p> <p>- يطور الحلول العلمية الممكنة لحل المشاكل.</p>	<p>1. المواد وتفاعلاتها</p>
<p>- يوضح العلاقة بين القوة والحركة.</p> <p>- يعرض أنواع التفاعلات الكيميائية.</p>	<p>2. الحركة والاستقرار</p>
<p>- يعرف الطاقة.</p>	<p>3. الطاقة</p>

- يطبق المبادئ العلمية حول الحفاظ على الطاقة ونقلها. - يميز العلاقة بين الطاقة والقوة.	
- يوضح خصائص الموجه. - يعرض معلومات عن الإشعاع الكهرومغناطيسي. - يحدد تقنيات الأجهزة والمعلومات.	4. الموجات وتطبيقاتها في تقنية نقل المعلومات
ثانياً: الأفكار الرئيسية في علوم الحياة:	
- يميز بين التركيب والوظيفة - يقدم بحث حول نمو وتطور الكائنات الحية - يبين أثر الطاقة في العمليات الكيميائية والحياة اليومية	أ. من الجزيئات إلى الكائن الحي: الهياكل والعمليات
- يوضح العلاقات في الأنظمة البيئية. - يبين نموذج لوصف الدورات في الأنظمة البيئية. - يقدم حلول حول ديناميكيات النظام البيئي.	ب. النظم البيئية: التفاعلات والطاقة والديناميكيات
- يطبق الأفكار العلمية حول نمو وتطور الكائنات الحية. - يوضح الصفات الوراثية. - يعطي تفسيرات حول الاختلاف في الصفات.	ج. الوراثة
- يبني دليل على النسب المشتركة والتنوع. - يستخدم التمثيلات الرياضية لتفسير الانتخاب الطبيعي. - يجمع معلومات عن التكيف.	د. التطور البيولوجي
ثالثاً: الأفكار الرئيسية في علوم الأرض والفضاء:	
- يستخدم نموذج الكون والكواكب. - يستخدم نموذج لوصف الأرض والنظام الشمسي. - يبني تفسير عملي عن تاريخ كوكب الأرض.	1. مكان الأرض في الكون
- يحلل البيانات حول مواد وأنظمة الأرض. - يوضح دورة المياه على سطح الأرض. - يطرح الأسئلة حول الصفائح التكتونية وتفاعلات النظام.	2. أنظمة الأرض
- يذكر الموارد الطبيعية الموجودة في الكون. - يبين المخاطر الطبيعية في الكون. - يوضح التأثيرات البشرية على نظم الأرض.	3. الأرض والنشاط البشري
رابعاً: الأفكار الرئيسية في علوم الهندسة والتكنولوجيا وتطبيقات العلوم:	
- يعرف المشكلة الهندسية. - يضع حلول الممكنة للمشكلة في الظاهرة المدروسة. - يصمم الحل الأمثل للمشكلات الهندسية.	التصميم الهندسي

ثانياً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني ومناقشتها

للإجابة عن السؤال الثاني الذي نصه "ما مدى تضمين محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي في السودان لمعايير العلوم للجيل القادم (NGSS)؟ تم تحليل كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي في ضوء الأبعاد الرئيسة لمعايير العلوم للجيل القادم NGSS، ورصد تكرارها، وكانت النتائج كما يظهر جدول (2).

جدول (3) يوضح نتائج تحليل كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي في ضوء معايير NGSS

م	أبعاد معايير NGSS						
	نتائج تحليل كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي						
	المجموع		الفصل الدراسي الثاني		الفصل الدراسي الأول		
	%	ك	%	ك	%	ك	
1	الأفكار الرئيسة	42,3%	102	45,8%	60	38,2%	42
2	الممارسات العلمية والهندسية	36,5%	88	37,4%	49	35,4%	39
3	المفاهيم الشاملة	21,2%	51	16,8%	22	26,4%	29
	المجموع	100%	241	100%	131	100%	110

يتضح من الجدول (3) تضمين جميع أبعاد معايير العلوم للجيل القادم NGSS في كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي، وذلك بواقع (241) تكراراً، توزعت بين الفصلين الدراسين الأول والثاني، ويلاحظ أن أكثر الأبعاد تكراراً هو بعد الأفكار الرئيسة حيث تكررت (102) مرة شكلت نسبة (42,3%)، فيما جاء بالمرتبة بعد الثانية الممارسات العلمية والهندسية بتكرار (88) مرة ونسبة (36,5%)، وبالرتبة الثالثة بعد المفاهيم الشاملة بتكرار (51) مرة ونسبة (21,2%).

واتفقت هذه النتيجة مع نتائج دراسة (Arnow, 2015) التي أوصت بضرورة تطور منهج العلوم اعتماداً على معايير العلوم للجيل القادم NGSS لمواجهة احتياجات المعلمين، كما اتفقت مع دراسة العبدلية (2016) التي بينت تحقق معايير NGSS في كتب العلوم لمرحلة (6-8) في سلطنة عمان، ولكنها اختلفت معها في ترتيب أبعاد هذه المعايير، حيث وضحت تحقق بعد الأفكار الرئيسة بالمرتبة الأولى، ثم بعد المفاهيم الشاملة، فيما جاء بالمرتبة الثالثة بعد الممارسات العلمية والهندسية. كما اتفقت مع نتائج دراسة رواقه والمومني (2016) إلى أن درجة تضمين عالية لمعايير العلوم للجيل القادم NGSS في كتاب العلوم للصف الثامن في الأردن، واتفقت مع نتائج دراسة أهل (2019)، كما اتفقت مع دراسة الخالدي (2019) التي بينت تحقق المعايير بأبعادها بنسب عالية في كتب العلوم بالمرحلة المتوسطة في المملكة العربية السعودية.

وكذلك اختلفت النتيجة الحالية مع نتائج دراسة كل من (والأحمد والبقي، 2016، الغامدي، 2017، والعتيبي والجبر، 2017، الربيعان وآل حمامة، 2017) التي وضحو تحقق المعايير بأبعادها بنسب منخفضة ومنخفضة جداً أو غير متوفرة في محتوى كتب الفيزياء وكتب الأحياء وكتب العلوم للصف السادس الابتدائي والأول المتوسط في المملكة العربية السعودية.

خاتمة:

أولاً: النتائج: يمكن تلخيص أهم النتائج فيما يلي:

1. تم إعداد قائمة بمعايير العلوم للجيل القادم NGSS التي ينبغي أن تتوافر في محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي مكونة من ثلاثة أبعاد رئيسية، تمثلت في (الأفكار الرئيسية، الممارسات العلمية والهندسية، المفاهيم الشاملة).
2. تضمين جميع الأبعاد الرئيسية لمعايير العلوم للجيل القادم NGSS بتكرار (241) مرة، توزعت على بعد الأفكار الرئيسية بتكرار (102) مرة ونسبة (42,3)، وبعد الممارسات العلمية والهندسية بتكرار بلغ (88) مرة ونسبة (36,5%)، وبعد المفاهيم الشاملة بتكرار (51) مرة ونسبة (21,2%).

ثانياً: التوصيات:

بناءً على النتائج التي تم التوصل إليها يمكن الخروج بالتوصيات التالية:

1. إعادة النظر في محتوى كتاب الكيمياء للصف الثاني الثانوي، وذلك بتضمين معايير NGSS فيه.
2. توجيه عناية المسؤولين في وزارة التربية والتعليم إلى أهمية معايير NGSS، وضرورة مراعاتها عند تصميم مناهج العلوم سواء بالمرحلة الثانوية أو بمرحلة التعليم الأساسي في السودان.
- تطوير دليل لمعلم العلوم بالمرحلة الثانوية لتدريس (الكيمياء، والأحياء والفيزياء) في ضوء معايير العلوم للجيل القادم NGSS.

قائمة المراجع:

1. أحمد اللقاني، و علي الجمل: معجم المصطلحات التربوية المعرفية في المناهج وطرق التدريس. ط3، القاهرة، عالم الكتب، 2003م.
2. بدرية حسنين: معايير العلوم للجيل القادم. المجلة التربوية. 2016، 46، ص 398-439.
3. بندر عسيلان: تقويم كتب العلوم المطور للصف الأول متوسط في ضوء معايير الجودة الشاملة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، 2011م.
4. توفيق مرعى، ومحمد الحيلة: المناهج التربوية الحديثة مفاهيمها وعناصرها وأساليبها وعملياتها. عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2004م.
5. جبر الجبر، و غالب العتيبي: مدى تضمين معايير الجيل القادم (NGSS) في وحدة الطاقة بكتب العلوم بالمملكة العربية السعودية. مؤتمر التميز في تعليم وتعلم العلوم والرياضيات الثاني (ص10-20). الرياض، جامعة الملك سعود، 2017م.
6. حامد طلاحفة: المناهج تخطيطها تطويرها تنفيذها. ط1، عمان، الرضوان للنشر والتوزيع، 2013م.
7. حسين محمود: حول المستويات المعيارية القومية للمنهج ونواتج التعليم. المؤتمر العلمي السابع عشر "مناهج التعليم والمستويات المعيارية" بالجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، القاهرة، مصر، 2005م.
8. خالد الباز: تطوير منهج العلوم بالمرحلة الإعدادية بالبحرين في ضوء معايير تعليم العلوم. المؤتمر العلمي التاسع معوقات التربية والتعليم في الوطن العربي (التشخيص والحلول). الجمعية المصرية للتربية والتعليم، كلية التربية بجامعة عين شمس، القاهرة، 2005م.
9. شيخة العبدلية: مدى تضمين كتب العلوم لمرحلة (6-8) في سلطنة عمان لمعايير العلوم للجيل القادم NGSS. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، مسقط، 2016م.
10. عادي كريم الخالدي: دراسة تحليلية لكتب علوم المرحلة المتوسطة بالمملكة العربية السعودية في ضوء معايير العلوم للجيل القادم NGSS، مجلة كلية التربية ببنها، العدد (118) إبريل ج(2)، 2019م، ص 305-333.

11. عايش زيتون: الاتجاهات الدولية المعاصرة في مناهج العلوم وتدريبها. عمان، دار الشروع للنشر والتوزيع، 2010م.
12. عبدالحميد زيتون: تحليل نقدي لمعايير إعداد المعلم المتضمنة في المعايير القومية للتعليم بمصر. المؤتمر العلمي السادس عشر "تكوين المعلم"، بجامعة عين شمس. مصر، 2004م.
13. عبدالله آل كاسي، و فهد حكيم: تقويم محتوى منهج العلوم بالمرحلة الابتدائية في ضوء معايير العلوم للجيل القادم (NGSS)، مجلة جامعة بيشة للعلوم الإنسانية والتربوية، المملكة العربية السعودية، 2017م.
14. عبدالله خطايبه: تعليم العلوم للجميع، عمان، دار المسيرة، الأردن، 2005م.
15. عبدالله طالب: تطوير مناهج العلوم في المرحلة الأساسية بالجمهورية اليمنية في ضوء معايير الجودة الشاملة. مجلة التربية العلمية، الجمعية المصرية للتربية العلمية، 12(2)، 2009م، ص 151-195.
16. عبدالله محمد الزويد: تقويم محتوى كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط المملكة العربية السعودية في ضوء المعايير الدولية. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الخليجية، مملكة البحرين، 2009م.
17. عبير عامر أهل: مدى تضمين محتوى كتب العلوم والحياة للمرحلة الأساسية في فلسطين لمعايير العلوم للجيل القادم، رسالة ماجستير، كلية التربية- الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2019م.
18. عفت الطناوي: معايير الجودة في تعليم العلوم. المنصورة، المكتبة العصرية، 2009م.
19. علي الشعيلي، و ناصر المزيدي: مدى توفر المعايير القومية الأمريكية للمحتوى في كتب العلوم للصفوف (5-8) من مرحلة التعليم الأساسي في سلطنة عمان. مؤتمة للبحوث والدراسات، 2009.
20. غازي رواقه، و أمل المومني: اعتماد الجيل الجديد من معايير العلوم لتصميم محتوى في الوراثة لطلبة الصف الثامن في الأردن، المجلة الأردنية للعلوم التربوية، 16(2)، 2016م، ص 455-467.
21. محمد الخوالدة: أسس بناء المناهج التربوية وتصميم الكتاب التعليمي، عمان، دار المسيرة، الأردن، 2005م.
22. محمد السيد علي: التربية العلمية وتدريب العلوم. الأردن، دار المسيرة، 2009م.
23. محمد العبري: تحليل المحتوى تعريفه وأهميته وخطواته، مجلة التطوير التربوي، 7(48)، 2009م، ص 38-39.
24. منى السبيعي: تصور مقترح للأهداف العامة لتعليم العلوم للمرحلة المتوسطة في ضوء معايير العلوم للجيل القادم NGSS ورؤية المملكة العربية السعودية 2030. مجلة كلية التربية، 29(115)، 2018م، ص 186-214.
25. نضال الأحمد، و مها البقحي: تحليل محتوى كتب الفيزياء في المملكة العربية السعودية في ضوء معايير العلوم للجيل القادم (NGSS). المجلة الأردنية في العلوم التربوية، 13(2)، 2017م، ص 309-326.
26. نوره الغامدي: مستوى تضمين الجيل القادم لمعايير العلوم NGSS في كتب الأحياء للمرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، 2017م.

27. وفاء الربيعان، و عبير آل حمامة: تحليل محتوى كتب العلوم للصف الأول متوسط في المملكة العربية السعودية في ضوء معايير NGSS. المجلة الدولية التربوية المتخصصة. 6(11)، 2017م، ص 94-108.
28. يحيى علي فقيهي: أين موقعنا منها؟ برامج إصلاح تعليم العلوم العالمية. مجلة المعرفة، (146)، 2010.
29. Arnow, L: Science curriculum development with next generation standards meeting the needs of in-service teachers. Unpublished master thesis, California state University Monterey Bay, 2015.
30. Fick, S: Middle school students' opportunities for integrating science standards focused curricular unit. Unpublished dissertation, university of Michigan, 2014.
31. Kawasaki, J: Examining teachers' goals classroom instruction around the science and engineering practices in the next generation science standards. Unpublished dissertation university of California, 2015.
32. National Research Council (NRC): A Framework for K-12 Science Education: Practices Crosscutting Concepts, and Core Ideas. Washington, DC: The National Academies Press, 2012.
33. Next generation science standards NGSS (2013). Retrieved January 26, 2019, from: <https://www.nextgenscience.org/>.
34. NGSS Lead State: Next generation science standard: for states. By states. Washington: the National Academies press, 2013.
35. The Next Generation Science Standards (2013a). Development Overview. Retrieved January 12, 2015, from: <http://www.nextgenscience.org/development-overview>.

سوسيولوجيا المدرسة الجزائرية والإصلاح التربوي في ظل التحديات

Sociology of the Algerian school and educational reform in light of the challenges

د. عائشة بن النوي/ جامعة باتنة 1، الجزائر

Dr. Aicha Bennoui/ University of Batna-01, Algeria

Abstract:

The education sector is a basic and reference sector, and it is the source of many other social and economic sectors, and wherever we go in the world, we find countries striving to improve education in various possible ways and means, either by increasing the number of years of schooling, or by changing curricula and curricula , Or by reducing the number of students in the classroom, or by introducing educational technology, or by granting independence and some powers to make decisions at the school level, and from this standpoint our research paper aims to analyze and sociological interpretation of the Algerian school and its educational reforms, and You have a beginning from defining the central concepts, as well as a presentation of the historical context within the basic starting points in building the educational project and the most prominent trends in its reforms, as the study focused on the reference frameworks and the reasons and reasons for reform and its goals, as well as to study its reality within the most important achievements it has made, on The study should adopt the most prominent challenges facing the Algerian school

Key words: school, educational reform, challenges, Algeria.

ملخص:

إن قطاع التربية والتعليم، هو قطاع أساسي ومرجعي، ومنبع للعديد من القطاعات الاجتماعية والاقتصادية الأخرى، وإنه أينما اتجهنا في العالم، فإننا نجد الدول تسعى بجد إلى تحسين التعليم بمختلف الطرق والوسائل الممكنة، وذلك إما بزيادة عدد سنوات التمدرس، أو بتغيير المناهج والمقررات الدراسية، أو بتقليص عدد التلاميذ في الحجرة الدراسية، أو بإدخال تكنولوجيا التعليم، أو بمنح الاستقلالية وبعض الصلاحيات لاتخاذ القرارات على مستوى المدرسة، ومن هذا المنطلق فإن ورقتنا البحثية تهدف إلى التحليل و التفسير السوسولوجي للمدرسة الجزائرية و إصلاحاتها التربوية، وذلك بداية من تحديد المفاهيم المحورية، وكذا عرض للسياق التاريخي ضمن المنطلقات الأساسية في بناء المشروع التربوي و أهم التوجهات البارزة في إصلاحاته، كما ركزت الدراسة على الأطر المرجعية و دواعي و أسباب الإصلاح و أهدافه، كذا عمدت لدراسة واقعها ضمن اهم الإنجازات التي قامت بها، على ان تتبنى الدراسة أبرز التحديات التي تواجه المدرسة الجزائرية

الكلمات المفتاحية: المدرسة، الإصلاح التربوي، التحديات، الجزائر.

مقدمة:

تعد سوسولوجيا التربية أو سوسولوجيا المدرسة من أهم الحقول المعرفية التي تندرج ضمن علم الاجتماع على ان تأخذ مفاهيمها النظرية والتطبيقية ومصطلحاتها الإجرائية وخطواتها المنهجية من علم الاجتماع العام، ومن ثم يعني هذا العلم الجديد برصد مختلف العلاقات الموجودة بين المدرسة والمجتمع، على أساس أن المدرسة بمثابة مجتمع مصغر تعكس جميع التناقضات الجدلية التي يعرفها المجتمع المكبر أو المحيط الخارجي وأكثر من هذا تعد المؤسسة التربوية قاطرة لتحقيق التنمية المجتمعية الشاملة والمستدامة ومن جهة أخرى، تهتم سوسولوجيا التربية بتتبع تاريخ المؤسسة التربوية، وتبيان تاريخها، وتحديد مفهوم التربية والمدرسة على حد سواء، مع استجلاء الأدوار والوظائف التي تقوم بها التربية، وتحديد مختلف المقاربات، والتي تمثلها الباحثون في دراستهم للمؤسسة التعليمية في سياقها التاريخي والتطوري، ولم يظهر علم الاجتماع التربوي إلا في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين الميلادي، وهدفه هو دراسة التربية بصفة عامة، والمدرسة بصفة خاصة، على أساس آليتي الفهم والتفسير، وتحليل مختلف الظواهر التربوية في ضوء المقاربة الاجتماعية، باستكشاف العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والثقافية التي لها تأثير ملحوظ في المؤسسة التربوية في بنيتها ودلالاتها ووظيفتها.

وتسعى كل الأنظمة والحكومات إلى الاهتمام بالنظام التعليمي التربوي، وتحسينه وتطويره كونه المقياس الحقيقي لحضارة الأمة في الوقت الحاضر، وهو الخيار الأوحده في عالم والذي يشهد تغيرات كثيرة و متعاقبة و الذي من خلاله نستطيع رسم صورة المستقبل الذي نريد التنبؤ بجيل مؤهل قادر على التفاعل مع معطيات العصر ومتغيراته وعند حديثنا على التعليم

وقضاياها¹، فإن أول ما يتبادر إلى الأذهان المحطة الأولى في إعداد النشء وتأهيل قيادات المجتمع في كافة المجالات ألا وهي المدرسة والتي قيل عنها أنها البوتقة التي يتشكل فيها الإنسان ويتكون تربويا فالمدرسة ليست مجرد مكان يجتمع فيه الأطفال أو الناشئة من أجل اكتساب المعرفة، بل هي تكوين معقد وبالغ التعقيد من تكيفات رمزية ذات طابع اجتماعي، ولقد تطورت المدرسة من مكان بسيط يتلقى فيه الفرد للمعرفة إلى كينونة رمزية معقدة ومن ثم تحول دورها الوظيفي من عملية تعليم الإنسان إلى تشكيل الإنسان وبناء المجتمع وإعادة إنتاجه حضاريا وإيديولوجيا، لقد تحولت المدرسة باختصار من ظاهرة تربوية بسيطة إلى ظاهرة اجتماعية بالغة التعقيد والتي هي اليوم بحاجة إلى إصلاح مستمر لتواكب التغيرات وتؤدي الدور المناط بها

1. الإطار النظري للدراسة

1. إشكالية الدراسة: قامت الجزائر بمجهودات كبيرة في سبيل تطوير مدارسها، عن طريق الإصلاح الشامل يرمي إلى تغيير المنظومة التربوية تغييرا جذريا، فقد عرفت المدرسة الجزائرية منذ الاستقلال إلى غاية اليوم تعديلات وإصلاحات عديدة مست نظامها التربوي الذي يعكس خصوصيات وملامح الشخصية والهوية الجزائرية العربية الإسلامية حيث تمت هذه الإصلاحات بناء على ثلاث اختيارات تمثلت في الاختيار الوطني، الاختيار الثوري، والاختيار العلمي فقد قطع نظام التربوي التعليمي الجزائري اشواطاً هامة حقق الكثير من الإنجازات الناجحة لكنه في المقابل تعرض للعديد من المعوقات والإشكالات ومظاهر الخلل التي أعاقت المدرسة الجزائرية عن تحقيق ما كان ينتظر منها وعليه لابد لهذه المدرسة من إصلاح منظومتها التربوية من أجل مسيرة العولمة والتكنولوجيا وذلك باعتماد التقنيات العلمية والعملية الحديثة من أجل الارتقاء بمستوى التعليم والتعلم والعملية التعليمية على حد سواء²، فسياق الحديث عن التجديد في الوقت الراهن في الفكر التربوي الجزائري يلزم الحديث معه عن الشروط القبلية والبعديّة التي تحكم الانتقال من تصور تربوي سابق إلى نموذج لاحق وواعد بالتالي عندما نتحدث عن التربية والتعليم في الجزائر فإننا نعني التربية من نوع خاص، وتعلّما من نوع جديد يتوافق ورهانات القرن التي تحتم تهيئة الفرد و بالتالي أيضا تهيئة المجتمع لحقائق ومتغيرات جديدة وديناميات وأخلاقية مغايرة تماما لتلك التي ألفناها كمقومات لحياتنا العصرية، وإن ضرورة اللحظة الحضارية ومتطلبات العولمة تستوجب علينا تكييف التربية والتعليم وفق متطلبات هذا العصر مع التخطيط المسبق لتكوين إنتاج فرد متطور مهمته إقامة جزائر متطورة، وبناءً على هذا الطرح فإن التساؤلات التي نود أن نطرحها فهي كالتالي: فيما تتمثل سوسيولوجيا وواقع المدرسة الجزائرية؟ وماهي أهم الإصلاحات البارزة في نظامها التربوي؟ وماهي أهم الأطر المرجعية للإصلاح في المدرسة الجزائرية؟ وماهي الرهانات والتحديات التي تواجهها؟

¹عبد الناصر سناني، "المدرسة وجهود الإصلاح التربوي في الجزائر ما مدى مساهمة ثقافات المدرسة في بلورة عملية الإصلاح، مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية، المجلد 04، العدد 07، دار كنوز الحكمة، الجزائر، 2016، ص 2-3

²مختارة بن عابد، "المدرسة الجزائرية في ظل الإصلاحات التربوية واقع وآفاق، مجلة الرواق، العدد 03، المركز الجامعي غليزان، 2016، ص 106

2. تحديد المفاهيم المحورية

1.2 مفهوم المدرسة:

هناك العديد من التعريفات التي تناولت مفهوم المدرسة إلا أن اغلب الباحثين يميلون إلى تبني المفهوم النظري الذي يعرف المدرسة على أنها مؤسسة اجتماعية معقدة مستجمعة في ذاتها لمنظومة من العلاقات البنوية المتبادلة بين مختلف جوانبها وأنه لا يمكن إحداث تغيير في احد اجزائها دون التأثير في بنية الكلية وانها تهدف إلى تحقيق التواصل بين تجربة التعليم المدرسية والتجارب الاجتماعية¹، وعليه تتباين تعريفات المدرسة بتباين الاتجاهات النظرية في مجال علم الاجتماع التربوي وتتنوع هذه التعريفات بتنوع مناهج البحث الموظفة في دراستها ويمكننا في دائرة هذا التعدد المنهجي في تعريف المدرسة استعراض مجموعة من المفاهيم التي تؤكد على بنية المدرسة تارة وعلى وظيفتها تارة أخرى.²

ويعرف فيرديناوند بويسون المدرسة: بأنها مؤسسة اجتماعية ضرورية تهدف إلى ضمان عملية التواصل بين العائلة والدولة من أجل إعداد الأجيال، ودمجها في إطار الحياة الاجتماعية

كما يؤكد المفكر من خلال هذا التعريف على الدور الوظيفي للبناء المدرسي وتفاعله مع البناءات الاجتماعية بغرض تحقيق الاندماج والتكيف الاجتماعي من خلال مختلف الأدوار التي تقدمها المدرسة للأجيال المتعاقبة كما تعرف المدرسة بأنها مؤسسة اجتماعية تمارس وظيفة التطبيع الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية وذلك بغية تحقيق مجتمع صالح³.

ويعرفها فيريدريك هاستن " على أنها نظام معقد من السلوك المنظم و الذي يهدف إلى تحقيق جملة من الوظائف في إطار النظام الاجتماعي القائم "

ويرى أرنولد كارلوس " على انها نسق منظما من العقائد والقيم والتقاليد و أنماط التفكير و السلوك التي تتجسد في بنيتها وأيدولوجيتها الخاصة"⁴

"سيشمان" ويعتبرها على انها شبكة من المراكز و الأدوار التي يقوم بها المعلمون والتلاميذ حيث يتم اكتساب المعايير التي تحدد لهم الأدوار المستقبلية في الحياة الاجتماعية"⁵

¹ أم الخير بدوي، التغيير البنائي-الوظيفي للمدرسة الجزائرية في ظل التحديات العالمية الراهنة -دراسة تحليلية لاتجاهات أساتذة التعليم المتوسط، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث، تخصص علم اجتماع التربية، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2016، ص42

² أحمد بوعبزة، يوسف حديد، "سوسيولوجيا المدرسة والمعلم في الجزائر"، مجلة آفاق علمية، المجلد 11، العدد 01، المركز الجامعي لتامنغست، 2019، ص429

³ أحمد بوعبزة، يوسف حديد/ مرجع سابق، ص429

⁴ أم الخير بدوي، مرجع سابق، ص42.

⁵ على أسعد وطفة، على جاسم الشهاب، علم الاجتماع المدرسي بنيوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها الاجتماعية، المؤسسات الجامعية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، 2004، ص16-17

ويشير نبيل السمالوطي بقوله "إن المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية التي تقوم بوظائف التربية و نقل الثقافة المتطورة وتوفير ظروف المناسبة جسميا و انفعاليا و اجتماعيا.

1.1.2 المفهوم السوسولوجي للمدرسة:

تشكل المدرسة نظاما معقدا ومكثفا ورمزيا من السلوك الإنساني المنظم الذي يؤدي بعض الوظائف الأساسية في داخل البنية الاجتماعية وهذا يعني بدقة أن المدرسة، كما تبدو لعالم الاجتماع و التي تتكون من السلوك أو الأفعال التي يقوم بها الفاعلون الاجتماعية من المعايير والقيم الناظمة للفاعليات والتفاعلات الاجتماعية والتربوية بداخلها وخارجها وهي أفعال تتصف بالتنظيم تؤدي إلى إعادة إنتاج الحياة ثقافيا وتربويا¹

2.1.2 المفهوم الإجرائي

هي نظام اجتماعي يتكون من شبكة معقدة من المراكز والأدوار تتولى تنشئة الطفل من شتى نواحي نموه الجسدي والعقلي والخلقي والاجتماعي، بحيث تجعل منه شخصية متكاملة من ناحية و تعده للتكيف الناجح مع الحياة ومنطق العصر الذي يسير على نهج العلم و التكنولوجيا ناحية أخرى

2.2 مفهوم الإصلاح التربوي:

لغة: الإصلاح نقيض الفساد كما ورد في لسان العرب "لابن منظور" أصلح الشيء بعد فساده أي أقامه و قومه وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده²

اصطلاحا: ويعرف الإصلاح التربوي Educational Reform على أنه شائع في الأوساط التربوية و يشير عادة إلى عملية التغيير في النظام التعليمي، أو في جزء منه نحو الأحسن وغالبا ما يتضمن هذا المصطلح معاني اجتماعية واقتصادية وسياسية بل وان بعض "علماء اجتماع التربية" يعرفون الإصلاح التربوي الحقيقي بذلك الإصلاح الذي يتضمن عمليات تغيير سياسية واقتصادية ذات التأثير على إعادة توزيع مصادر القوة و الثروة في المجتمع³

ويعرفه أيضا أحد المعاجم التربوية: بأنه مصطلح شاع استخدامه في القرن التاسع عشر ليعني التغييرات المقصودة التي أدخلت على المناهج و نظم التعليم، وهو مثل مصطلح التجديد

وهناك تعريف اخر للإصلاح التربوي بأنه أية محاولة فكرية أو عملية لإدخال تحسينات على الوضع الراهن للنظام التعليمي سواء كان ذلك متعلقا بالبنية المدرسية أو التنظيم و الإدارة أو البرنامج التعليمي أو طرائق التدريس أو الكتب الدراسية وغيرها⁴

¹ على أسعد وطفة، على جاسم الشهاب، مرجع سابق، ص20

² ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار الطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 2004، ص93

³ حسين حسن البيلاوي، الإصلاح التربوي في العالم الثالث، د. ط، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1998، ص9

⁴ محمد منير مرسي، الإصلاح و التجديد التربوي في العصر الحديث، عالم الكتاب، مصر، 1996، ص6

والإصلاح التربوي: هو عملية شاملة تتناول المتغيرات و العوامل المكونة للنظام التربوي و تيرئ البشر لقبول التطوير وتفهم أهدافه وتسيير عملية الانتقال إلى النظام المطور حتى يمكن تحقيق الاستفادة القصوى من التطور و دفع القائمين على تطبيقه للاستفادة منه¹

II. المدرسة الجزائرية و المعالجة السوسيوولوجية للإصلاحات التربوية

1. مدخل في دراسة المدرسة

1.1 وظائف المدرسة كمؤسسة تربوية

إن للمدرسة عدة وظائف باعتبارها تنظيم اجتماعي ومؤسسة متخصصة في تعليم الصغار نيابة عن الكبار والتي يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

✚ الوظيفة التعليمية والتكوينية:

في إطار هذه الوظيفة تقوم المدرسة بتعليم الأطفال القراءة و الكتابة والحساب مع إكسابهم وتلقيهم المعارف الدينية والتاريخية و الأدبية و العلمية و اللغوية، عبر برامج ومقررات محددة حسب مختلف المواد المخصصة لكل مستوى وبشكل تدريجي ابتداء من التعليم الأولي إلى التعليم العالي مرورا بالأساسي والإعدادي والثانوي كما تسعى المدرسة خلال كل مرحلة تعليمية تحقيق و إكساب التلاميذ مهارات تواصلية استراتيجية ومنهجية، وقيم ترتبط بالثقافة وبالهوية الحضارية وحقوق الإنسان، وهدف المدرسة بشكل عام خلال هذه الوظيفة تعليم و تكوين الفرد بشكل يجعله مندمجا في الحياة العامة ومتفتحا على الآخر، "كما تحتل الوظيفة التعليمية المركز الأول في اهتمامات المربين و القائمين على المدرسة، و التي يمكن حصرها في:

- إكساب التلاميذ الأسلوب العلمي في التفكير و البحث والدراسة (المنهج العلمي)
- تزويد التلاميذ بالمعارف الصحيحة و العلمية
- تعليم التلاميذ القراءة و الكتابة و التعبير و الحساب و تتيح لهم فرصة تعلم ذلك كله

✚ الوظيفة التربوية:

بجانب الوظيفة التعليمية و التكوينية فإن للمدرسة وظيفة أساسية و شاملة استمدتها من الأسرة تتجلى في تربية الأطفال تربية تجعلهم يحترمون مجتمعاتهم ويندمجون مع مختلف المؤسسات الاجتماعية الأخرى مع أن المدرسة وفضل الفلسفة التربوية التي تنتهجها كمؤسسة عمومية لم تعد مكان تعليم بل أصبحت بيئة تربوية لا تكتفي بنقل المعلومات إلى الذهن وحشو العقل بالمعارف بقدر ما صارت تهتم بتربية العقل والجسد والعاطفة، وفضلها يكتسبون قيم إنسانية تتأقلم مع متطلبات المجتمع، يمكن للمجتمع التطور و السير نحو ما هو أفضل، "وهكذا تحاول المدرسة الحديثة جاهدة أن تكون بيئة تربوية ينشأ فيها الطفل ليكون صحيح الجسم صحيح العقل مضبوط العاطفة متزن الشخصية عارفا بما له و ما عليه من حقوق وواجبات قادرا على أداء عمله فيقننه و خدمة نفسه ووطنه عن طريق هذا العمل، عارفا حق وطنه وحق إنسانيته، او العكس وهو الإصابة بالركود والتخبط في مشاكل جمة.

¹حورية لبوابي، مهدي بلحميتي، التكوين بين واقع و آفاق إصلاحات المنظومة التربوية الجزائرية، مجلة التنمية و إدارة الموارد البشرية، العدد 08، جامعة البليدة، 2017، ص58

فصلاح المجتمع ينطلق من صلاح المدرسة وكل خطأ يرتكب داخل جدران هذا الحقل سيكون له أثر بليغ على مستقبل المجتمع برمته فعلاقة المدرسة بالمجتمع علاقة الأم بابنها، وعلاقة السائق بسيارته وعلاقة القائد بجماعته، فالمدرسة هي قائد التطور والتقدم و مفتاح التغيير، عبر المدرسة يمكن كذلك أن نصنع مجتمعا عنيفا أو مجتمعا مسالما كما نريد، "والواقع أن التربية مهمة جدية، بل أنها أكثر المهمات جدية في الحياة لأنها تعد الأساس لكل من جد فيها، ويجب على التلميذ أن يحس بالجد في جو المدرسة العام ويجب أن يشعر بأن الجد سياسة مقررة ومبدأ أساسي تقوم عليه الحياة المدرسية، وليس هناك أي تناف بين الجد وبين المرح والسعادة" وبالجد نمهد السبيل لمجتمع جاد عن طريق أبنائنا الذين ننشئهم في هذا الجو¹.

✚ وظيفة التنشئة الاجتماعية:

تعمل على تكوين افراد قادرين على تحقيق التكامل مع المجتمع فالمدرسة توزع الفاعلين بين الوضعيات الاجتماعية و تنتج فاعلين يتكيفون مع هذه الوضعيات

✚ وظيفة التربية الحضارية -المواطنة²:

تبحث المدرسة لضمان الضمير الاجتماعي-الضمير الجمعي للمجتمع المنغلق من خلال مطابقة السلوكات للمعايير المشتركة كما تختتم في الغالب الصراعات المحتملة او الموجودة في الواقع بين الانتماءات الاجتماعية المختلفة بالوحدة حيث ان مصطلح التنوع لاوجود له، أي توحيد الثقافات الفرعية ضمن ثقافة وطنية موحدة إذن هناك ضمير جمعي ضمن هذه الوظيفة الموحدة للتربية الحضارية

2.المدرسة الجزائرية بحث في منطلقات وبناء المشروع التربوي وإصلاحه

1.2 نشأة وتطور المدرسة الجزائرية (عرض في السياق التاريخي)

1.1.2 المرحلة الاولى تنظيم التعليم في الجزائر غداة الاستقلال (1962-1969) : قامت الدولة الجزائرية بعد الاستقلال مباشرة بتقييم المنظومة التربوية و الوقوف على وجهها الحقيقي الذي لم يكن ليبي مطمح الجزائريين على اختلاف توجهاتهم الإيديولوجية ، خاصة ما تعلق بنسبة الامية التي بلغت 85 % و ربطها بالتطلعات السياسية التي كانت تسعى إلى إعطاء انطلاقة سريعة لتوتيرة التنمية الوطنية، وقد كان واقع التعليم يعكس الصورة الشاحبة للمستوى الفكري للجزائريين بحيث مثلت نسبة المتدرسين 20% من مجموع التلاميذ الذين بلغوا سن التمدرس، و كان اول دخول مدرسي في شهر أكتوبر 1962 يسهر على تأطيره 3452 معلما للغة العربية بحجم ساعي 7 ساعات أسبوعيا و 16450 معلما للغة الفرنسية منهم عدد كبير من الممرنين لسد الفراغ الهائل الذي احدثه انسحاب عشرات الآلاف معلم فرنسي غادروا الجزائر زيادة على 425 معلم جزائري من مجموع 26000 انقطعوا عن التعليم ليلتحقوا بقطاعات اخرى، أسندت لهؤلاء المعلمين المبتدئين مهمة التدريس بعد أن تدرّبوا في ورشات صيفية، وفي انتظار إصلاح شامل يتناول بنيات التعليم ومضامينه وطرائقه، اجريت على التعليم تحويلات مختلفة منذ سنة 1962 و التي منها إعادة الاعتبار للغة الوطنية و التربية الدينية و الاخلاقية و المدنية و التاريخ و الجغرافيا وغيرها وقد شكلت لجنة وطنية عقدت اجتماعها الاول (1962/12/15) حددت الاختيارات الوطنية الكبرى للتعليم و التي تمثلت في

¹ محمد فؤاد جلال، اتجاهات التربية الحديثة، ط2، المطبعة النموذجية، مصر، د.ت، ص80

² أم الخير بدوي، مرجع سابق، ص175

التعريب و ديمقراطية التعليم والتكوين العلمي و التكنولوجي¹ ولقد تميزت هذه المرحلة والتي استمرت إلى سنة 1969 بكونها استرجعت نهائيا للغة العربية مكانتها في النظام التعليمي و اهتمت بتدعيمها في المرحلة الابتدائية ، حيث أصبحت لغة التعليم في كل المواد، و غيرت بصفة جذرية الموروثة و تركت الكتب المستعملة في عهد الاستعمار الذي حث على وضع عدد أكبر من الكتب الجزائرية تتماشى و اختياراتنا الأساسية ، و اهتمت الدولة الجزائرية الفتية عند وضع المخططات التنموية بالمنظومة التربوية و منحها مكانة خاصة في مشاريعها التنموية و التي كان اولها المخطط الثلاثي الاول (1967-1969) وهو أول مخطط بدأت به الدولة الجزائرية للتخطيط و لقد كانت حصة قطاع التربية و التعليم ما يقارب 13% من الميزانية العامة للدولة و من أهم منجزات المنظومة التربوية خلال تطبيق المخطط هو تطبيق القرار القاضي بتعريب جميع المواد المرسدة في سنوات الدراسية الابتدائية.

2.1.2 المرحلة الثانية (1970-1980): تميزت هذه المرحلة بالأعمال التحضيرية للإصلاح التربوي في إطار المخططات التنموية وهو إصلاح شامل في مجالات و الهياكل و المضامين البرامج ، و طرائق استراتيجية التدريس و عرفت الفترة الممتدة من 1970-1980 إعداد مشاريع إصلاحية كمشروع 1973 المتزامن و نهاية المخطط الرباعي الاول و بداية المخطط الرباعي الثاني، و مشروع و وثيقة إصلاح التعليم سنة 1974 والتي صدرت بعد تعديلها في شكل امرية 16 أبريل 1976 و تعد الأمرنة المذكورة أهم إنجاز إصلاحي يخص إصلاح المنظومة التربوية، والتي لا يزال العمل مستمرا بها حتى يومنا هذا، و تشمل الأمرية على تنظيم التربية و التكوين الذي نص على إنشاء المدرسة الأساسية و توحيد التعليم الأساسي و إجباريته و تنظيم التعليم الثانوي و ظهور فكرة التعليم الثانوي المتخصص و تنظيم التربية التحضيرية، تنظيم البحث التربوي، إعداد البرامج و الوسائل التعليمية، تكوين المستخدمين ، التنظيم و المراقبة ، التفتيش التربوي ، التوجيه المدرسي، الخدمات الاجتماعية، الإدارة المدرسية² و قد قدرت الميزانية العامة للقطاع التربية خلال تطبيق برنامج المخططين الرباعي الأول (1970-1973) و المخطط الرباعي الثاني (1974-1977) بما يقارب 4.82% و 18% من الميزانية العامة للدولة و عليه فإن إنجازات المنظومة التربوية خلال هذه الفترة تمثلت أساسا في إدخال تعديلات على البرامج و المناهج التعليمية على الخريطة المدرسية التربوية و الإدارية ، توجيه التلاميذ و تقييمهم على أسس علمية و منطقية حتى تنفادى التسربات الكثيرة ، توحيد التعليم المتوسط ليكون مستقلا بذاته و يوفر بتكافؤ الفرص، الشروع في تعميم الإصلاح التربوي الذي أقره الميثاق الوطني و صادق عليه المؤتمر الرابع لحزب جبهة التحرير ابتداءً من سنة 1975 و كذا إعطاء العناية خاصة لتعليم التقني و المهني في إطار إصلاح التعليم الثانوي على توسيع مجالاته و تمكينه مستقبلا و كان الهدف أيضا هو الرفع من نسبة التعريب بأقسام التعليم المتوسط و الفروع العلمية بالتعليم الثانوي

3.1.2 المرحلة الثالثة (1980-1990): إن أهم حدث عرفته المنظومة التربوية في هذه الفترة يتمثل في إصلاح المدرسة الأساسية والتي تم تنصيبها من السنة الأولى وذلك للعام الدراسي (1980-1981) ، فيمكن تعريفها على ضوء وثائق الإصلاح بأنها البنية التعليمية القاعدية التي تكفل للجميع الأطفال تربية أساسية واحدة لمدة تسع سنوات و تسمح لكل تلميذ بمواصلة التعليم

¹ فاطمة ديب ، استراتيجية تعليم المواد اللغوية في المدارس الابتدائية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة ، كلية الآداب و اللغات ، قسم اللغة العربية و آدابها ، تلمسان ، الجزائر ، 2017 ، ص 5

² المجلس الأعلى للتربية ، المبادئ العامة للسياسة التربوية الجديدة و إصلاح التعليم الأساسي ، الجزائر ، 1998 ، ص 111

إلى أقصى ما يستطيع نظرا لمواهبه وجهوده كما تهيئه في نفس الوقت وتعدده إلى الالتحاق بوحدات الإنتاج أو بمؤسسات التعليم المهني فتعتبر من جهة أخرى مدرسة شاملة، متعددة التقنيات يتكامل فيها العلم بالتطبيقات العلمية وبترجمة المعارف النظرية إلى مهارات أو مواقف إجرائية، وتتجسد في النهاية عناصرها واختياراتها الأساسية التي أخذت بعين الاعتبار في وضع معالم الإصلاح التربوي والتي منها¹:

✓ ديمقراطية التعليم وتكافؤ الفرص لجميع الاطفال الذين لهم الحق في الدراسة من 6 إلى 16 سنة و بصفة إلزامية ومنحهم مجانية التعليم في جميع المستويات والمؤسسات التعليمية

✓ جzارة التعليم من ناحية المضمون و البرامج و المناهج و الوسائل التربوي ، و تعريبه تعريبا كاملا

✓ تفتحته على المحيط القريب و البعيد عن طريق دراسة الوسط و اللغة الأجنبية

✓ الاهتمام بالعلوم و التكنولوجيا

✓ ربط التربية بمعناها الواسع لتشارك في مسؤوليتها الشاملة و المتكاملة و المؤسسات المدرسية و الاسرة و المنظمات الاجتماعية و الهيئات الوطنية على اختلاف مهامها و نشاطاتها

وقد شهدت هذه الفترة مثل الفترات السابقة وضع مخططات تنموية إصلاحية مست جميع الميادين بما فيها قطاع التربية و التعليم كقطاع حيوي و التي نذكر منها المخطط الخماسي الاول (1984-198) و المخطط الخماسي الثاني (1985-1989) و كان من منجزات التي ركزت عليها المنظومة التربوية خلال هذه الفترة هي كالآتي:

➤ التركيز على أهمية تدعيم جهاز التكوين المؤطرين بصفة عامة و تخطيط تكوين الاصناف التي يحتاج إليها التعليم الثانوي

➤ الشروع في تنصيب المدرسة الأساسية إبتداءً من الموسم الدراسي (1981-1982)

➤ الشروع في عمليات التوجيه إلى الشعب التقنية إبتداءً من الموسم الدراسي (1981-1982)

➤ إصلاح التعليم الثانوي الذي لم يشرع في تنصيبه و تطبيقه إلا الموسم الدراسي (1985-1986)

➤ إحداث شعب تقنية جديدة كالبيو كيمياء و الاعلام الالي و الكيمياء الصناعية و الزراعية

➤ إنشاء عدة متاحف و تخفيض التوقيت الخاص بالمواد التقنية بدون تغيير في أهدافها

4.1.2 المرحلة الرابعة (1990-2000): عرفت هذه المرحلة عدة محاولات لتحسين مست مختلف الأطوار التعليم بأشكال متفاوتة و لقد توصل التفكير إلى ضرورة إدخال تعديلات على البرامج تبين انها طموحة و مكثفة و لكنها غير منسجمة مع بعض الجوانب خاصة من ناحية إغفال للتحويلات السياسية و الاجتماعية التي عرفتها البلاد، فخلال السنة الدراسية (1990-1991) شرعت الوزارة في تطبيق جملة من الإجراءات و التعديلات الضرورية لتحسين نوعية التعليم و رفع مستوى الأداء التربوي و المردود التعليمي² وأهم ما ركزت عليها الإصلاحات في هذه المرحلة:

❖ اعتماد منطق التكوين بدل من منطق التعليم

❖ اعتماد مقارنة الأهداف في التدريس و بناء المناهج

¹ طاهر زهوني ، التعليم في الجزائر قبل و بعد الاستقلال، موفم لنشر و الطبع ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الغاية ، الجزائر 1994، الإيداع القانوني السادس الثاني 1993، ص 121-122

² ليلي مقاتل، تقويم المناهج في ظل الإصلاحات التربوية في الجزائر (دراسة ميدانية من وجهة نظر أساتذة التعليم المتوسط -ولاية الوادي - ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع التربية قسم علم الاجتماع ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة بسكرة، الجزائر، 2016، ص 66

❖ تطوير العلاقة بين المعلم والتعليم
 ❖ التمييز بين التعليم الثانوي والتعليم التقني
 ❖ اعتبار المرحلة الثانوية حلقة أساسية ورئيسية في سلسلة منظومة التربية والتكوين
 ❖ تنصيب الجهاز الخاص بالمتابعة و التقييم الدائم و لتنفيذ الإصلاحات و إنشاء مؤسساتين وطنيتين حيث خصصت الأولى للتشاور و المتمثلة في المجلس الوطني للتربية و التكوين ، في حين الثانية للضبط و تمثل في المرصد الوطني للتربية و التكوين مهمته خاصة بإعداد مؤشرات لقياس النظام التربوي وجاءت مرحلة الإصلاحات الشاملة ولكن قبل البدء في تنفيذها كان لابد من اتخاذ مجموعة من التدابير التحضيرية والتي كان أبرزها:

✓ تطوير الهياكل وزيادة عدد المنشآت التعليمية استعداد لاستقبال أعداد أكبر من التلاميذ في كل المستويات وذلك لان نسب النجاح المتوقع أن تكون أعلى مما عليه قبل الإصلاحات.
 ✓ زيادة حجم الميزانية المخصصة لقطاع التعليم لان الإصلاحات الجديدة ستحتاج إلى توفير التجهيزات البيداغوجية الكثيرة والحديثة خاصة وسائل الإعلام الآلي.
 ✓ تطور نتائج الامتحانات العامة لشهادة البكالوريا و التعليم الأساسي، حيث بلغت نسبة النجاح في شهادة البكالوريا سنة 1999 على المستوى الوطني 62.24% بعد أن كانت 26.23% سنة 1996 ووصلت إلى 52.64% مع بداية تطبيق إصلاحات سنة 2004.

✓ الشروع في إدراج البعد التكنولوجي في مضامين التعليم الأساسي للطور الثالث لتسهيل انتساب التلاميذ للتعليم التقني
 ✓ الشروع في إجراء التحسين النوعية للكتب و المناهج وتوفير التجهيزات العلمية و كل ذلك اعتبارا من ماي 1998.
 ✓ الشروع في الإصلاح للإدارة المدرسية بإتباع الآليات الجديدة لتسيير من خلال مراجعة نظام التوجيه الخاص بقطاع التعليم لحاملي شهادة البكالوريا.
 15.1.2 المرحلة الخامسة من 2000 إلى يومنا هذا :شهدت هذه المرحلة المؤسسة التربوية العديد من الإنجازات يمكن تلخيصها فيما يلي:

✓ بنية قاعدية لهياكل تربوية ضخمة من مدارس و متوسطات و ثانويات.
 ✓ جزارة كاملة للقائمين على المؤسسة التربوية في كافة مراحلها و مختلف مستوياتها.
 ✓ مخزون بشري ورأس مال كبير داخل المؤسسة التربوية (من حيث عدد المتدربين).
 تحقيق مستوى عال من ديمقراطية التعليم و مجانيته من خلال القضاء على الفوارق بين أبناء الجزائريين في التحصيل الدراسي وتقريب المدرسة من كل مواطن¹ كما عرفت المؤسسة التربوي خلال هذه المرحلة عدة محطات إصلاحية تمثلت في:

¹سميرة بوشعالة، "تحديات المؤسسة التربوية الجزائرية ما بين الماضي والحاضر"، مجلة البحوث و الدراسات الإنسانية، عدد 14، جامعة 20 أوت، 1955، 2017، ص82

✓ إحداث اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية : و حسب المرسوم الرئاسي 101-2000 و المؤرخ في 9 ماي 2000 و التي نصبت يوم 13 ماي 2000 بعد ان شخصت الوضع ودرست بعناية حالة المنظومة التربوية السائدة في جميع مراحلها و في علاقتها بالمنظومات الاجتماعية و الاقتصادية الأخرى و التي خلصت إلى جملة من الاقتراحات¹ في المراحل التالية:

• التربية التحضيرية : التي تحضر الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 5 سنوات و 6 سنوات للالتحاق بالتعليم الابتدائي.

• التعليم الأساسي (الإلزامي) : مدته 9 سنوات و يشمل التعليم الابتدائي 5 سنوات و التعليم المتوسط 4 سنوات و تطبيق تعليمات هذا الإصلاح في الدخول المدرسي 2003-2004.

• التعليم الثانوي العام والتكنولوجي: وقد تمت إعادة هيكلة التعليم الثانوي إلى جذعين مشتركين الجذع المشترك آداب والجذع المشترك علوم ز تكنولوجيا و ذلك انطلاقا من الدخول المدرسي 2005-2006.

الندوة الوطنية لتقييم و تطبيق إصلاح المؤسسة التربوية سنة 2015 : استنادا إلى المقررات المؤرخة في 05-05-2004 والتي تقضي بإنشاء فرق مكلفة بقيادة عملية متابعة و تنفيذ إصلاح النظام التربوي و تقويم مستجداته، جاءت الندوة الخاصة بتقويم إصلاح المؤسسة التربوية وهذه انعقدت يومي 25-26-جويلية 2015 و قد شخصت مشاكل بالمؤسسة التربوية في المجال البيداغوجي المتعلق بالتحكم في اللغة العربية و اللغات الأجنبية أيضا غيابات التلاميذ و الموظفين بالإضافة التسرب المدرسي².

3. الأطر المرجعية لإصلاح التعليم بالجزائر: المقصود بمرجعية التعليم هو مجموع النصوص المتضمنة لجملة من التوجيهات و التعليمات النابعة من السياسة العامة للبلاد، والمعبرة عن روحها والمتضمنة في الدساتير و المواثيق السياسية التي ينبغي أن تجسدها مختلف الهيئات التنفيذية في المجال التربوي تقتضي عملية التخطيط التربوي وإصلاحه و تطوير المناهج العودة إلى هذه الأطر المرجعية العامة ذات البعد السياسي و الاقتصادي وهي أطر تنسجم مع الخصائص الحضارية و التاريخية للمجتمع مع تطلعاته المستقبلية و في الجزائر تضمنت المرجعية العامة للمناهج مقاصد الإصلاح المرتبطة بغايات المدرسة الجزائرية حيث تشير بوضوح إلى أنواع المرجعيات للتربية و التعليم³ كما يلي:

أ. مرجعيات تتعلق بالأمة و قيمها: تتمثل في تأكيد الشعور بالانتماء إلى أمة واحدة وشعب واحد وهو شعور يرتكز على إرث تاريخي جغرافي و حضاري وثقافي بما يرمز إليه الإسلام و اللغة العربية و العلم والنشيد الوطني، وكذلك التفتح على الحضارات العالم والقيم العالمية التي لا تتعارض وقيمنا

ب. مرجعيات تتعلق بالسياسية التربوية: وتتضمن الطابع الوطني والديمقراطي للمنظومة التربوية و استمرار للقيم و المبادئ التي دأبت عليها منذ الاستقلال، والطابع العصري والتقدمي الذي فرضته التحديات الداخلية والخارجية في عالم يتطور باستمرار و مجتمع جزائري ما زال يلح على النوعية فيما تقدمه المدرسة

¹هنية عريف، "اللغة العربية ومناهجها في ظل إصلاح المنظومة التربوية في الجزائر ما بين المقومات الهوية الوطنية وتحديات العولمة"، مجلة الأثر، العدد 29، ديسمبر، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، 2017، ص 80

²سميرة بوشعالة، مرجع سابق، ص 83

³فضيلة حناش، على فارس، "تبني المدرسة الجزائرية للمقاربة بالكفاءات في ضوء الإصلاح التربوي الأخير مقارنة نظرية تحليلية، مجلة التربية والصحة النفسية، المجلد 5، العدد 01، جامعة الجزائر 2، 2019، ص 111-112

4. دواعي وأسباب الإصلاح التربوي في الجزائر وتعود بالأساس أسباب الإصلاح التربوي إلى الانتقادات المتزايدة التي وجهت إلى المدرسة الجزائرية والتي أصبحت تتخبط في مشاكل عديدة منها¹:

1.4 إهمال التكوين المهني للأستاذ والطرف الاجتماعي له: يعتبر الأستاذ المحرك الرئيسي في العملية التربوية، غير أنه لا يتمتع بكامل العناية اللازمة التي تسمح له بالقيام بدوره على أكمل وجه حيث أنه بحاجة إلى تكوين مستمر وإلى متابعة ميدانية وإعداد الأستاذ وتدريبه هو من أهم المشكلات التي تعاني منها المنظومة التربوية، وهو ما انعكس سلباً على مستوى التدريس، بحيث أصبح الأستاذ غير قادر على مواكبة التطور الفكري والتكنولوجي وبالتالي غير فعال في المساهمة ضمن حركات التجديد والإصلاح، ورغم أن شبكة المعلومات ومختلف التكنولوجيات الاتصال تمنح للأستاذ فرصة التكوين الذاتي إلا أن الحالة الاجتماعية لا تسمح له بذلك وهو ما جعله يفقد الرغبة في التكوين لعدم وجود ما يحفز على ذلك من إمكانيات.

2.4 ضعف المستوى التعليمي: يتضح ضعف المستوى التعليمي في المنظومة التربوية من خلال ضعف مردودية النظام المدرسي في الجزائر من خلال نسبة النجاح تحت المتوسطة في شهادة البكالوريا إلى جانب المستوى الضعيف في فئات عريضة من الشباب المتخرج من هذه المدارس وكمثال على استخدام اللغات الأجنبية.

3.4 التسرب المدرسي المستمر: التسرب المدرسي هو مغادرة التلميذ لمقاعد الدراسة قبل الوقت لأي سبب كان، وقد يكون مصحوباً بنوع من التمرد على المدرسة كما يكون راجعاً إلى نقص في قدرات التلميذ وقد يكون لأسباب أخرى منها:

- ❖ الظروف الاجتماعية: والتي تعيشها بعض الأسر جراء عدم تفاهم الوالدين و التفرقة بين الأبناء يشعر التلميذ بالنقص فيقدم على عمل لكي يحظى باهتمام والديه مما يخلق الرغبة في الانتقام من خلال النفور وكره المدرسة.
- ❖ الظروف البيئية: حيث أن بعض المناطق تعاني نقص في وسائل التمدرس والنقل، إضافة إلى العادات والتقاليد التي تحتم على المرأة المكوث في المنزل مما يزيد من نسبة التسرب في الوسط النسوي مقارنة بالذكور
- ❖ الظروف الاقتصادية: وهذه الأخيرة تعمل على زيادة التسرب المدرسي خصوصاً عند الذكور حيث أن الفقر يملئ علمهم ضرورة البحث عن كسب المال لمساعدة أسرهم.

5. أهداف إصلاح المنظومة التربوية في الجزائر: تسعى عملية الإصلاح التربوي إلى تحقيق الأهداف التالية².

- ✓ إعادة الاعتبار لمهنة التعليم وجعلها في طليعة المهن بإحاطتها بالرعاية الكاملة المادية والمعنوية والبيداغوجية والارتقاء بالقوانين والقيم التي تحكمها وتثمين دور القائمين عليها وتمكينهم من فرص التثقيف التي تثرى خبراتهم وترفع مستوياتهم
- ✓ مراجعة المناهج والمحتويات التعليمية بشكل علمي يضمن لها الانسجام مع الأهداف المسطرة و مواكبة المستجدات العلمية والحضارية والتحولت السياسية والاقتصادية التي يعيشها، إعادة بناء هذه المحتويات وفق تدرج منهجي يراعي فيه القدرات المتعلمين وحاجاتهم والتكامل الوظيفي بين المعارف والمهارات بينها وبين الحياة.

¹ عائشة بن النوي، نوال بن عمار، إسهامات الإصلاحات التربوية والتعليمية على التنمية الاجتماعية في الجزائر، ورقة مقدمة في الملتقى الوطني حول مسار إصلاح التعليم في المنظومة التربوية الجزائرية وسؤال الجودة، المنظم من طرف مخبر تطوير نظم الجودة في مؤسسات التعليم العالي و الثانوي، جامعة باتنة1، الجزائر، يومي 17/18 أكتوبر، 2018، ص.12.

² عائشة بن النوي، نوال بن عمار، مرجع سابق، ص.13

✓ تحسين ظروف التمدرس وتطوير وسائل العمل وذلك من خلال توفير العدد الكافي واللائق من التجهيزات وصناعة الكتاب وتأسيس الخدمات الصحية والنفسية، واللجوء إلى طرائق والأساليب الحديثة و التي تنمي القدرة على التعلم الذاتي و تتيح للمتعلمين المشاركة الإيجابية في التعبير وبكل حرية عن اهتماماتهم وأفكارهم باعتبارهم طرفا أساسيا في عملية لا موضوعا له. 6. واقع المدرسة الجزائرية: يشكل التعليم في الجزائر الحجر الأساسي للتنمية البشرية والاقتصادية، وحتى باقي المجالات الحيوية الأخرى، وذلك أنه المدخل الأساسي لهذه التنمية فضلا عن ما ترتكز عليه من معطيات تكنولوجية ومادية، فإنها تركز أكثر على الإنسان الذي يعتبر أهم عنصر في هذه العملية، حيث أن المورد البشري في كل عملية تنموية حقيقة تأتي في المقام الأول، ولعل أول هندسة لهذا الأخير تتطلب من المدرسة كمؤسسة رسمية أن تقوم بإعداد الأجيال يتوافق في المجتمع مستقبلا¹ سنحاول توضيح هذا الواقع من الإنجازات التي قامت بها المدرسة الجزائرية:

1.6 تطور التعليم الأساسي: يعتبر التعليم الابتدائي والمتوسط قاعدة السلم التعليمي، وهو المرتكز الأساسي الذي يكتسب فيه الفرد المعارف التي تنمي وتطور قدراته الذاتية، كما يهيئه للمراحل التعليمية اللاحقة وهذا ما سيوضحه الجدول التالي

جدول رقم 01: التطور الكمي للتعليم الأساسي في الجزائر للفترة ما بين 1979-2013

السنوات	عدد التلاميذ في الابتدائي	عدد التلاميذ في المتوسط	عدد المعلمين في الابتدائي	عدد المعلمين في المتوسط	عدد المدارس	عدد المتوسطات
1980/1979	30612252	737902	85499	26830	9034	873
1990/1989	4027612	1408522	144975	79783	12694	22481
2000/1999	4843313	1895751	170562	101261	15729	3351
2011/2010	3345885	2980325	144885	140098	17790	4901
2013/2012	580481	26475	152483	144901	17995	5086

المصدر: وزارة التربية الوطنية، المديرية الفرعية لبنك المعلومات

نلاحظ من خلال معطيات الجدول وأنه خلال الفترة الممتدة من 1980-1990 كانت نسبة الزيادة في عدد التلاميذ في التعليم الابتدائي، والمتوسط مرتفعة فقد انتقل عدد التلاميذ المسجلين في الابتدائي من 3 ملايين إلى 4 ملايين سنة 1990 أي بنسبة 32%، ونفس الملاحظة بالنسبة للتعليم المتوسط حيث انتقل العدد من 73790 سنة 1980 إلى أكثر من مليون سنة 1990 أي بنسبة زيادة تقدر ب60%، وهذا ما نتج عن ثمار الإصلاحات التي باشرتها الجزائر بعد الأمر رقم 35/76 المؤرخ في 16/04/1976 والمتعلق بتنظيم التربية والتعليم والتكوين، والذي شرع في تعميم أحكامه ابتداءً من السنة الدراسية 1981/1980 ومن بين ما جاء في (تعليم أساسي إجباري ومجاني لمدة تسع سنوات، ديمقراطية التعليم) وهذا ما نلمسه في الارتفاع المحسوس في عدد التلاميذ وذلك من خلال استمرار ارتفاع عدد التلاميذ في الطورين الابتدائي والمتوسط ولكن بنسب ضعيفة متقاربة

¹ عبد الباسط ولد عمري، إسهام التعليم في النمو الاقتصادي (دراسة حالة الجزائر خلال الفترة 1980-2013)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص اقتصاد كمي، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة أمحمد بوقرة، بومرداس، الجزائر، 2016،

حيث سجلت بعض السنوات تراجع في عدد المسجلين، حيث انخفض عدد المسجلين في الابتدائي من 483313 سنة 2000 إلى 3345885 سنة 2011، وكذلك نفس الأمر بالنسبة للتعليم المتوسط بين سنتي 2011 و2013 فقد انخفض عدد المسجلين إلى 298032 إلى 2647500 تلميذ، وبالنسبة للهيئة التدريسية انتقل عدد المعلمين في الابتدائي من 85499 معلم سنة 1980 إلى 152483 معلم سنة 2013، فأما عن أساتذة التعليم المتوسط فقد تضاعف هو الآخر استجابة لتطور عدد التلاميذ من 26830 سنة 1998 إلى 144901 سنة 2013، وقد رافق هذا التوسع الهائل في عدد التلاميذ والمعلمين توسعا كبيرا في تجهيزات المدارس وما تعلق بها، ففي سنة 1980 كان عدد المدارس الابتدائي 9034 مدرسة ليصبح عددها 17995 للموسم الدراسي 2012/2013، وتضاعف عدد المتوسطات من 873 متوسطة سنة 1980 إلى 5056 متوسطة سنة 2013.

2.6 تطور التعليم الثانوي: يكتسي التعليم الثانوي أهمية بالغة ضمن التعليم من حيث كونه حلقة وصل ما بين التعليم الأساسي و التعليم العالي، ولقد شهد تطورات كبيرة مثل باقي مراحل التعليم.

جدول رقم 02: التطور الكمي للتعليم الثانوي في الجزائر للفترة ما بين 1979-2013

السنوات	عدد التلاميذ	عدد الأساتذة	عدد الثانويات
1980/1979	183205	9365	185
1990/1989	753947	40939	621
2000/1999	921959	54761	981
2011/2010	1198888	74550	1813
2012/2011	1263090	80048	1870
2013/2012	1497875	89882	1956

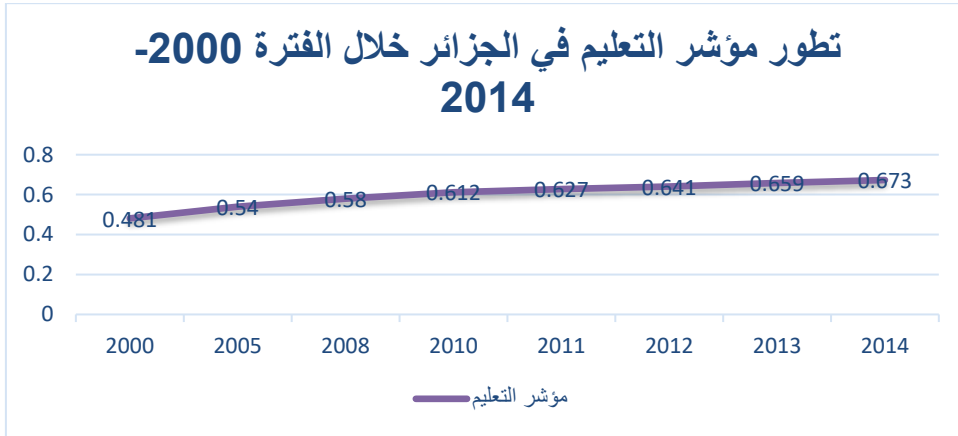
المصدر: وزارة التربية الوطنية، المديرية الفرعية لبنك المعلومات

من المعطيات الموضحة في الجدول شهد التعليم الثانوي تطورات مهمة في مختلف جوانبه وخاصة في عدد التلاميذ فقد انتقل العدد من 183205 تلميذ للموسم الدراسي 1980/1979 إلى 1497875 تلميذ للموسم الدراسي 2013/2012 حيث لاحظ أن عدد التلاميذ تضاعف خلال هذه المرحلة إلى أكثر من 8 مرات، فيما انعكست هذه الزيادة في عدد التلاميذ في زيادة واضحة في عدد المعلمين مشكلة بذلك تعداد قدر للموسم الدراسي 1980/1979 بـ 9356 معلم ليرتفع العدد إلى 89882 معلم للموسم الدراسي 2013/2012، وكما عرفت عدد الثانويات إرتفاعا مقدرة بـ 185 ثانوية للفترة 1980/1979 إلى 1956 ثانوية للموسم الدراسي 2013/2012

3.6 تطور مؤشر التعليم في الجزائر: تنامي الوعي بقيمة الانسان هدفا ووسيلة في منظومة التنمية الشاملة، وقد أدركت الجزائر كبقية دول العالم أهمية تنمية العنصر البشري، باعتباره المحور الرئيسي في عملية التنمية، لذا بذلت الكثير من الجهود في إطار البرامج التنموية، ورصدت حجما كبيرا من الموارد والاستثمارات لإنجاز أهداف التنمية، يعكس مؤشر التعليم الجهود التي بذلتها الدولة لتعميم الاستفادة من التعليم منذ الاستقلال، حيث بلغ المؤشر 0.659 سنة 2013 بزيادة سنوية قدرها 2.8% مقارنة بسنة 2012، وارتفع مؤشر التعليم من 0.481 سنة 2000، إلى 0.673 سنة 2014، كما أن المدة المتوسطة للتلميذ ارتفعت هي الأخرى من 5.5 سنة لسنة 2000، إلى 7.7 سنوات لسنة 2014، وهذا ما يمكن تفسيره بزيادة الملتحقين

بالجامعة خصوصا بعد ارتفاع نسبة الناجحين في شهادة البكالوريا للسنوات الأخيرة. إضافة إلى التقدم الذي تم إحرازه في مجال تمدرس البنات منذ الاستقلال، وما نتج عنه من الحد من الفوارق بين الجنسين. وفتح العديد من المدارس على مستوى الوطن، مجانية وإجبارية التعليم عند كل طفل بلغ 6 سنوات وهو ما سيوضحه المنحى التالي.

منحى رقم 01: تطور مؤشر التعليم في الجزائر خلال الفترة 2000-2014



المصدر: من إعداد الباحثة بناء على معطيات المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي، 2015، ص 186

III. التحديات البارزة التي تواجه المدرسة الجزائرية والنظام التربوي: إن إطلالة القرن الجديد تضعنا في مفترق الطرق و تجعلنا أمام خيارين فيما أن نقتحم عالم الغد و نجن مؤهلون لكسب رهاناته، وإما أن نجد انفسنا في خضمه و نحن مازلنا نتخبط في التخلف، و الحال ان المجتمع لا يمكنه أن يتقدم أو يتطور إلا إذا كان في موقع يسمح له بذلك، إلا ان المجتمع الأمي يقف حاجزا منيعا أمام بناء المستقبل و تحقيق الطفرة المأمولة.

1. تحديات العولمة: لاشك أن العولمة قوة مركزية ستحول العالم وقضاياها، ليست قضايا مجردة بل هي عوامل ومتغيرات ملموسة ستؤثر على حياتنا اليومية وتطال العيش المعتاد لكل فرد، مثلما هي مرتبطة بالأفاق التي تفتحها والمستقبل الذي تحيل عليه، وهكذا سندخل في مرحلة جديدة ستغير مجرى الأشياء، مرحلة تتميز بالعمل على تطوير أنشطة جديدة لبحث بشكل مستمر عن بدائل أخرى، ولقد جلبت العولمة معها ثورة تكنولوجية تتميز بمظهرين¹:

❖ المظهر الأول: يتجلى في إضفاء الطابع الإعلامي على المجتمع و يقود إلى ما أطلق عليه مجتمع المعرفة و الإعلام فالمعلومات اخترقت المجتمعات بشكل عميق و اخترقت بصفة خاصة عالم الإنتاج

❖ المظهر الثاني: يتجلى في الثورة الرقمية وهي تجري في ميادين التقنية و المعلوماتية والتواصل كما عملت العولمة و الإنترنت كقوة لوجستية على خلق أنشطة اقتصادية جديدة تتميز بدورها بأربع خصائص هي انها كونية، ومباشرة، مستديمة وغير مادية.

2. تحديات اجتماعية: يعتبر النمو الديمغرافي المسجل في الجزائر و ارتفاع نسبة الشباب عاملا مهما في النهوض بالأمة، ومخزوننا بشريا استراتيجيا لابد من الاهتمام به و توجيهه من خلال زرع قيم الاتحاد والإخاء والتعاون والمحبة والسلام بين صفوف الناشئة

¹ أم الخير بدوي، مرجع سابق، ص 207

لتحقيق مجتمع متزن متألف، فالتغلب على الآفات الاجتماعية كالمخدرات و العنف يساهم النظام التربوي من خلال مناهجه وأساليبه التعليمية في الحد من هذه الظواهر الاجتماعية¹.

3. تحديات اقتصادية: تكتسي النظم التربوية في كل المجتمعات أهمية بالغة كونها البيئة الحاضنة للأجيال و مخزن القوى العاملة في المجتمع فربط النظام التربوي بالاقتصاد بات من أولويات إصلاح التربوي منشود، فأن لم يتم الربط بأحكام ودقة قد تتسبب في خلل وظيفي بين عملية الإصلاح و التنمية الاقتصادية و بالتالي عدم تحقيق الأهداف المدرجة في أي عملية إصلاحية أو تنموية.

4. تحديات عملية وتكنولوجية: بات من المؤكد ان القرن الحالي من ابرز سماته التطور الهائل في المجال العلمي والتكنولوجي، فمجتمع ما بعد الثورة الصناعية أو مجتمع المعرفة كما ينشده الكثير من علماء التربية في العالم يفرض تحديات على النظم التربوية في كل انحاء العالم المتقدمة منها والنامية على حد سواء فاستشعار هذا التوجه صار أمرا ضروريا عند الإقدام على أي مبادرة تجديدية او إصلاحية للنظام التربوي².

خاتمة:

حاولت المدرسة الجزائرية رسم معالمها من جديد من خلال الإصلاحات التي حاول خلالها القائمين بعمليات الإصلاح والتجديد في الفكر التربوي الجزائري، والذي خاض شوطا كبيرا من اجل بناء مدرسة المستقبل مدرسة حديثة تواكب التغيرات العالمية، وتكسر جموح التحديات الراهنة خاصة التحديات المعرفية و التكنولوجية التي أصبحت من الأساسية والرواكن التي لا بد من أي مدرسة في القرن الحالي من امتلاكها من أجل بناء الفرد القادر على إحداث التغيير الممكن فكريا ووجدانيا ومهاريا.

قائمة المراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار الطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 2004.
2. المجلس الأعلى للتربية، المبادئ العامة للسياسية التربوية الجديدة وإصلاح التعليم الأساسي، الجزائر، 1998.
3. أم الخير بدوي، التغير البنائي-الوظيفي للمدرسة الجزائرية في ظل التحديات العالمية الراهنة -دراسة تحليلية لاتجاهات أساتذة التعليم المتوسط، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث، تخصص علم اجتماع التربية، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2016.
4. أحمد بوعبزة، يوسف حديد، "سوسيولوجيا المدرسة والمعلم في الجزائر، مجلة آفاق علمية، المجلد 11، العدد 01، المركز الجامعي لتامنغست، 2019.

¹ إبراهيم هياق، اتجاهات أساتذة التعليم المتوسط نحو إصلاح تربوي في الجزائر (أساتذة متوسطات أولاد جلال و سيدي خالد نموذجا)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع التربية، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2011، ص146

² إبراهيم هياق، مرجع سابق، ص 147

5. إبراهيم هياق، اتجاهات أساتذة التعليم المتوسط نحو إصلاح تربوي في الجزائر (أساتذة متوسطات أولاد جلال وسيدي خالد نموذجاً)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع التربية، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2011.
6. حسين حسن البيلاوي، الإصلاح التربوي في العالم الثالث، د. ط، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1998.
7. حورية لبوابي، مهدي بلحميتي، التكوين بين واقع وآفاق إصلاحات المنظومة التربوية الجزائرية، مجلة التنمية وإدارة الموارد البشرية، العدد 08، جامعة البليدة، 2017.
8. سميرة بوشعالة، "تحديات المؤسسة التربوية الجزائرية ما بين الماضي والحاضر"، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، عدد 14، جامعة 20 أوت 1955، 2017.
9. طاهر زرهوني، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، موفم لنشر و الطبع، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الغاية، الجزائر 1994، الإيداع القانوني السداسي الثاني 1993.
10. عائشة بن النوي، نوال بن عمار، إسهامات الإصلاحات التربوية والتعليمية على التنمية الاجتماعية في الجزائر، ورقة مقدمة في الملتقى الوطني حول مسار إصلاح التعليم في المنظومة التربوية الجزائرية وسؤال الجودة، المنظم من طرف مخبر تطوير نظم الجودة في مؤسسات التعليم العالي والثانوي، جامعة باتنة 1، الجزائر، يومي 17/18 أكتوبر، 2018.
11. عبد الناصر سناني، "المدرسة وجهود الإصلاح التربوي في الجزائر ما مدى مساهمة ثقافات المدرسة في بلورة عملية الإصلاح، مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية، المجلد 04، العدد 07، دار كنوز الحكمة، الجزائر، 2016.
12. عبد الباسط ولد عمري، إسهام التعليم في النمو الاقتصادي (دراسة حالة الجزائر خلال الفترة 1980-2013)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص اقتصاد كمي، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة أمحمد بوقرة، بومرداس، الجزائر، 2016.
13. على أسعد وطفة، على جاسم الشهاب، علم الاجتماع المدرسي بنيوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها الاجتماعية، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2004.
14. فضيلة حناش، على فارس، "تبني المدرسة الجزائرية للمقاربة بالكفاءات في ضوء الإصلاح التربوي الأخير مقاربة نظرية تحليلية، مجلة التربية والصحة النفسية، المجلد 5، العدد 01، جامعة الجزائر 2، 2019.
15. فاطمة ديب، استراتيجيات تعليم المواد اللغوية في المدارس الابتدائية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، تلمسان، الجزائر، 2017.
16. ليلى مقاتل، تقويم المناهج في ظل الإصلاحات التربوية في الجزائر (دراسة ميدانية من وجهة نظر أساتذة التعليم المتوسط - ولاية الوادي -، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع التربية قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة بسكرة، الجزائر، 2016.

17. مختارية بن عابد، "المدرسة الجزائرية في ظل الإصلاحات التربوية واقع وآفاق، مجلة الرواق، العدد 03، المركز الجامعي غليزان، 2016.
- 18.. محمد فؤاد جلال، إتجاهات التربية الحديثة، ط2، المطبعة النموذجية، مصر، د.ت.
19. محمد منير مرسي، الإصلاح والتجديد التربوي في العصر الحديث، عالم الكتاب، مصر، 1996.
20. هنية عريف، "اللغة العربية ومناهجها في ظل إصلاح المنظومة التربوية في الجزائر ما بين المقومات الهوية الوطنية و تحديات العولمة"، مجلة الأثر، العدد 29، ديسمبر، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، 2017.



جميع الحقوق محفوظة
© مركز جيل البحث العلمي